

أ. د محمود زايد المصري

"محاضن الغلو"

وأزمة السياسة في الوطن العربي"

دار كنعان

أ.د. محمود زايد المصري
محاضن الغلو وأزمة السياسة في الوطن العربي
دار كنعان 2023
رقم الإيداع: 5-17-636-9931-978
تاريخ الإيداع: أوت 2023

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الإهداء ...

إلى الشباب المسلم والشباب العربي
في كل زمان ومكان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاه إلى يوم
الدّين وبعد:

الغلو في الدّين من الآفات المهلكة.. ورد ذلك في القرآن وفي هدي
الرسول ﷺ.

قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا
أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)
(المائدة: 77).

الغلو - بنص الآية - يفضي إلى اتباع الهوى والضلال والإضلال
ومغادرة السوية!

وقال ﷺ: "إياكم والغلو في الدّين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في
الدّين"¹.

الغلو في الدّين - بنص الحديث الشريف- يفضي إلى الهلاك!
وماذا بعد ما تقدم، إن ترك الحبل على الغارب؟! قلّة قليلة من
المفكرين جعلوا واقعهم النفسي المتدهور هو عين الماضي

¹ صحيح الجامع.

والحاضر والمستقبل.. لا يرون في الحال بصيص أمل.. والطريق عندهم: أن يُقاتل النَّاس جميعًا مسلمين وغير مسلمين! أصاب ذلك الحال اليأس بعضًا من خطباء المساجد، وكذا بعض التجمعات الدعوية والسياسية، ونشر هؤلاء ذلك الفكر بين الناشئة.. شباب بسيط حال، قليل العلم وضعيف الحلم، ليس له إلا ذراعه وحمل السلاح.. حمل هؤلاء السلاح في غير محله وفي غير موضعه، فأوسعوا المسلمين وبني آدم عنفًا وقتلاً.. فأقموا أزمة الأمة المأزومة أصلاً، جرّاء سبق الآخرين لها في مضمار العلم والحضارة، فأساؤوا إلى دعوة الإسلام..

أرى أنّ المشهد في عالم الغلو ينقسم إلى قسمين متداخلين يرفد أحدهما الآخر:

أولهما: مفكرون ودعاة وساسة يكتبون ويخطبون ويعظون: أن أدركوا الإسلام، الأمة تكاد تموت، حزب الأمل في خطرٍ داهم، المسلمون اليوم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإسلام، مغادرة الدّين، العلمانية طغت وذهبت الأخلاق والقيم.. وهكذا.. تلك الشّعبة من الغلاة لا تقاتل ولا تسفك الدّماء إلا أنها الحاضنة الفكرية لذلك كله.

وثانيهما: شباب وكهول يغلب عليهم نقص العلم وضعف الحلم، وغياب المعرفة بتاريخ التدافع بين الحق والباطل على الأرض، سمعتُ ما قاله وخطّه خزّان الغلو وحاضنته الفكرية الأنف ذكرها.. فذهبتُ إلى قتال العدو الموهوم وأياً كان، وتحت شعار مُحبّب

"الجهاد"، والشهادة في سبيل الله.. لا سبيل لمواجهة الشعبة الثانية من الغلو إلا بإصلاح الخلل الفكري الذي عليه الشعبة الأولى: أنها محضن الغلو الذي يُفَرِّخ أفرارًا لا يحفظون حرمة دماء ولا أخوة في "لا إله إلا الله". فضلاً عن الأخوة في الإنسانية على إطلاقها. الكتاب الذي بين أيدينا جهد متواضع في البيان وإصلاح الفكر. وقد شمل ما يلي:

الفصل الأول: "دين الرحمة للعالمين"

إشارات إلى الرحمة العامة التي جاء بها الإسلام إلى كافة البشر، وما فيها من مشتركات بين قاطني الأرض جميعًا. خطاب عام للفطرة.

الفصل الثاني: "في الغلو العلماني"

تجديد التديّن سنّة من سنن الله الجارية. بيّنّها رسول الله ﷺ حيث قال: "إنّ الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"¹.

الإنسان بطبعه المفطور: نسيّ، عجول، ضعيف، هلوع، منوع، جهولٌ ظلوم. ذلك المخلوق ليس بعيدًا عنه أن يبتدع في الدّين ما ليس منه، أو ينسى بعضه أو يُفَرِّط أو يُفَرِّط في البعض الآخر. فكان من رحمة الله سبحانه تجديد التديّن وتصحيح الفهم للدّين بعنّا من عنده. يقوم بذلك العلماء الغدول.

¹ أخرجه أبو داود في الملاحم، باب: ما يُذكر في القرن المائة (3740).

قال ﷺ: "يحمل هذا العلم من كل خَلْفٍ عُذولِه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"¹.

ثم ما شأن ذلك بالغلو العلماني؟!!

أرى أنّ التقصير في التجديد كان وراء ما استشكل على الكثيرين، وأودى بهم إلى الغلو العلماني أو حتى الإلحاد.

وندائي في هذا ذو شعبتين:

أولاهما: للعلماء الغيورين على رسالة الإسلام، أن يتعهدوا واقع الحياة، والسائد من فهم الناس بالمراجعة والمتابعة والدراسة والتحليل والنُصْح والتصحيح. الإسلام عالٍ وأعلى من السَّمَاوات، وفهم الناس السائد له لا يُنصفه ولا يمثله بالضرورة.

وأما الثانية: فلغلاة العلمانيين والمُلحدّين: لا تأخذوا الإسلام من واقع الناس، بل خذوه من مصدرية: الكتاب والسُنَّة وكذا من العدول الراسخين في العلم.

كونوا منهجين علميين في التناول والبحث، ولا تلقوا بأنفسكم في التهلكة جرّاء الجهل.

الفصل الثالث: "مقابلة بين كتابين"

في الفصل مقارنة بين كتابين لكاتبين إسلاميين.. وكلاهما له منّي الحب والتقدير والدعاء بحسن الخاتمة. إلا أنّه لا بد ممّا ليس منه بدُّ.

منشار الغلو قطع اللحم وابتدر العظم!

¹ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (209/10).

لم يعد للسكوت أو التغافل مكان.. لا بدّ من البوح والبيان..
شباب الأمة يقرأ، وبعضه يحمل السلاح جرّاء ذلك ودون هدي.
دعوة الإسلام وأمن الأمة في الميزان..

الغيور مُخَيَّر بين أمرين:

إمّا تقديم المجاملة للأعيان والهيئات، ومن ثم السكوت على داءٍ
واقِع، فَاتِكَ بجسد الأمة المنهك أصلاً..
وإمّا البيان والنُّصح وتحمُّل التبعات. والدين النَّصيحة.
ويفعل الله ما يريد.

الفصل الرابع: "منهاج الدعوة للإسلام"

يُذَكِّرُ الفصل تكراراً- وقد انحرقت البوصلة لدى البعض - أنّ دعوى
الإسلام كما أمر الله وأراد هي:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل:125).

كل قولٍ أو فعلٍ أو عملٍ يَحِيدُ عن ذلك المضمار ساقط الاعتبار
ومخالف لما أمر الله به.

نحن في وقت حرج.. أصبح التذكير بتلك المُسَلِّمة العقديّة والحركية
من الضرورات التي ينبغي على الدعاة الصدّع بها.

الفصل الخامس: "عن الوهابية"

ظهرت تلك الحركة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، وذلك في نجد من جزيرة العرب في مجتمع يغلب عليه حينها البداوة وخبثونة العيش.

جوهرها: عقيدة المسلم وتنقيتها من البدع، ومن ذلك: تقديس القبور والمقبورين، والاستغاثة أو الاستعانة بهم، أو اتخاذهم واسطة أو وسيلة بين العبد وربّه.

بلاء عمّ في تلك البلاد حينها، بل وفي سائر البلاد الإسلامية. أنجزت تلك الحركة فيما قامت من أجله ما أنجزت، إلا أنّ الداء - وإن قلّ استفحاله - ما زال له وجود معتبر، وخاصة في أوساط الشيعة ومبتدعة الصوفية.

فَلَمْ لَا تُجَدِّد الدعوة لنقاء العقيدة وبخطاب عصري؟!
الحال الراهن في عالم المسلمين: انزواء للعلم وضعف الأخذ بالأسباب مع تقدم لغيب كاذب ألا وهو ملف القبور.
والنتيجة: بطء النهوض وسوء العاقبة.

الفصل السادس: دمج السياسة بالدعوة: أزمة للدعوة والسياسة معاً!

الدعوة مادتها وموضوعها: المقدس.. الكتاب والسنة.
وأما السياسة: فموضوعها إدارة المصالح الجارية.. فكر واجتهاد، ليس مقدساً، ومهما كان موقع حمّلتها في سلم الصلاح.

إذا كيف لعاقِلٍ فضلاً عن مفكر أن يرض بدمج المقدس وغير المقدس معاً؟ ثم يقف منافحاً عن ذلك المركب الذي لا تجانس فيه؟!!

الفصل السابع: "جذر الغلو عند الشيعة"

الغلو الشيعي من أزمت الأمة الكبيرة.. فضلاً عن الضلال العقدي فيه، هو باب واسع لسفك الدماء وخراب العمران.

في الفصل جدل مع أصل ذلك الغلو.. الاستقطاب الطائفي والدماء الذي اقترفها لا ينبغي أن يقابل بالسكوت.

الحق مرٌّ.. ولكن لا بد مما ليس منه بدُّ.

والله من وراء القصد،،

الفصل الثامن: "لمن يعتبر! الشورى"

المشهد في حال المسلمين وفي التاريخ والحاضر يسوده تفشي الاستبداد وغياب الشورى..

اعتلى الاستبداد الحكم في معظم الفترات.. مهمة الحكم الأساس هي إدارة المصالح المشروعة المشتركة للناس.

أمر سبحانه وتعالى أن تكون تلك شورى بينهم حيث قال عزّ من قائل: ﴿...وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ (الشورى:38)، والآية بصيغة

الجمع أي بينهم كلهم.

كل من له قسطٌ في "الأمر" قلّ أو كثر ثبت حقه في الشورى. ثم لم

تلك الشورى؟

والجواب: قضايا إدارة المصالح ليست علمًا مُحَكَّمًا مُحَرَّرًا نَاجِزًا يلتزم به الجميع، بل فيها للعقول نظر وأقوال، والله وحده أعلم بأفضلها.

الأخذ بحكم القلّة يعني فيما يعني إلغاءً لنعمة التنوع في النظر، وكبت لعقول كثيرة أن تفكر في أمرها ومصالحها.
ذلك عين ما أصابنا في تاريخنا وأودى بنا إلى ما نحن فيه.
والشاهد: ما مغزى ذلك؟:

المُصلِح - في حالنا- أيًا كان: فردًا أو هيئةً أو حركةً أو حزبًا عليه أولاً - وقبل كل شيء- أن ينظر في أصل الداء، وأصل التخلف ألا وهو الاستبداد وما أفضى إليه من تغييب العقول وهجر العلم. هل ما يدعو إليه المُصلِح ينفي ذلك وينصب الشورى أم لا؟
ما يدعو إليه في حاضرنا القائلين بالمرجعية الإسلامية مآله استبداد حزبي باسم الدين، ومهما حسنت النوايا وأتقنت عبادات الشعائر.
فهل من مراجعة ورجوع؟!

الفصل التاسع: "التعبئة المعنوية بين الإفراط والتفريط"

أعرض فيه لصدق الخطاب الدعوي.. ولا يكون صادقًا إلا أن يكون وسطياً خالياً من الإفراط والتفريط.
البعض يأخذه الإنشاء اللغوي بعيداً.. وذلك طمعاً في إثارة العواطف والتعبئة.

إلا أنه خطاب - ومهما كانت بلاغته- لا يرتكز على جدل مع العقل وحشد لحقائق الواقع والعلم لن يكون مآله خيرًا!

الفصل العاشر: "الطاعة وموقعها"

يحاور الفصل موضوع الطاعة: أين مكانها وما مداها، أمر الطاعة خطير: إذ تعني أن يأخذ المرء بما يؤمر به دون أن يفكر أو يعترض. تمس العقل مناط التكريم وأصله في عالم الإنسان هي أداة الاستبداد والمستبدين.. لذا وجب البيان.

ومما يُذكر:

أشير إلى ما ورد في كتبي السابقة في مواضع، ذلك ليس ترويجًا أو زهواً، بل كي لا أكرّر ما ورد فيها.

كما أشكر الدكتور عبد المالك واضح، الأستاذ بجامعة الجزائر الذي قام بالتصحيح اللغوي قبل طبع الكتاب.

والله من وراء القصد،

محمود زايد المصري

18 ربيع أول 1444هـ الموافق 2022/10/14

الفصل الأول دين الرحمة للعالمين

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

مأزق حضارة العصر:

مأزق ذو شعب:

- البيئي.
- الطبقي الاقتصادي على مستوى دول العالم وبين الأفراد داخل الدول.
- الأخلاقي وهو بفروع وتداعيات ومن ذلك.
- الاستكبار بالسلاح، وأخطره النووي! العالم مهدد بالفناء جرّاء أسلحة الدمار الشامل!
- فوضى اللذة أفضت إلى انهيار الأسرة ومن ثم فوات النسل السوي.
- هيمنة "المال" وقِيمه على سائر القِيم، القِيم الأخرى تلاشت أو في الطريق إلى ذلك!
- اللذة والمال أفضيا إلى اقتراف أبشع الموبقات والجرائم.
- أصل المأزق هو وَهْمُ الإفلات من العقاب، وجذر ذلك ضعف الإيمان باليوم الآخر أو عدمه.

القول: "نحيا حياة واحدة" مضلل وخطير! بل نحيا أكثر من مليون حياة! منها حياة واحدة قبل الموت والباقي بعد الموت!
والشاهد: أن الوحي الإسلامي فيه الدواء لكل ما تقدم، الحاجة جدُّ مُلجّة للإسلام، الدعوة للإسلام، تلك هي المهمة الأولى حقًا لكل مسلم تقي غير قادر على ذلك.

التديّن السياسي المعاصر خائض في أحوال السياسة الراهنة مع الخائضين إلا من رحم الله، لم يصف للسياسة خلقًا أو سمناً جديدًا، بل اقتبس سلوكياتها من السوق السائد: أساء بذلك للإسلام والمسلمين. كما تناسى الدعوة إلى الله إلا في الشعار، تناسى رأس الأمر كله، ومهما حسنت النوايا.

المطلوب حقًا في كل زمان، وفي هذا الزمان بالذات هو تديّن دعوي. نشر الإسلام بين من لم يصلهم ذلك الدين القيم، إيصال الرّحمة للعالمين.

الإسلام في أصله دعوة إلى الله، وما أدخله في الصراعات الأولى إلا عدوان الجاحدين لمنعه من تلك الدعوة فكان ما كان. الزمن الراهن مختلف.. حرية الفكر، وحرية نشره، والبوح به مكفولة إلى حد بعيد، ووسائل ذلك عظيمة. لم يعد عند أحد القدرة على حجر الأفكار، ومنع نشرها بين الخلق.

لسنا بحاجة للتجيش وحمل السلاح كي نتمكن من قول الحق الموحى به من السّماء، وبيانه للناس. إنّه العصر الذهبي للدعوة.

والحال كذلك: الطريق واضح، دعوة إلى الله بالوحي وإقامة الحجّة على الناس في الداخل والخارج، ويفعل الله ما يريد.

ليس من مهمة المسلمين هداية الناس بالعنف أو القوّة أو التخويف، ذلك جليٌّ في الوحي بالتواتر، كما ليس -على أي حال- باستطاعتهم ذلك. أضف أن لا جدوى من ذلك أصلاً.

دون الحركة الذاتية للضمير الفرد نحو الصلاح وتغيير الذات إلى درجة أعلى من الخلق والالتزام الطوعي لا فائدة ولا جدوى.

قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (الرَّعْدُ:11).

ما في النفس خافٍ عن الخلق وهو بين الإنسان وربّه¹، لا يجدي في ذلك العنف والقسر، بل لا بدّ من قرار ذاتي طوعي للفرد دون إكراه. كما أنّ ذلك ما يأمر به الدين. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل:125)، هذه الآية الكريمة العظيمة هي فلسفة الدعوة وسبيلها ووسيلتها، وغير ذلك خروجٌ عن الهدى واتباعٌ للهوى، ومن باب السيطرة، والعلو في الأرض.

1 الآية الكريمة سنّة -قانون- لله جارية، تحكم التغيير أيّاً كان، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. وبناءً على ذلك كرّرت فيما كتبت سابقاً أنّ تسعة أعشار الدين بين العبد وربّه.

أثر الزمان والمكان

الإسلام في صدره الأول، ومنذ النبوة كان أمامه أمران مترابطان إلا
أنهما مختلفان:

أولهما: عقائد وأخلاق ومقاصد؛ تضيء للبشرية طريقها إلى
السعادة، في كل زمان ومكان، وحتى يوم الدين، وإيصال تلك
المنظومة القيمية إلى نفوس الناس. تلك في مجملها ما سميت في
العلوم الإسلامية بأحكام التبليغ.

وثانيهما: التعامل والتعاطي مع بيئة محلية وعالمية لها عاداتها،
وتقاليدها، وأعرافها، وبناؤها الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية،
والسلوكية في الحرب والسلم، مع الاسترشاد بالمنظومة القيمية
الإسلامية السالف ذكرها. تلك لها ارتباط بزمانها، وما سادها من
أعراف الأمم، وعاداتها وبناؤها حينها.

المواقف العملية خلال تلك الفترة؛ هي من أحكام الإمامة والقضاء،
وينقضي الاقتداء بها بانقضاء زمانها وقد ذهب (ومن ذلك طرق
الأسر- الغنائم- السبي- الاستعباد- العقوبات بدون نص قرآني عابر
للزمن).

كما كان الغزو حروباً وقائية، وجزء من إدارة سياسة الأمن الوطني
حينها، ومتربط بزمانه. الآن وقد تغيرت الظروف، والأحوال،
والعلائق بين الأمم، واستوت إلى ما نحن فيه من منابر، وهيئات
ضابطة، واتفاقات، ومعاهدات. ليس من العقل، فضلاً عن الدين،

والحكمة، أن يتمسك البعض بما ساد في الماضي من وسائل المعاملات، وكأنها جزءٌ من الوحي الخالد. تلك كانت لزمانها وحسب، وأي تجاوز لهذا فيه إساءة لدين الإسلام، ومستقبل الدعوة وحاضرها.

لقد أساء لدعوة الإسلام -بعد الصدر الأول- مَنْ جعل طرق إدارة الأزمات، وحفظ أمن الدولة، وإدارة الحرب؛ هي ذاتها ما كانت عليه في الصدر الأول بحُجَّة الاتباع. تلك حُجَّة داحضة! وإخفاق في الفهم. الوحي نزل للناس جميعاً، وبيَّنه أولي الألباب والنُّهى.

وسائل الأزمات في تعيُّر دائب لا يقر! رأينا مَنْ رفع شعار "الإسلامية" من حتى لاحق المصطلحات اللغوية، وكى يكون سَمْتَه تراثياً محضاً!: جعل الوزارة "ديوان"، والرقابة "حسبه"، وهكذا مظهر.. مظهر.. والقليل في الجوهر.

رحمة عامة للعالمين

اتباعاً لدينهم ينبغي أن يكون المسلمون رُؤَاد الرَّحمة للعالمين، لكل الناس: المؤمن وغير المؤمن، وكل بقدرٍ موزون، وفي ظل العدل، والكرامة للجميع.

قرَّظ الرسول الكريم ﷺ حِلْف الفضول، وقال ما معناه: "لو دُعِيْتُ به في الإسلام لأجبت"¹. التحالف لم يكن بين متفقين في العقائد أو المصالح، بل لقاء على فضيلة كبرى؛ ألا وهي نصره المظلوم.

1 أخرجه: الإمام أحمد.

ثم مَنْ أسقط صحيفة المقاطعة لبني هاشم في عهد الرسالة؟ إنهم ثلثة من الناس ليس فيهم مسلم! ومحض غيرة في صدورهم على الأُخوة الإنسانية.

نحن بنو آدم، كتب الله سبحانه وتعالى علينا أن نتعايش على كوكب الأرض، رغم اختلافنا في العقائد، والمصالح والنظر.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هُود: 118)، وأمرنا سبحانه وتعالى -رغم اختلافنا- أن نتعاون، ونتعارف، ونتبادل العلم والمصالح: وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحُجُرَات: 13)، وقال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ (المَائِدَة: 2)، وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المُتَحَنَّة: 8). بيّن الله سبحانه وتعالى أن ما يسمى في الحاضر "التعايش السلمي" بين الناس من أمهات الفضائل، ومن الحكمة المأمور بها كل من آمن بالقرآن.

وأما ميزان الناس عند الله سبحانه في الآخرة؛ فهو موقع الفرد من التقوى ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ (الحُجُرَات: 13)، التعايش السلمي مع كل الناس واجب على المسلم، يأمره به دينه، وكذلك

التعاون، وتبادل المعارف، والعلوم، والمصالح في إطار من العدل وحقن الدماء.

لا يُصنَّف الناس في هذا الباب فُسطاطين، كما يزعم الغالون، بل الكل سواء ما قَبِلَ التعاون دون عدوان. تلك حكمة بالغة لإدارة المجاورة في أرض الله الواسعة.. كوكب الأرض الجميل.

فضلاً عن أنها عبادة لله بإنفاذ ما أمر، هي ركن أساس في عبادة الإعمار، والتي وردت تكررًا في القرآن الكريم بالنص تارة، وبالمعنى تارةً أخرى.

عبادة الإعمار مهمة البشر جميعًا

إعمار الأرض المكتوب على الإنسان من الخالق سبحانه، لا ولن يقوم به المسلمون وحدهم، بل جهدٌ بشري شامل، وتلك من قوانين الخلق وسُنن الله الجارية. وكل يؤجر فردًا فردًا بقدر ما ساهم في ذلك البناء المكتوب، أو حض عليه أو دعم شموله، وفعاليتيه. بعض هؤلاء يؤجر على ما تقدم في دنياه، والبعض الآخر في دنياه، وآخرته، وآخرون أجرهم على الله يوم المعاد.

فمثلاً: قال الله تعالى: ﴿... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هُود:61)، الآية الكريمة؛ خطاب من نبي الله صالح -عليه السلام- بوحى من ربه لقومه وهم على الكفر. وآيات القرآن في ذلك كثيرة.

والشاهد: أن الأمر بالإعمار سنة جارية على الناس جميعًا. المؤمن وغير المؤمن. غير المؤمن يمتثل للأمر بالوازع الطبيعي، ولا خيار له في ذلك، والمؤمن بالوازع عين الطبيعي، والشرعي معًا.

والحال كذلك: ما هو دور المؤمن في تلك العبادة المحورية؛ ألا وهي عبادة الإعمار؟ وهو المأمور بالإحسان في كل شيء، والجواب ذو شقين:

ما يخصه: أن يعمل جاهدًا كادحًا لا يكل في البناء، والإعمار، وذلك بطلب العلم، والحكمة أينما وُجِدَت، بل تلك ضالته كما ورد في الهدى، والعمل بذلك.

أن يتعاون مع خلق الله جميعًا - مؤمنهم وغيره - في هذه المهمة الكونية الجليلة، تلك لا يليق بها إلا كما أمر الله وأراد. تلك عبادة عابرة لجدل العقائد، وخلافات الناس حولها، وما يتمخض عن ذلك من نُظْم ومفاهيم. بل من واجبات المسلم أن يستفز الخلق جميعًا للإسهام في الإعمار، ويجعلهم عونًا له، ويكون عونًا لهم دون حدود، ذلك إن أراد الإحسان في طاعة الله في تلك العبادة الجليلة.

زماننا الراهن الزاخر بالعلوم، والمعارف، والوسائل خير شاهدٍ على ما جاء به الوحي الإسلامي، ذلك أن إعمار الأرض طاعة لله شاملة جارية على كل الناس دون استثناء، ولا خيار لهم في ذلك، ولكل امرئٍ ما نوى.

يؤسفني أن أقول: إنَّ الغالين في زماننا - أهل الفسطاطين- لا يدركون أو لا يريدون تلك المعاني البيّنة في هدي الإسلام، جعلوا -نصًّا أو ضمناً- من وحدة العقيدة والاعتقاد كل شيء، نظموا صفوفهم وعبّأوا طاقاتهم على فهم ضيق خاطئ. فهمهم الواحدي هذا فيه إشارة إلى المعاد: جنة أو نار، تخطوا الدنيا وما فيها تعسفاً واختصاراً مُخلأً.

لا تعدل جناح بعوضة!

"الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة"، كما ورد في الحديث الشريف.. نعم.. كلام حق من حق¹. ذلك عند الله أيُّها المسلم، ولكن عند ابن آدم الضعيف، الدنيا هي أمله في العمل، والكدح، والإعمار كي ينجو، ويصل بإذن الله إلى دار الخلود - الجنّة-.
الإدارة الحكيمة الرشيدة لشأن الدنيا، والكدح فيها - رغم أنّها لا تعدل عند الله جناح بعوضة- هو الطريق الوحيد إلى الجنّة.

المشترك الإنساني

نحن نقول: إنَّ الإسلام دين الفطرة الإنسانية، أي مهيمن على خلق ابن آدم وكيانه. بعض تلك الفطر قابل للإنكار، والإخفاء بإرادة الفرد، ومن ذلك توحيد الله، والإيمان به سبحانه، فتن سبحانه الخلق في ذلك حيث أراد لهم حرّية الشرك به، ولكن فطر بن آدم ليست التوحيد وحده، بل فطر كثيرة لا يحصيها إلا المُحصي سبحانه وتعالى، ولا

¹ علم الفلك الحديث يُقدّر فُطر الكون بمسافة 186 مليار سنة ضوئية!! ومن ثم كوكب الأرض - الذي عليه دنيانا- حقًا لا يعدل جناح بعوضة!!

حيلة للإنسان في تبديلها أو إنكارها بإرادته. تلك سننٌ جارية تفعل فعلها في وجود ابن آدم دون توقف، وأراد أو لم يرد، ومنها: ضعفه، ونسيانه، وجهله، وميله للظلم، وحبه للجمع والشهوات بأنواعها، تلك الكامنة في كيمياء خلقه، ومصيبة الموت التي تتربص به، وغير ذلك كثير.

والغرض من هذا التفصيل: أنَّ المشترك الإنساني بين الناس جدُّ واسع ويعز على الإحصاء، إنَّه مشترك الخضوع الجامع للسُنن الجارية التي فطر ابن آدم عليها منذ خلقه الأول. كما أنَّ كل آدمي أيًّا كان فيه نفحة من روح الله ورثها من أبيه آدم -عليه السلام-، وقبل الأديان والعقائد جميعًا.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: 29). وقال ﷺ: "الناس من آدم وآدم من تراب" ¹، تلك السنن، والفطر، والقوانين الجارية عابرة للعقائد، والآراء والمقولات. في مناخ الغلو الظاهر، والمنمق الذي نحياه، كدنا أن ننسى ذلك. كدنا أن ننسى الرَّحم الذي يربطنا بالبشرية، وننسى مع ذلك أثر التعاون، والتبادل العلمي، والمعرفي، والبناء المشترك إعمارًا للأرض كما أمر الله وأراد.

¹ أخرجه أبو داود في الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب (4452).

قال تعالى: ﴿...حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا نَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: 24).

ونتساءل: من المكلف بإعمار الأرض وتزيينها؟ والجواب: هم بنو آدم جميعاً دون استثناء! بنو آدم بتعاونهم، وتحالفهم الخيري في هذا هم المكلفون. دور المؤمن بالله أن يعمل ما بوسعه كي يبلغ التعاون، والتحالف مداه قوة وأخذاً وعطاءً لبلوغ الإحسان في الطاعة.

حلف فضول كوني¹

ورد في سورة البقرة، الآيات (29-39) أن الله سبحانه وتعالى عند خلق آدم -عليه السلام- نفخ فيه من روحه. وتلك النفخة غرست فيه فطراً كثيرة ومنها: إنه مخلوق حرٌّ كريمٌ.

حرٌّ في أن يختار مصيره بنفسه، وليس مسخراً للعبادة والتسبيح كسائر المخلوقات الأخرى.

وكريمٌ بنعمة العقل، والقدرة على كشف العلم، وقد علمه الله سبحانه الأسماء كلها.

إنه خليفة في الأرض كلّفه الله إعمارها وارتفاق خيراتها في معاشه.

¹ ينبغي للمسلمين أن يحققوا ذلك الحلف الفاضل داخل أقطارهم كمدخل للعمل به وله في سائر الأرض.

فإن تأملنا ما تقدّم، وإنّ ذلك هو الغرس الأساس عند الخلق الأول،
فهنا أنّ بني آدم جميعاً شركاء في أربع:

- قمع الفساد والظلم وحقن الدماء.
- حفظ الحرية والكرامة لكل آدمي.
- التعاون الشامل في كشف العلم.
- العمل معاً على إعمار الأرض وتزيينها.

وبناءً على ذلك:

العمل الشامل الجماعي لبناء العدل والسلام والاستقرار على
الكوكب.

المسلم ينبغي أن يعمل لهذه القيم بوازع الفطرة والعقيدة، وغير
المسلم يعمل لها بوازع الفطرة التي تسكنه.

في رحاب آية

قال تعالى: ﴿... قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (البقرة: 256).

وقال تعالى: ﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف: 29)

العبارة الأولى هي المفضية للثانية، وهي بمثابة شرط لها، بمعنى: لا
بدّ أن يتبيّن أولاً الرُّشد من الغي، وحتى يكون الخيار بين الإيمان،
والكفر عن علم وبيّنة، وفي حينها فقط يكون من اختار خياره حجّة
عليه ﴿... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر: 31)، وقال تعالى: ﴿... وَمَا
كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: 15)، والله سبحانه أرسل
الرسول منذ آدم - عليه السلام - الذي كان رسولاً لذريته الأولى. وأما

العبرة من الآية: لا بدَّ أن تصل رسالة الرسول إلى الفرد المكلف بيّنة واضحة جليّة دون تشويه، وحينها فقط تصبح حجّة عليه.
والشاهد: أنّنا بهذا ننبه المسلم أن من ليسوا على الإسلام في عصرنا الراهن أغلبهم لم تصلهم رسالة الرسول الخاتم ﷺ بشروطها كي تصبح حجّة على مفرداتهم.

ذلك حال ثقافي، وعلمي بيّن في زماننا. وبناءً على ما تقدم فإنّ الوعيد الوارد في القرآن لا ينطبق على هؤلاء الأغلب، وهم في حكم أهل الفترة والله أعلم، وأمرنا وأمرهم إلى الله ﷻ.
المشكل في هذا: تقصير من المسلمين في إيصال هدي الإسلام للناس، وكل بما يطبق، ولنستبين حجم المهمة الدعوية التي تنتظرنا إن أخلصنا العمل لوجه الله، ورتبنا أولوياتنا بحقٍ وصدق، وكذا لنستبين أنّ هؤلاء الأغلب ليسوا بالضرورة من حطب جهنم! وكذا أنّ التعاون معهم في شؤون الدنيا أمرٌ حكيم كما الحوار معهم في عقائدهم وما يظنّون.

قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: 207).

إعمار الأرض مهمة لكل بني آدم

وآية جليلة أخرى توجب التعاون في عبادة الإعمار:

قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَلاءِ وَهُوَلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۗ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: 20).

والعطاء هنا هو كل خير، وتوفيق في شؤون الدنيا. وذلك هو ما يليق بكلام القرآن.

إن أحسن الكافر في طلب المال يعطيه الله المال، وإن أحسن في طلب العلم أيًا كان مجاله يعطيه ما طلب¹.

وكذا في البحث العلمي أيًا كان مجاله - حيث اصطلح الناس على التصور أنّ ذلك مقصور على علوم الجمادات والعجاوات-. ذلك أقل من شامل العطاء في الدنيا، بل العطاء العلمي أيضًا في علوم الاجتماع البشري والاقتصاد والسياسة. من أخذ بصحيح الأسباب في ذلك جادًا مجددًا يعطيه الله فيه.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا...) (يونس: 44). الناس، مطلق الناس أيًا كانت عقائدهم. وسر ذلك أن الأسباب سُننٌ من سُنن الخلق بثها الله في مخلوقاته في السماوات والأرض، وهي تفعل فعلها لمن أخذ بها أيًا كانت عقيدته. نعم.. هناك للمؤمن من الأسباب قطاع خاص به لا يشاركه فيه مَنْ لم يؤمن، وذلك يتمثل فيما وعد الله به المؤمنين توفيق للصواب ومن ثواب على العبادة، والذكر، والدعاء مقرونة بالعمل الصالح الخالص. إلا أن القطاع العام من الأسباب التي سخرها الله سبحانه لكل بني آدم لا يحصيه بشر بل يحصيه المُحصي سبحانه وتعالى.

والشاهد: ما الباعث على هذا التقدير؟

¹ كما أنّ من طلب مخلصًا الهداية للدين الحق وفقّه الله لذلك.

والجواب: إزالة وهم عند كثير من المتدينين أنّ إنتاج العقول والأيدي من غير المسلم لا بدّ أن ينظر لها بحذر، وأنّ الضلال فيها مقدّم على ما سواه. ذلك الفهم الخاطئ شائع وبالذات في العلوم¹ الإنسانية: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والنفسية. وأرى أنّ المنهج السليم في هذا أن نفهم ما يلي:

السُنن الكونية - الأسباب - التي تحكم حركة الإنسان وغيره في الدنيا؛ حقائق جارية على كل المخلوقات دون تمييز، تنفعل لمن وظفها، وعمل بها بحقها.

تلك السُنن هي دستور المخلوقات جميعاً، خلقها الله قبل قضايا الإيمان، وخلاف الناس عليها، تلك هي القانون الشامل القبلي الذي جعل الله سبحانه به الكون منضبطاً تحكمه قوانين سارية إلى يوم الدين دون فطور أو اضطراب، وسواء عَلِمَ الناس أو بعضهم ذلك أو لم يعلموا!

الموقف البناء الحصيف الحكيم من المسلم المعاصر أن يجعل كل جديد في العلم، وفي أي مجال، ومن أي فم خرج محل نظر واعتبار إن ثبت بدليل بيّن. يُستثنى من ذلك ما صادم نصّاً، قطعي الدلالة والثبوت من القرآن أو السُنّة. ذلك الاستثناء لا علاقة له بقائل ذلك

¹ ما ورد في القرآن الكريم هو كلمة "عِلْم" مفردة ولم تُرد بالجمع أي "علوم" ولا مرّة واحدة! ذلك أنّ العلم أيّاً كان هو "معرفة الشيء على حقيقته" وفي أيّ مجال كان. لقد لجأت في بعض المواضع لجمع الكلمة أي "علوم" وذلك للتبسيط وتماشياً مع ما اصطلح عليه مدرسياً.

الجديد في العلم، بل مصدره أنّ ربَّ الأسباب وخالقها سبحانه بيّن
بنصِّ صريح وهمية ذلك الجديد ليس إلا.

ذلك الفهم القويم العادل لنتاج الفكر والعمل الإنساني يجعلنا نرى
العالم بمنظار جديد!

نحن بنو آدم جميعاً عيال الله وعبيده، وخلقه أردنا أو لم نرد! لا سبيل
لأحد أن يتخلص من إنسانيته وما يضبطها من سننٍ وما سُخِّر لها من
نعم. المشترك الإنساني بيننا في أصل الخلق، وفي أدوات المعرفة،
وإنتاج العلم لا تحده حدود، ومن ثم وحدة الجهد الإنساني في كل
العلوم من مُسلّمات الوجود.

المسلم أولى الناس بهذا الفهم الشامل للأخوة الإنسانية، ولحركة
الخلق، حيث جاءه من العلم ما يكفي في أم الكتاب.

يُحزننا أن نسجل هنا غياب ذلك الفهم عند أغلب المسلمين في عصرنا
الراهن. ففي أذهانهم يخطر دائماً: شرق وغرب، ومسلم وكافر، قبل
النظر والفحص.

أخي المسلم: لا تثريب عليك.. خذ ما ثبتت جدواه وصحته دون النظر
لشخص من أنتجه أيّاً كان.

خذ من علوم الاجتماع، والإدارة، وسياسة المجتمعات ما لا يصادم
عقيدة إسلامية قطعية الثبوت والدلالة. الناس جميعاً تحكمهم سنن
واحدة تخضع لها رقابهم وسواء شاءوا أم أبوا. وأما الخلاف في عقائد

الدين فله مجاله، لكن المشترك الإنساني واسع بالغ لا يحده إلا قطعي الدين.

قال تعالى: ﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة:30)، والخليفة هو آدم وذريته جميعاً، المؤمن وغير المؤمن، ولكل ما عمل وما نوى.

الدين والحياة العامة

ينقسم أهل الرأي تجاه علاقة الدين بالحياة العامة - ومن ذلك الدولة وهي الهيئة التي أوكل إليها إدارة الشأن العام - إلى مواقف رئيسية ثلاثة:

أولاً: يرى البعض أن النص المقدس فيه كل شيء وما على المرء إلا أن يرجع إليه، ويأخذ منه الجواب لكل ما تحتاجه الحياة.

ويحتج هؤلاء بنصوص وعلى رأسها قوله تعالى: ﴿...مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (الأنعام:38)، والآية حق من حق إلا أن فهمها يحتاج إلى تدبر¹ ذلك القول يحتم أن يقود الحياة، ويديرها المتخصص في النصوص المقدسة، ودون منازع، وأمّا ما عداه فهم متلقون.

ثانياً: كما يرى بعض آخر أن النص المقدس ينقسم إلى بايين كبيرين، **أولهما:** نصٌّ محكم مفصّل في مسألة بعينها من شؤون الحياة، وذلك يُؤخذ كما ورد، وهو في تلك فصل الخطاب، ومثال ذلك: الزواج،

¹ في فصل (25) بعنوان: "كمال الدين" من كتابي "الحرية أولاً... خواطر في التاريخ والسياسة" الطبعة الثانية - دار الخلدونية- الجزائر 2020م بينت ما أراه.

والمواريث، والحدود، والأخلاق، وبعض المعاملات، وما ورد في العبادات، ونصطلح على تسمية ذلك القسم "بعبادة الذكر"، وأغلب هذا الباب من فروض العين على كل مسلم.

وأما الباب الثاني: فهو أوامر عامة بإعمال العقل، وإبداع الحلول بضوابطها الأخلاقية التي بيّنها الشرع. ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ (النحل:90).

وقال تعالى: ﴿...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾ (الزمر:9).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13).

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:20).

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (الزوم:42).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران:190).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وقد وردت 14 مرة في

القرآن، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿...إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:36)

وقوله تعالى: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبْأَبِ﴾ (الزمر:17،18).

وغير ذلك الكثير من الآيات والأحاديث، والتي تحض بني آدم على أعمال عقله، وجوارحه في معرفة الله والإصلاح والبناء. وأسسِي هذا الباب فيما أكتب "عبادة الأعمار"، وتلك لا تحدها حدود إلا ما حرّم الله بنصّ قطعي، ومعظم عبادة الأعمار فروض كفاية يقوم بها القادرون عليها كلُّ بما يطيق.

والإنسان جرّاء ذلك في كدحٍ إلى أن يلقي ربّه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق:6).

تأخذ الأرض بكدح الإنسان زينتها، وزخرفها إلى أن يأتيها أمر الله. قال تعالى: ﴿...حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ...﴾ (يونس:24).

مآل الفهم الأنف ذكره أن يكون دور الفقهاء الرئيس هو القسم الأول؛ أي عبادة الذكر، وأمّا القسم الثاني فهو من مهام العلماء، والمتخصصين كلُّ في مجاله، وسواء في الاقتصاد، أو السياسة أو

الاجتماع، أو البناء، أو الطب وغير ذلك. ليس لذلك حد إلا القِيم الأخلاقية، والحدود الشرعية التي أمر بها الدين الحنيف.

تلك هي مساحة الحرّية التي منحت للمؤمنين، وعقولهم كي يبدعوا دون تردد فيما ينفع معاشهم، ويحققوا بذلك تسخير المحيط المادي بالفعل، والذي سخره الله سبحانه لبني آدم بالقوة بنص الوحي، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ...﴾ (الجملة: 13).

ثالثاً: وأمّا القسم الثالث فلا يرى في الدين ما يلزم البشر، وسواء أفراداً أو مجتمعات، فهم وما استحسنوه دون حدود من أخلاقٍ أو مفاهيم بعينها أيّاً كانت.

جوهر ما يقوله هؤلاء: إنّ ابن آدم ليس بحاجة إلى إرشاد السّماء! وأقصى ما يمكن "التفضّل!" به من قبلهم هو إعطاء الفرد الحرّية أن يعتقد ما يشاء، وأمّا المجتمع فيحدد ما يراه لذاته من خلال أغلبيه دون التفات لعبادتي الذّكر والإعمار اللّتين ذكرناهما آنفاً.

من يعتقد بوجود الخالق سبحانه ورسالاته لا يقبل قول الفصّيل الثالث، حيث يجعل إرشاد السّماء محض خيار شخصي وليس على المجتمع أن يأخذ به.

وأما الفصيل الأول فيُعطلّ - ودون قصد - ركن أساس ممّا أمر به الوحي وهو عبادة الإعمار¹ أو يبطل الحركة فيها نصّاً أو ضمناً. قولنا بأنّ الإسلام صالح لكل زمان ومكان لا يناسبه مطلقاً القسم الأول. حيث إنّ عبادة الذكر، كما نزل بها الوحي خالدة صالحة لكل زمان ومكان، ولكن عبادة الإعمار هي التي تجدد التديّن مع الزمن، ووفق أحوال المكان. تلك فرضها الله في نصوص من الوحي عامة، وأوكل تحقيقها بالفعل إلى العقل، والكدح البشري ولا سبيل إليها إلا بالعلم المبتكر الجديد في كل شأن.

الوحي لا يفصل في ذلك، القرآن كتاب هداية وإرشاد لعقلاء أحرار، ولا يتعرّض لفروع العلوم إلا بالإشارة مثلاً لأولي الأبواب. وأما القسم الثاني فهو الذي يضع الأمور في نصابها، ويجعل التكامل، وتحقيق التديّن الشامل ممكناً في الزمان، ومهما طال دون تناقض أو تنافر مع تغير مرافق الحياة وأحوالها.

¹ ابتليت الأمة الإسلامية لقرون عبر التاريخ بهذا الحال، وإن بدرجات، يوم أن أهملت فروض الكفاية، وعلى رأس ذلك طلب العلم الشامل، وكشف أسرار المحيط المادي، وبناء الجديد بذلك: قوة، ومنعة، ورقياً، ورخاءً. كانت الأمة عند كل إخفاق تتحسس أمرها: لماذا وقع ما وقع؟! وقد قمنا بما علّمنا من عبادات، وأذكار، وأوراد، ودعاء؟! فيقال - غالباً - كثفوا الجيوش وأكثروا من الخيل والمرابطين. أي محض تجييش وعسكرة لا تلمس جوهر المشكل ألا وهو: الضعف في "عبادة الإعمار" وغياب الاحتفاء بها من المجتمع والدولة، تلك العبادة التي تجدد الدنيا، وتصنع القوة، وتحقق الطاعة لله فيما أوحى وأمر. إلى أن وصل الغرب وغيره في العلوم المادية إلى ما وصل إليه، وانحدر حالنا إلى ما نعانیه من ضعف.

من وحي آية: - "الأمانة" هي "الحرية"

قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب:72).

فما هي الأمانة؟

مخلوقات الله سبحانه وتعالى على حالين وهما:

مُسَخَّر للعبادة والطاعة، لا يحيد عن ذلك أبدًا، حيث لم يعطه الخالق سبحانه القدرة أن يحيد. ومثال ذلك الملائكة الكرام، وسائر المخلوقات الأخرى (خلا الإنس والجن) فهي جميعًا - بنص القرآن- تُسَبِّحُ لِلَّهِ، وتتلقى أوامره، بالقبول دون معصية أيًا كانت.

مخلوقات مُخَيَّرَة، وهي في أصل خلقها منحها الله القدرة على الطاعة، وأيضًا القدرة على المعصية. أي بمصطلح العصر منحها "الحرية". في مقابل هذه المنحة الخاصة كتب سبحانه على الإنسان أن يتحمل مسؤولية خياراته (حرّيته). أي جنة أو نار، هذه المخلوقات المعنية بالحرية هي الإنس والجن.

والشاهد في هذا أنّ محض العبادة - التي تقوم بها سائر المخلوقات المُسَخَّرَة- لم توصف بالأمانة، تلك الأمانة التي حملها الإنسان وحده، وأشفقت منها سائر المخلوقات الأخرى وأبت أن تحملها. بل حال الإنسان كان متفردًا أن كلفه الله بالعبادة وزيادة، تلك الزيادة جليّة عظيمة خطيرة في آن، تلك الزيادة استهجنتها الملائكة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:30). لم ينكر الله سبحانه إمكان الإفساد، وبيّن سبحانه أنّ حرية الإنسان - ذلك الخلق الجديد- هي الطريق لكشف العلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿31﴾﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿32﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿33﴾﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:31،32،33،34).

والشاهد أيضاً أنّ تلك الزيادة الجليلة الخطيرة هي منحة الحرية، هي الأمانة التي تفرّد بحملها الإنسان دون سائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ...﴾ (القصص:68)، ومن ثم فإنّ المفصل التأسيسي القاعدي في الحياة السوية لأي مجموعة بشرية أن تحفظ ما خصّ به الله سبحانه البشر دون سائر المخلوقات ألا وهي "الحرية". وأرجح أنّ "الحرية" هي الضرورة الأولى¹، وتسبق كل الضرورات الأخرى أهمية، ومقاماً، حيث هي وحدها الخاصة

¹ في كتابي: "الحرية أولاً... خواطر في التاريخ والسياسة" الطبعة الثانية - دار الخلدونية- الجزائر العاصمة 1441هـ-2020م الفصل (24) بعنوان: الحرية هي الضرورة الأولى: تفصيل في ذات الموضوع.

الفارقة التي اختص الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات، وكان بها خلقاً معرفياً جديداً.

ومن ثمَّ: حَجَبُ الحرِّيَّةِ أو إضعافها (في غير عدوان على الغير)، ظلمٌ عظيم، ومعادنة للفطرة، وكبت لإنسانية الإنسان وإمكاناته، عندها لا يُرجى تقدم، أو رفعة، أو إعمار، أو عبادة حقَّة.

التنزع الذي يبيده البعض ممَّا قد تسببه الحرِّيَّة من مفساد، هو عين ما أبدته الملائكة عند خلق الإنسان أول مرَّة! أنظر الآية 30 من سورة البقرة! ردَّ الله سبحانه ذلك وبيَّن الحكمة من حرِّيَّة الإنسان، وعظيم أثرها في إنتاج العلم، وبناء الحياة.

حماية الحرية ودعمها بكل وسيلة ممكنة، ينبغي أن يكون لب السلوك، والقانون، ومنظومات العمل الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي. ذلك هو الباب الواسع للإعمار والرقى، وكذا الإحسان في عبادة الله سبحانه.

الدِّين والتدبُّين من منظورين: ولكلِّ أن يختار

نقول: وقد اشتد الخطب، واختلف الناس، واقتتلوا، ودُمِّرت أوطان، وشُرِّدت شعوب، فإن كان ولا بدَّ فلينظر العقلاء الحكماء الحاديين على الإنسانية، الحريصين على حقن الدِّماء، وتحقيق التعايش، والسلام إلى أحد المنظورين للدِّين والتدبُّين، وليأخذ كلُّ ما يناسبه:

أولاً: دين وتديّن عند المؤمنين، غايته رضى الله وجنّته، وهو وسيلة لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة بما يحويه من تعاليم وحكمة وإرشاد.

ثانياً: الدّين والتديّن عند غير المؤمنين؛ فليكن نظرية اجتماعية أخلاقية تقف منافسة، ومحاورة لما في الفكر الإنساني من نظريات. فليدع هؤلاء قضية الإيمان جانباً، ولينظروا إلى ما في النظرية الإيمانية من مفاهيم وتعاليم تحقن الدّماء، وتحفظ كرامة الإنسان، وتحث على التعاون، والعمل، والأخذ بيد الضعيف، وليختر كل ما يناسبه ممّا تقدم، ودون أحكام كلية مسبقة على الدّين والتديّن والمتديّنين. أليس الغاية هي التعاون بين الناس، وبناء الدنيا، وتحقيق الممكن من السلام والوئام؟ إذاً فليختر كل طريقه في أحد الخيارين، ودون افتتات أو تطاول على أي من خلق الله فيما اختار، أليس تلك هي الحرية التي جُعلت -بحق- شعار البشرية الأثير في زماننا؟!!

عن العلمانية: أين اللقاء وأين الخلاف

أولاً: تقديم

أصبحت العلمانية نظاماً للحكم في معظم دول العالم. هذا ما يقوله المعنيون بالأمر! ورغم ما في المصطلح من غموض، وكذا ما في تطبيقه العملي من تباين! إذ وسع ذلك النظام أكثر الأنظمة ليبرالية، وحرية - مثلاً: بريطانيا- وكذا أشد الأنظمة استبداداً واحتكاراً للسلطة، وسواء في شخص أو حزب، ومثال ذلك "الصين". أغلب

الأنظمة التي تصف نفسها بالعلمانية لا ترى للدين دورًا في الحكم، وإدارة المجتمع، أو تراه ثانويًا على الأكثر.

"المسلم" الغيور على دينه في سجال مع "العلمانية" بل وفي تراشق وشجار. ومن ثم وجب الحوار مع مصطلح العلمانية بشيء من التوسع. نحن في وارد التواصل مع الناس جميعًا، والحوار معهم رحمةً بنا وبهم، ذلك يقتضي التعرُّض للموضوع بشيء من التفصيل، وحيث إننا في وارد بيان الرِّحمة للعالمين في الإسلام، وحيث إننا أيضًا الأُمَّة الشاهدة على الناس بنص القرآن، من واجبنا أن نفهم العالم من حولنا، ثم نرى ما صح عنده وما يناسبنا منه، وكذا ما ينبغي لنا النصيحة به وجدله مع غيرنا.

ثانيًا: عن مفهوم العلمانية

مصطلح "العلمانية" اُختار في تحديده، وتعريفه المفكرون شرقًا وغربًا، ولا غرو فهو أحد نواتج ثورة ثقافية، ومعرفية شاملة، امتدت في الغرب بالذات- حول خمسة قرون.

اختلفت فيه الصراعات، والمعاناة، والآلام، والآمال، والفلسفة، بل والحروب، فهو يشمل حركة النهضة، وفكر التنوير، والحدائث، وفلسفات الحكم الكثيرة المتعاقبة، وكذا حركات رفض الدين مطلقًا، أو الأخذ بالقول "لا أدري ولا يعني".

فمن المفكرين من عرّف العلمانية أنها فصل الدين عن الدولة، والمجتمع أو فصل الدين عن السياسة، ومؤسسات الحكم ومنهم من

عرّفها؛ أنها نظرة شاملة للوجود لا ترى في الحياة إلا بُعدها الدنيوي¹ بما فيه من مادة، وعاطفة، وأمّا ما وراء ذلك فهو "وهم" أو "لا ندري" حيث "ليس عليه برهان".

بدأ الأمر في أوروبا كرد فعل على ما اقترفته الكنيسة البابوية، والسلطات المتحالفة معها في العصور الوسطى. ذلك هو الأساس: ثورة على المؤسسات الكنسيّة من جانب، وكذا سلطان الملوك، والنبلاء من جانب آخر. إلا أنّ هاذين الجانبين كانا بدايات الانقلاب الثقافي، حيث أنتجا كنيسة البروتستانت كمنافس للكنيسة البابوية، وكذا الملكية الدستورية، والمجالس النيابية المكونة من عامة الناس، حيث تبنى الحكومة، وتوجه سياساتها. بذلك انتهى دور الأرسقراطية في الحكم، وكذا سلطان البابوية على الضمائر.

إلا أنّ الأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ استمرت الفلسفة الغربية في الجدل حول ما وراء الطبيعة: حول الدّين... مدى صحته، ومدى حجّيته، ومدى جدواه، وكانت الغلبة في هذه التساؤلات تتراوح بين حدين:

أن يترك الدّين جزءاً من الحقوق الخاصة يعتقد الفرد من ذلك ما يشاء. إلا أنّ الشأن العام - بجناحيه الدولة والمجتمع - لا إلزام عليه في ذلك.

¹ ذلك ما يراه الدكتور/ عبد الوهاب المسيري فيما كتب ومن ذلك كتابه الحوار مع الدكتور/ عزيز العظمة بعنوان "العلمانية تحت المجهر" - دار الفكر - دمشق 1421هـ/2000م.

الفكر الغالي في عداء الدين، ومثال ذلك الفلسفات الإلحادية، ومنها الماركسية، وتجلياتها الفكرية، والعملية. تلك ترى أن الدين ظاهرة سلبية ومضيعة لعمر الإنسان وجهده، وذلك لاعتقاده بعدم وجود له!

وحيث إن تلك الثورة الثقافية الشاملة التي وُصفت بالعلمانية، بدأت انتفاضًا على هيمنة الكنيسة¹، واستبدال نظم الحكم فكانت مآلات ذلك إنهاء دور الكنيسة في السياسة، ولكن أيضًا - وبالتداعي- انتشرت الثقافة المعادية للدين أيًا كان، وللغيب أيًا كان. وحيث إن القيم المعيارية، والأخلاقية الثابتة، أصلها من العقائد الدينية، أصبحت تلك القيم محل تساؤلات، بل ورفض.

المسلمون جزءٌ من قاطني الأرض، وصلتهم تلك الفلسفات، والتيارات، وتفاعلوا معها كل على طريقته. وأصبح لكل من تلك التيارات أنصار وأتباع.

وجدت تلك الفلسفات، والتيارات عند المسلمين تربة جاهزة، وإن كانت جزئية، إذ للمسلمين أيضًا قصتهم الخاصة مع استغلال التدين وعبر تاريخهم، وذلك من القوى النافذة، وسواء حكام أو وجهاء أو شيوخ.

¹ بل كان الاستعمال الأول لمصطلح "العلمانية" في التاريخ الأوروبي هو بمعنى "تحويل أملاك الكنيسة إلى اليد العامة أي مصادرتها: المصدر كتاب د. عبد الوهاب المسيري " العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" دار الشروق - القاهرة.

تاريخ ذلك في ديار المسلمين لم يبدأ مع وصول تلك الأفكار من الغرب، بل سبقه بقرون. كانت خرجات وفتن، وقلقل، وثورات. وبغض النظر عن محتوى تلك الانتفاضات صحةً وخطأً، إلا أنها كانت تعبيراً عن التملل، والرفض للشكلية والنمطية التي تُثَبِّتُ مصالح المتنفيين والحكّام.

فمثلاً انفصال الأقاليم عن مركز الخلافة¹، وثورة الزنج، وحركة القرامطة، والحركات الشعبية، والحركة الفاطمية، وثورات العلويين المتعاقبة، بل ومجمل الحركة العباسية التي أطاحت بالدولة الأموية، وكذلك ظهور مذهب الشيعة الإثني عشرية في القرن الرابع الهجري، وما ذهب إليه فقهاؤه من ضرورة عِصْمَةِ وَلِيِّ الأَمْرِ، ولا يكون ذلك عندهم إلا في نسل الحسين بن علي -رضي الله عنه-، والحق أن العِصْمَةَ لن تكون لبشر بعد محمد ﷺ.

الشاهد: تاريخ طويل من الصراع، والتدافع بين المقدس الحق، وحامله المُخلصين، وبين منتحليه، وسواء كانوا من أهل السلطة أو المعارضين لهم.

بَدَّدت الأُمَّة وخسرت الكثير من إمكاناتها الكائنة، والممكنة في ذلك التدافع -الصراع المرير-، إلى أن وصل الأمر في بعض المنعطفات

¹ بدأ ذلك في المغرب على يد إدريس حفيد الحسن المثنى عام 172هـ-788م، ثم ابن طولون في مصر عام 254هـ-868م.

التاريخية إلى خطر على وجودها، ومن ذلك الغزو الصليبي واجتياح المغول.

كان للنهوض العسكري الذي قاده آل زنكي، ثم الدولة "الأيوبية" ثم "المملوكية" ثم "العثمانية" أثر كبير في حفظ وجود الأمة.. محض الوجود. لم يكن ذلك النهوض شاملاً علمًا، وعدلاً وقوةً كما يأمر الإسلام، بل كان عسكرة وتجييشًا على قوى الخارج مع غفلة أو تغافل عن الداخل، تآكل العزّ العسكري جرّاء ذلك التوجه وحيد الجناح! كيف لعز العسكرية أن يدوم، وهو يستمد القوة من الداخل علمًا، ورجالاً ومالاً؟!!

وقد نوى الداخل وأصابه الوهن جرّاء غياب العدل والعلم؟ الأمر محال!

كتب السلطان عبد الحميد الثاني -رحمه الله- في مذكراته¹:
"حصلنا على قرض جديد بشروط جيّدة، ولكن هل سنستفيد منه؟ وإلى أي حد سنجنّي فوائده؟ الخزينة على ما هي عليه من ضعف الإمكانيات. استقدمنا مرارًا خبراء أجانب، ولم نستفد منهم شيئًا. فالجيش، واللوازم القرطاسية يبتلعان كل موارد الدولة".

من هذه السطور القليلة نقرأ حال الدولة العثمانية في عقودها الأخيرة، في العلم: خبراء أجانب، وفي المال: دَيْنٌ، وفي الدين: ربا، وفي

¹ السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية 1891م-1908م مؤسسة الرسالة بيروت 1984م ص 74.

الصرف: لا شيء للمرافق المدنية، والتنمية، ثم القرطاسية، والجيش
لهما كل الموارد.

بعد ذهاب الدولة العثمانية ورثت الشعوب العربية، وغير العربية
تركة ثقيلة مُثْقَلَةٌ بالتقصير الفادح في الشأن الداخلي لقرون، فآل حالنا
إلى ما نحن فيه!

الموقف من العلمانية

أولاً: تقديم

المؤسف أن أغلب المتدينين لا يروا في العلمانية إلا فصل الدين عن
مؤسسات الدولة، ومن ثم يردونها كاملة، ودع ما يريبك إلى ما لا
يريبك، وحيث إنَّ العلمانية هي الفكر السياسي الشائع المهيمن في
دول العالم المعاصر. إذا السؤال ما البديل؟ وجوابهم: نأخذ ممَّا عندنا،
وحيث إنَّنا لم ننتج شيئاً عصرياً، إذاً ليس لنا إلا أن نعود لتراثنا نأخذ
منه، ألم نكن عظماء يوماً ما؟!

خلل فكري في موضوع جوهرى، هو قلب القضايا جميعاً. ألا وهو
سياسة الحكم وإدارة المجتمع. ولي على ذلك ملاحظات منها:
العلمانية التي ارتضاها الغرب لنفسه - ولاحقاً غيره من الدول -
وكأف مؤسسات الدولة المدنية الحديثة إنفاذاً في إدارة مجتمعاته
ليست فقط قضية الدين والدولة، بل بها أبواب أخرى كثيرة. تلك
الأبواب لا يستغني عنها مجتمع سويّ ينشد في عصرنا الوئام،
والاستقرار والتقدم.

فمثلاً: كتب د. عبد الرزاق مقري - وهو يرأس حزباً إسلامياً في الجزائر - في كتابه¹ الذي استعرضته في الفصل الثاني من هذا الكتاب ما معناه: (أنَّ العلمانية تشمل فكرة العقد الاجتماعي، وأنَّ الشعب مصدر السلطات، والمواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات، وحفظ الحريات، ودولة القانون والدستور، والفصل بين السلطات، واستقلال القضاء، وأنَّ ما تقدم لا يمثل مشكلاً ولا اعتراض عليه من قبل التيارات الإسلامية الوسطية. المشكل الوحيد يكمن في علاقة الدين بالحكم، والمجتمع) انتهى.

والحال كذلك مناصبة العلمانية العداة دون تمييز هو عداة لمجمل الفكر الغربي في السياسة، والاجتماع الإنساني.

ذلك التعميم لا يليق بمسلم وقد أمره الله أن يأخذ بالحكمة ومن أي فم خرجت.

ما وصلت إليه العلمانية في أبحاثها؛ هو حصاد رحلة فكرية، وكذا خبرة عملية، ومعاناة تراكمت لخمسة قرون، كما ارتكز ذلك الجهد على الاقتباس من المجتمعات الإسلامية أيام ازدهارها، وكذا ما حواه الإسلام من تعاليم إنسانية تساوي بين البشر جميعاً، وتأمّر بالعدل بينهم دون استثناء.

¹ د. عبد الرزاق مقري: "فكرنا السياسي" - دار الخلدونية- الجزائر 1441هـ - 2020م.

ولا ننسى في هذا المقام: الأثر الحاسم الذي أحدثه التلاحم الثقافي بين المسلمين والغرب أثناء الحروب الصليبية، والتي استمرت مئتي عام.. القرنين الثاني عشر والثالث عشر كاملين، حيث انطلقت النهضة الأوروبية تاليًا لذلك - القرن الرابع عشر- وما بعده.

وعليه فإن إسناد كل ما تقدم من قيم للعلمانية التي يمثلها فكر النهضة، والتتوير، والحدائث الغربي فيه تعسف وظلم للحضارات السابقة للغرب، وعلى رأس تلك: الحضارة الإسلامية.

وأزعم أن المبادئ الأساسية لإدارة المجتمع التي قالت بها العلمانية موجودة بجلاء في الوحي الإسلامي، فضلاً عن ضبط ذلك كله بمنظومة أخلاقية وقيمية محكمة، وأما ما قامت به العلمانية فهو ترويض العقل البشري المجرد على قبول تلك المبادئ¹، وكذا مؤسساتها، وتفصيلها. ذلك الجزء من العلمانية ينبغي لنا أن نوظفه، ونكيفه لبيئتنا.

والشاهد أنّ قول العلمانية في علاقة الدين بالدولة والمجتمع ليس صواباً، ولا يناسب البشرية فضلاً عن المسلمين. الشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى. فلينظر من شاء إلى ما آلت إليه الأخلاق العامة، وانفلات الشهوات، والمال، وحال الأسرة.

¹ أخفق العقل الغربي في قبول تلك المبادئ في أحيان كثيرة، وسواء في النظر أو التطبيق. تبني البعض القول بالعنصرية والفروق بين الأجناس، كما ساد في التطبيق تحكيم القوة دون العدل بين الناس ممّا أفضى إلى عبودية وإبادات.

لكن من مقولاتها ما أصبح -لتواتر التجارب، وتوالي الاستدراك،
والتعديل، والتصحيح- علمًا صحيحًا¹ في سياسة المجتمعات.
العلم الصحيح مشترك إنساني ليس تابعًا لنحلة ما، ولا معارضًا لدين
العلم؛ دين الإسلام.

وراء معظم المعضلات التي تعاني منها مجتمعاتنا غياب الفكر
العصري أو الضعف فيه. كثيرٌ منَّا لا يُحَكِّمُ العلم فيما يقول، بل تصنع
رأيه مرارات التاريخ. العلم العصري أغلبه إنتاج غربي، وسواء في
عالم المواد، والمخلوقات أو في علوم الاجتماع البشري. وحيث إنَّ
الغرب اقتترف بالاستعمار وغيره الكثير، فيرى هؤلاء علم "الغرب"²
من منظار ما أصابنا من عدوانه. ذلك الموقف لا يليق بمسلم! وقد
أمر بقول الحق والتزام الصدق ومهما كان مُرًّا، وكذا طلب العلم،
ومن أيِّ فمٍ خرج، ثم ارتفاق ذلك كله في إعمار الأرض، وكشف
المزيد من عالم المجهولات.

قال تعالى: {...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}(طه:114)، وقال ﷺ: "اطلبوا
العلم ولو في الصين، فإنَّ طلب العلم فريضة على كل مسلم"³.

¹ صحة ليست مطلقة، بل بالمفهوم البشري، ولا بدَّ من تعهدها بالمراقبة، والتطوير
وفق متطلبات الزمان والمكان.

² أستاذ في جامعة عربية جادل لسنين أنَّ الولايات المتحدة لم تحقق هبوط رجل
على القمر، وعندما حوِّص بالبيّنات اعتبر أنَّ الإقرار بذلك إضرارًا للعدو!

³ البيهقي - شعب الإيمان (2/724).

العلم سُنَنٌ حَقَّةٌ أودعها الله في مخلوقاته، تلك صحيحة في ذاتها، ولا يعيبها من أي فم خرجت. هي مشترك كوني عابر للعقائد، والإثنيات، والأجناس، كَلَّفَ الله سبحانه بني آدم بكشفه وارتفاقه في صناعة الحياة، وإعمار الأرض. إن فرطنا في هذه المعاني، وقدمنا عليها الحسد، والمرارة ظلمنا أنفسنا، وكرَّسنا ركودنا، وتخلفنا، ولم نُضِرْ غيرنا بشيء!

الغرب في العصور الوسطى تلمس العلم كي ينهض، ولم يغته إلا ما أخذ من المسلمين -من الأندلس وغير الأندلس-. أخذ بعلم أسلافنا، ونظمهم، وحزمهم، وأخلاقهم يوم كنا شامة الدهر. نهض الغرب جرَّاء ذلك، وأصبح المصدر الأول للمعرفة، والنُّظْم في زماننا.

والشاهد: أن نرُدَّ موقف العلمانية من علاقة الدين بالدولة والمجتمع
فذلك صواب. وأمَّا كثيرًا من عناصر العلمانية الأخرى في السياسة،
وتنظيم المجتمع والدولة فلا.

وممَّا يذكر في هذا الشأن: أنَّ العَلَّامة الدكتور/ عبد الوهاب المسيري
-رحمه الله-، كتب كثيرًا مفندًا موقف العلمانية من علاقة الدين بالدولة، والمجتمع، وكذا مآلات الفكر المادي، وخطره المستطير على تفرُّد الإنسان، وحرَّيته ومصيره. إلا أنَّ الفرز الواضح الواجب بين ذلك الخطر (علاقة الدين بالدولة والمجتمع)، وباقي ما نادى به

العلمانية لم يكن بأتًا، وجليًا في بعض ما كتب. ممَّا رجح عند أوساط المتديّنين رفض العلمانية على إطلاقها.

العلمانية -كما أسلفت- هي حصاد ثورة ثقافية، وتجربة عملية، وفكر أوروبي استمر لقرون، وشمل معظم مناحي الحياة. في ذلك ما يرفض ويدان وبالذات الموقف من دور الدّين، وعنعات الاستعلاء، والعنصرية، ولكن فيه أيضًا قيّم، ومبادئ لا بدّ أن يشملها أي تعاقد اجتماعي كي ينعم الناس بحقوقهم السياسية، والإنسانية باستقرار، وشفافية ومساواة. وأكرّرها هنا أيضًا: أنّ تلك المبادئ، والقيّم لها ما يؤيدها في الوحي الإسلامي، وسواء بالنّص أو القصد.

استدرك د. المسيري -رحمه الله- في أواخر رحلته الفكرية، ونادى بما سمّاه "العلمانية الجزئية" أو "العلمانية الأخلاقية" أو "العلمانية الإنسانية"¹. كما كتب -رحمه الله- في "حادثة إنسانية" بديلاً عن "الحادثة الداروينية"²، والأمل أن يصحح المتديّنون موقفهم من ذلك التراث الثقافي الضخم، ويأخذوا منه ما يصلح، ويتركوا ما يُعاب.

عَوْدٌ إِلَى الْجذور

أرى أنّ الجدر الأساس لهذا السجال حول العلمانية على مستوى المعمورة هو سؤال عاشته البشرية منذ كانت، ألا وهو: أيُّهما يقدم

¹ من مقال للدكتور/ عبد الوهاب المسيري بعنوان: "بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" بتاريخ 2007/02/08م منشور في الجزيرة نت.

² من مقال للدكتور/ عبد الوهاب المسيري بعنوان "حادثة داروينية أم حادثة إنسانية" بتاريخ 2009/10/10م منشور في الجزيرة نت.

على الآخر.. النقل أم العقل؟ النصّ الديني أم النصّ الفلسفي؟ يرى غلاة العقلانيين أو غلاة العلمانيين أنّ النقل إمّا وهمي أو أنّ النُقول متعددة متضاربة، ومن ثم لا يعتد بها في إدارة الحياة، والأجدى -في نظرهم- أن تُدار الحياة بعقل الإنسان وحده، وما يصل إليه العقل من علوم، ومعارف، ومن هؤلاء من يرى أن السمع كله باب مثبط فشنّ حربًا على الدين (الماركسية مثلاً).

وأما معتدلو العلمانيين - وفضًا للنزاع مع كل الأطراف في نظرهم- فيقولون: الوسيلة الرئيسة في إدارة المجتمع هي الدولة، ومؤسساتها، حيث تدير المصالح المشتركة لكل الناس في إقليمها، وحيث إنّ أفهام هؤلاء متنوعة، وناتج العقل قريب قابل أن يجرب، ويراه الناس بأغلبهم فهو أدنى أن يتفوقوا عليه دون نزاع. وأما السمع فهو خبر بعيد، عقائد قلبية تحكّمية، ولا سبيل لجمع الناس على قول واحد فيها. وعليه يرى هؤلاء أن تدار الدولة - وهي كيان معنوي مؤسسي- بدولاب العقل وحده (البعض وصف ذلك بتأليه العقل). ثم تقف الدولة على مسافة واحدة من السمعيات. وعند هؤلاء أنّ السمعيات مكانها مؤسسات المجتمع المدني، وتشمل الجمعيات، والأخويات، والأحزاب، ومراكز البحث، والفكر، وكل حقل ليس له سلطة عامة على الكافة طاعتها.

للهولة الأولى يبدو أنّ خيار معتدلي العلمانية متماسكًا، إلا أنّه ليس كذلك، وفيما يلي البيان:

الدولة ومؤسساتها كيان ضخم قوي يحتكر القضاء، وحفظ الأمن، وإقامة العدل، كما يحتكر قوّة الإكراه اللازمة لإنفاذ ذلك كله. إقامة العدل، وحماية الأمن مفهومان يشملان قسطاً وافرًا من حماية الأخلاق، وسلامة العلائق بين أفراد المجتمع، وتلك أمور معيارية قيمة في معظمها ليس عليها اتفاق بين عقول الناس. جاء علم السمع من السماء مبيّنًا مهيتها، والحق فيها وطرق ضبطها. فمثلاً: يقول البعض: إنّ خروج فتاة بالغة مع فتى بالغ في خلوة بإرادتهما الحرّة أمرٌ لا غبار عليه. إلا أنّ ذلك عند المسلم المتديّن كبيرة من كبائر الأخلاق تؤدي - ولو بعد حين - إلى انتشار الفساد، وضياع الحقوق، ودمار الأسرة، وتفكك المجتمع. كما أنّ الدولة التي تقنن التساوي بين الورثة لا يرضي بصنيعها المسلم المتديّن.

الشاهد: أنّ السمع حاضر بقوة في المجتمع، ودون اعتبار لذلك الحضور لن يكون هناك سلام اجتماعي راسخ ولا مجتمع سوي.

يقول العلمانيون فيما يقولون: إنّ ذلك من حرّية الناس، وحرّية الناس مقدسة. إلا أنّ ذلك أيضًا لا يجدي، الحرّية مقدسة ومحترمة إن لم تفضي - وسواء في القريب أو البعيد- إلى ذهاب الأخلاق، وقطع الأرحام وتفكيك المجتمع.

لم يعد ما تقدم محض تأمل نظري، بل عليه من حياة المجتمعات المعاصرة سبعون شاهدًا. في أوروبا-مثلاً- أخذت الدول بالعلمانية المعتدلة. لم تعاد الدّين ظاهرًا. ولم تعلن الحرب عليه أو على

الأخلاق، ولكن كان لديها غلو في تعريف الحرّية الفردية، فكان أن
أودى ذلك الغلو بكثير من أمهات الأخلاق. تفككت الأسرة، وانهارت
العلاقة السويّة بالنسل وذهب بر الوالدين، أفضى ذلك إلى عزوف
عن الإنجاب، لم يعد عناء الإنجاب يرجح التمتع بالحياة دونه!

المجتمع الإسلامي والعربي منه بالذات متديّن معظمه، وللأخلاق
التي أمر بها الدّين وزن كبير في سعادة أفرادهم وسلامهم الاجتماعي.
واطمئنانهم على مستقبلهم وذرياتهم.

دولتهم المأمولة ينبغي أن تجعل آمال الشعب أولويتها، أن تأخذ
بالجديد من العلم في إدارة شؤون المجتمع ودون هوانة، وتنهل العلم
من أبنائها، ومن أي مصدر كان، وفي ذات الوقت لا ينبغي أن تنسى
أنها أمة رسالة جاء بها الوحي من السّماء، تلك خصوصيتها، وذلك
تكليفها، وفضل الله عليها في أن واحد.

ينبغي للدولة المأمولة أن تعي أنّ العلم عند المسلمين شقان لا
ينفصلان إن أردنا السويّة والصحيح:

علم زماني، وذلك في تطور مستمر؛ نأخذ بالصحيح منه أينما وجد.
وعلم لدني... سمع جاءنا وحيًا من السّماء ينير خُطانا، ويحفظ لنا
التوازن بين المصالح، والأخلاق، علمٌ بيّن لنا ضرورات الدنيا وسُبل
الأخرة.

والحقيقة أن سُبل الأخرة تلك تجعل الدنيا أجمل، وأرحب، وأوسع،
وأيسر، بل جنة أولية على الأرض قبل بلوغ جنة الخلد يوم المعاد.

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولا دنيا لمن لم يحيي ديننا

خصوصيتنا تلك من حريتنا التي يقر بها عالمنا المعاصر على وجه العموم. لسنا بوارد الاعتذار لأحد عنها بل هي - فيما أرى- تاج رؤوسنا. ومن الخير للبشرية شرقاً وغرباً أن تقر وتحفظ ذلك التنوع في النَّظر للأخلاق، وفي فكر الحياة بعد الموت، كما تفصله العقيدة الإسلامية. ذلك هو عين الأمل، والشوق للخلود الذي راود الإنسان في كل تاريخه.

والحال كذلك: ما موقفنا من علمانية الدولة المعتدلة كما سبق بيانها، وأين نحن منها:

نرضى بحيادها في إقرار العدل، والأمن، والحقوق المتساوية لكل مواطنيها.

كما نرضى بإقرارها، وحمايتها للحريات العامة والخاصة، وحرية الاعتقاد، والفكر للجميع.

كما نرضى بأخذها بأحدث العلوم، وأقربها للصحة في إدارة الشأن العام.

كما نرضى أن تنصب مؤسسات الدولة بإرادة الشعب من خلال انتخابات نزيهة متاحة لكل مواطن دون تفريق.

كما نرضى أن تُحفظ الحرّية الكاملة لمؤسسات المجتمع المدني جميعاً: الأحزاب، والجمعيات، والأخويات، ومراكز الدراسات، والأبحاث، والأوقاف الخاصة، وغير ذلك. وأما مفصل الخلاف فهو:

نرى أن يحوي دستور الدولة، وقوانينها أمهات المبادئ الإسلامية قطعية الثبوت والدلالة، التي تحفظ الأخلاق العامة والأسرة¹، نصوص واضحة صريحة، والأخذ بها ميسر تُدَوّن في القانون والدستور، تلك لا بدّ أن تلتزم الدولة - بما لها من قوة ومؤسسات- بحمايتها والدود عنها.

كما ينبغي للدولة أن لا تقوم بأي عمل يفضي أو يشجع ما يضعف ناموس التديّن لدى الناس، بل تعمل على تقوية الوازع الذاتي الخلقى لدى أفراد المجتمع، فضلاً عن حماية ذلك بالقانون عند الحاجة.

عن منتجات الحضارة المعاصرة

ختاماً لهذه الفقرة لا بدّ من القول:

منتجات الحضارة المعاصرة ليست علمانية! العلمانية فكر سياسي تم تجسيده في إدارة الدول. وأما منتجات الحضارة فهي نواتج علم

¹ بعض الدساتير في الدول الإسلامية والعربية يحوي أنّ الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساس للتشريع.. ذلك جيد إلا أنّ المطلوب هو إثبات نصوص مباشرة قوية مفصلة لحماية الأسرة، والأخلاق العامة.

أفاء به الله على من طلبه بأسبابه. ومن ثمَّ لا حرج أن نأخذ من ذلك ما نراه نافعا، ومناسبا لنهوضنا المأمول.

كما أنَّ الأفكار في علوم الإنسان، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والشائعة في عالم اليوم ليست علمانية بالضرورة أو معادية للدين (النقل- السمع)، بل فيها هذا وذاك، كسائر الفكر على مر العصور.

قال تعالى: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 17، 18).

بيِّن سبحانه أنَّ مهمة الإنسان المكلف أن يسمع القول (غير المقدس) فيغربله، ويأخذ أحسنه، ويترك ما دون ذلك. قول البشر ناقص بطبعه، ولو خرج من فم عالم مؤمن. مهمتنا أن نتقي من الموجود ما يناسبنا، ونراه أقرب للصواب. وقبل ذلك أن يكون لنا مساهمة جادة فيما يصلح حالنا والإنسانية.

لا بدَّ أن نخرج يوماً من حال المستهلك للأفكار، ومنتجاتها إلى المنتج لها، والناشر للخير منها في الإنسانية. نحن المسلمون - حيث يأمرنا ديننا- شهداء على الناس بتكليف من الله، لا خيار لنا في ذلك. إن اخترنا طاعة الخالق، وطريق الجنة، مكلفون بشقين: الأخذ بالحق أينما وجد، ومن أيِّ فمٍ خرج، وكذا طلب العلم، وإنتاجه، ونشره في العاملين.

عن حوار الأديان

دولتنا المأمولة - بدستورها وقانونها- دولة عقلانية أخلاقية رشيدة
حكيمة تشمل كثيرًا ممّا في الدول المتقدمة المعاصرة من حريات،
وديمقراطية، وشفافية، كما تشمل من الدين ما تقدم بيانه حفظًا
للأخلاق والأسرة، وعدل التقنين، وسلام المجتمع.

واقع الحال من تنوع العقائد في جغرافيا البسيطة، يوجب حوارًا بين
العقائد الدينية. تلك عقائد في القلب مصدرها السمع تعز على التوحد،
كما حال نظريات الفيزياء بعد التجارب في المخابر.

ما يصلح للأديان هو كلام في المصالح، وأمّهات الأخلاق وفق ما
تعرف عليه العقلاء، والحكماء عبر التاريخ، ومن أي ملّة أو دين
كانوا.

حوار الأديان - بالطبع - ليس لتوحيدها، وليس لتنازل أيّا منها للآخر.
البشرية اقتربت أطرافها، واشتدت سواعد الفتك، والتدمير المتاحة
لأبنائها. وعلى الجانب الآخر عظمت فرص التعاون، واللقاء،
وجدواه، وفوائده، ومن ذلك دحر العدوان، وحقن الدماء، ورفع الظلم
من وسطنا الأدمي ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا. إنّه حلف الفضول
المشهور الذي قرّظه رسول الإسلام ﷺ سنّة من سنن الدين، نحن
والبشرية أحوج الخلق لها في يومنا الخطير المضطرب.
البشرية بحاجة ماسة إلى حلف فضول كوني.

تعقيب وتوضيح

حوى هذا الفصل تنوعاً في المواضيع، والمقالات والآيات. إلا أنّ الرابط بين ذلك جميعاً، هو أنّ دين الإسلام شاملٌ لأسس المشترك الإنساني بين كل البشر. وأنّ الاختلاف في العقيدة بين الناس ليس حائلاً دون تحقيق السلام، والتعاون بين بني آدم ما ساد العدل، والبُعد عن العدوان.

كما أنّ الراجح من الأفكار السياسية، والاجتماعية في زماننا، ومن ذلك المصطلح المركب "العلمانية" فيه مشتركات كثيرة مع الإسلام، ومن ذلك حرّية الإنسان، وكرامته، ومنزلة العقل الرفيعة في عبادة الله وإعمار الأرض. وأمّا ما جنح له غلاة العلمانيين من إحداء ذلك من حرّيتهم - حرّية الكفر بنص القرآن- إلا أنّ ذلك لمن اختاره وحسب، ولا يلزم به أحد سوى من اختار.

أمّة الإسلام شاهدة على الناس بنص القرآن، والشاهد ينبغي له أن يعلم حال المشهود له، والمشهود عليه بعدل. ذلك لا يكون إلا بعلم حق لما عند الآخر، وهذا ما أدعوا إليه؛ أن نغربل فكر الآخرين ونبيّن ما صلح منه وما لم يصلح، ونلتمس المشترك مع الآخر في ذلك طلباً لمرضاة الله، وخدمة الحق.

والله غالبٌ على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الفصل الثاني

في الغلو العلماني

حوار د. عبد الوهاب المسيري مع د. عزيز العظمة "نموذجًا"
في الكتاب المذكور¹ بيّن الدكتور المسيري ما أفضت إليه فلسفات
المادة، والتي أُسس عليها مذهب العلمانية الغالية من فساد، وتآكل في
حرية الإنسان وروحه، قاداته إلى ما رُوّجت له: من أنه حيوان من
الحيوانات ليس إلا. عاقل نعم ولكن مناط حركته، وعقله أن يزاحم
لشهوة البطن والفرج، ومتع السمع والبصر فقط.
ثم كل ما قد يخطر على بال ذلك الحيوان العاقل من أحاسيس، وتطلع
للخلود هي محض أوهام ضارة لا أصل لها، ولا جدوى منها، بل
عوائق في طريق انطلاق ذلك الحيوان العاقل أن يندفع بكامل قدراته
لتحقيق ذاته المادية في كون لا وجهة له، ولا هدف، ولا مصير، ولا
معنى أكثر مما نرى ونسمع.

الدكتور العظمة يقول: إنّ هذا هو الواقع التاريخي، وهو المصير
والمستقبل، كما يرى أنّ مادية الإنسان وجزئيته من كون مادي

¹ "العلمانية تحت المجهر" - دار الفكر - دمشق 1421هـ/2000م.

محض لا تحتاج إلى دليل، حيث مسار التاريخ، والحاضر يثبتانها. لم يتعرّض لما عرضه الدكتور المسيري من مشاهد مرعبة في حاضر الناس جرّاء ذلك التفكير المادي الصرف الخالي من القيمة والقيّم، وكأنّ الأمر لا يهمه. بل همّة الوحيد أن يقول الناس بما يقول، وهو أنّ التاريخ مادي والحاضر مادي، والمستقبل كذلك، والقيّم هي ما يتعارف عليه الناس أثناء تقاسمهم لكعكة المادة المتاحة أو صراعهم عليها.

لا ثابت في حياة الناس، إلا أنهم حيوانات عاقلة ناطقة دون روح أو أمل. المظلوم الضعيف يداس تحت الأقدام لينجلي الطريق للقوي الظالم أن يواصل السير، والالتهام المادي.

الشاهد: ما أشار إليه الدكتور المسيري من فضاء في الحياة يستحق وقفة من كل إنسان عاقل، وأياً كان موقفه من قضية الإيمان. وقفة تأمل ومراجعة للمسيرة المادية العلمانية، وما أفضت إليه في حياة الإنسان، والمجتمعات، والمحيط البيئي.

ذلك التأمل وتلك المراجعة استشعرها وتكلم، وكتب فيها علمانيون كبار إلا أنهم عقلاء! يستعملون عقولهم بحثاً عن مخارج للأزمات التي تعاني منها حياة الناس في حاضرهم، وتهدد مستقبلهم. ذلك أشار إليه د. المسيري في أكثر من موضع في مقالته الممتازة.

الرجل تكلم عن أزمة بينة وجليّة تحياها البشرية، لا ينكرها إلاّ مكابر! أزمة برسم البحث، وإيجاد الحلول والمخارج.

إلا أنه -وللأسف- د. العظمة لم ير فيما يحدث إلا تطور تاريخي حتمي، والاعتراض عليه لا معنى له، بل ليس له أصل إلا في "الخرافة" الدينية!

ابنلّي الشرق في حاضره بنخب نُفُؤد ولا تُفكّر! تأخذ من الغرب وغير الغرب كل منتج جديد أيًا كان، وسواء في السلع أو الأفكار! نُحَبُّ اعتادت على الاستيراد وليس الإنتاج! ومتى يأتي الاستيراد للأفكار؟! يأتي بعد عقود من إنتاجها في الغرب "القدوة"! . وقد يكون حينها الغرب المبدع الحر في عقله قد راجع تلك الأفكار، وأعاد تقييمها، إلا أن بعض نخب الشرق لا زالت تضعها في مصاف الرفيع المُبهر! ولذلك أمثلة كثيرة في حياتنا، فمثلاً: الاتحاد السوفيتي سقط وتفكك منذ عقود ثلاثة، وقبل ذلك بعقدين كان يترنح للسقوط.

لم تعد موسكو عاصمة العمّال والفلاحين كما كانت تزعم، بل يحكمها اليوم المافيا بأنواعها: المال، والمخدرات، وتطلعات التوسع والعدوان. وجهها أقبح ممّا ساد أيام القياصرة! إلا أن بقايا اليسار العربي - مثلاً- لا زال واهماً! يحج قادته إلى موسكو قلعة التحرر، والتقدم! سبحان الله!

ومثال آخر: الماوية في الصين وجدت لها صدى واسعاً في أوساط اليسار العربي. استوردوها دون تفكير أو نظر أو تأمل! بضاعة مصندقة جاءت من الخارج إذا عندهم: خذها ولا تتردد! ثم ذهبت الماوية في الصين ومنذ خمسة عقود، وأدينت واندثرت، واختط

حزب الصين سياسات مضادة لمقولاتها، وعلى كل الصُّغْد. إلا أنَّ اليسار العربي لا زال لديه أحزاب "ماوية". يبدو لم يصل لهم بعد ما حصل في الصين وفي العالم!

أعرف بلدًا هامًّا في الجغرافيا العربية بدأ "ثورة زراعية" في سبعينيات القرن العشرين، وذلك تقليدًا للسوفييت وأتباعهم، بدأ هذا، وقد ثبت عند السوفييت مبتدعي ذلك النظام في الزراعة عقمه، وتدميره للإنتاج.

مشكلتنا في المضمار مركبة: أولها التقليد ثم الجهل بما يتطور له فكر من قلدناهم ممَّا يفضي إلى تخلف يركم بعضه بعضًا. **يوسفني أن أقول:** إنَّ ما كتبه د. العظمة - مع الاحترام لشخصه - فيه مسحة ممَّا تقدم.

ألا يرى الرجل ما تعانيه البشرية اليوم من أزمت جرَّاء تطور مادي قادته أوروبا، ثم أمريكا معها وما تبع بعد ذلك؟! رحلة قرون فيها النجاح وفيها الفشل، النجاح: أن تحرَّر العقل الإنساني من الخرافة التي مارسها الكنيسة، وساندها الملوك. فأنتج جرَّاء ذلك التحرُّر: العلوم، والتقنيات التي غيرت وجه البسيطة.

وأما الفشل: فكان أن أهمل الجانب القيمي في الحياة الإنسانية، فكانت الإبادات الوحشية المعروفة، وبالذات في العالم الجديد، وكذا الحروب المدمِّرة، واستعباد الإنسان أخيه الإنسان، والصراع الاستعماري، والهيمنة الإمبريالية. داروينية محضة بأبشع الصور وبالأسلحة

الحديثة! مَنْ لا يركع يُقْتَل وَيُبَاد. رافق ذلك تغول خطير، ودموي في استنزاف الموارد دون ضابط! وحتى غاز التنفس (الأكسجين)، أصبحنا نخشى ندرته في خضم ذلك الصراع الوحشي على التسيد، وأسباب القوّة المادية وقمع المخالف.

معضلات البيئة في كوكبنا لم تعد تُحصى!

وكذا معضلات اجتماعية حديّة يواجهها من قطعوا أشواطاً في المادية السياسية والاجتماعية، ومن أفضعها، وأطرفها أنّ شعوباً يتناقص عددها وتشيخ! من كان يخطر بباله مأزق كهذا يواجه اليوم الدول الرائدة في العلمانية مثلاً: روسيا، وفرنسا، وألمانيا، وغيرها.

ثم لماذا تمنع الأيديولوجيات أصحابها من النظر في الواقع المعيش، والذي يحتجون به على خصومهم ليل نهار؟! لماذا لا يُنظر للواقع بموضوعية ودون تعنّت أو كِبْر أيديولوجي؟

عقل الإنسان الذي سيّده الماديون، بل وألهوه مخاطب بهذه المعضلات الكونية التي تعصف بالبشرية قاطبة. أليس من واجب ذلك العقل "المؤلّه" أن يبدع المخارج من مستنقعات الوحل التي باتت تهدد الكوكب وما فيه؟!

قال الماديون: إنّ الإنسان بعقله، وقدراته الذاتية قادر أن يحقق سعادته دون غيب أو إله! إذا قولوا لنا يا أصحاب "العقول الحرة!" من "وَهْم الغيب" ما هي المخارج والحلول لما نحن فيه؟! إبادة محتمة جرّاء فساد البيئة، وإبادة عالية الاحتمال جرّاء أسلحة الدمار

الشامل. وإبادة طبيعية جرّاء عزوف الإنسان المادي الدنيوي عن الإنجاب، والبذل دون مقابل مباشر.

هل من العقلانية أن ننتظر الفناء بأشكاله دون أن نُنذر أو نشير؟! هل من العقلانية أن ننسى عقولنا، ونترك ذواتنا خشبة تائهة في بحر مائج بالمعضلات؟!!

كلام فوق الفلسفة المادية، وفوق غرورها!

بالمباشر الصريح: جذر ما تعانيه البشرية اليوم؛ هو أنّ شأنها يُدار بسياسات لا تؤمن باليوم الآخر! نعم هو كذلك! نعم وألف نعم هو كذلك!

مَنْ نظر لحياة الناس كل الناس، وأزاح عن عقله، وقلبه غيوم الجغرافيا، والتاريخ، وصراع المقالات، والفلسفات، والأقوام، ومن رأي ابن الإنسان أمة واحدة مجرداً عن كل الاعتبارات التي لصقت أو أُلصقت بكيانه. رآه مجرداً من كل ذلك ما عدا ما يستر عورته، يرى ذلك السرّ وراء الإيمان باليوم الآخر. يرى التفاوت الكبير بين النَّاس في المَلَكات والقوّة والضعف والصغر والكبر والجهالة والعلم والنضج وقلة الخبرة، لن يُكرّم صاحبُ الطُّول مَنْ دونه في ذلك، إذ ينتظر مقابلاً لن يلقاه في الدنيا حيث لا ضمان. لا يقوم بالفضل المحض إلا فضلاء الخلق وهم قليل، وبذلك القليل لا تستقيم الحياة على الكوكب مع ذلك التفاوت الهائل في القدرات والمَلَكات والإمكانات.

يقول خبراء المالية: إنَّ ميزان أي شركة في نهاية عامها المالي لا بدَّ أن يتزن. ميزان أي فرد يبذل لغيره الأقل مَلَكَةً منه لن يتزن في حياته إلا نادرًا! إذا لماذا البذل والتضحية؟ بل ولماذا العطف، والحدب وفعل الخير؟ بل ولماذا التعفف عن السرقة والقتل إن كانت تحقق عاجل اللذة؟ ثم لا حسيب، ولا قريب، ولا إنصاف في نهاية المطاف.

كما يقول خبراء القانون: إنَّ الإفلات من العقاب هو أكبر مشجع على تكرار الجريمة وتفاقمها، وكذا غياب الثواب هو أكبر مثبط عن المكارم، والتضحية في سبيل الغير.

وأما ما يسد هذه الفجوة الهائلة في فكر الإنسان، وتصوره لذاته، وحياته، وسلوكه تجاه غيره من البشر، وكذا موقفه من المحيط الطبيعي حوله هو إيمانه بوجود محكمة كبرى عليا قاضيا عدل عليم بظاهر الأمور وباطنها، ليس بينه وبين أحد من المتقاضين نسب، هو الله لا إله إلا هو الحيّ القيُّوم. تلك المحكمة الكبرى هي اليوم الآخر الذي توفى فيها كل نفس ما عملت وهم لا يُظلمون.

بهذا وبهذا فقط ينزع الجذر الخبيث، ويزرع الجذر الطيب في السلوك الإنساني، بهذا وبهذا فقط تستقيم الأمور، ويطمئن المظلوم إلى إنصاف قادم، ويطمئن المحسن إلى ثواب مؤكد ويخاف المجرم من عقاب واقع لن يُخطئه، ولن ينجيه منه أحد.

من عجائب القرآن: الطريق للسلام في الدنيا والفوز بالآخرة
قال تعالى: (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا
أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال:63).
لا ينزع الغلّ من النفس الإنسانية (حسد- منافسة - حقد - حب علو
على الأرض- أنانية- جشع- حب مرضي للجمع). إلا الرجحان
الواضح للأمل في الآخرة. ذلك عين ما حدث - بتوفيق الله - للجيل
الأول: المهاجرين والأنصار، إنفاق ما في الأرض دون محورية
الآخرة ووعدها لن ينهي الغل في القلوب بل يؤججه! إذ تشتد
المنافسة، وكذا حب الدنيا ومُتَعَمَّرِها رغم وفرة الموجود. غياب الإيمان
بالآخرة يجعل الغنيمة الوحيدة هي الدنيا ومُتَعَمَّرِها.
فإذًا: ارتو يا هذا منها ما استطعت! ذلك ما تعانيه البشرية في
حاضرهما.

النفس الإنسانية فاقدة الإيمان بالآخرة لا تشبع! لا يُشْبِعُ النفس حقًا إلا
الإيمان الراسخ بيوم الحساب، والنعيم الأبدي في الجنّة. الحياة الدنيا
مئة عام تنقص وتزيد، وحياة الآخرة مئة مليون عام وأزيد.
المؤمن بوعد ربّه يعمل صالحًا في الأمر كله، يجتنب الظلم، ويحسن
لكل ضعيف كما يتعفف عن التناحر على فئات الدنيا.

أقول: ما أحوج البشرية جميعًا في يومنا أن نتفكّر وتتدبّر هذه الآية!
نعم: ما في الأرض جميعًا لم يكن كافيًا لتأليف قلوب الأنصار فيما
بينهم، وكذا المهاجرين والأنصار وهم بالآلاف.. فمن وماذا يؤلف

قلوب مليارات البشر على كوكب الأرض؟! ثروات لدى الدول تكاد لا تُحصى! وعلى الجانب الآخر تنافس بينها، وتحاسد، وتشاحن مميت! وكذا إدقاع يعانيه مئات الملايين من الناس، وظلم، وتشريد يعصف بمئات الملايين أيضاً! والعجب: أنه وكلما تضخمت ثروات الأمم اشتد الصراع بينها ظاهراً وخافياً.

والشاهد الذي تثبته الآية أن كثرة الجمع، وتراكم القوة لا يفضي إلى تألف القلوب، والأمن، والعيش المشترك بسلام.

لن يصنع الإنسان سعادته على الأرض دون إيمان، ومهما أبدع وصنع، وحتى لو حول جبالها جميعاً إلى ذهب وفضة. نزع الغل من القلوب أمرٌ عزيز، لا تطيقه وسائل البشر، وليس بمقدورهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿٢٠﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج: 19، 20، 21، 22).

بل الطريق الوحيد للسعادة والسلام على الأرض هو الأمل في الخلود الذي وعد به الرحمن، إن رَكَنَ القلب لذلك الوعد، وأحب أخاه الإنسان في الله حينها فقط يتحقق السلام العالمي.

تاريخ حافل

الخلاص من خرافات الكنيسة في العصور الوسطى، والسلطات الزمانية التي دعمتها - وعلى رأسها- سلطات الملوك بدأت مبكراً، ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي، ومن ذلك أفكار الراهب توما

الأكويني¹ (1225م-1274م)، ومنذ إذ: حدثت تطورات هائلة عبر القرون: هُزمت الخرافة إلى حدٍ بعيد، وسيطرت فلسفات المادة والدينيوية على جوهر الثقافة في أوروبا تحرر العقل من مكبلاته. تلك الملحمة والتحول الثقافي الذي رافقها كان في مواجهة خرافات أُصِقت بالدين عبر الزمن، ممَّا أفضى إلى ضعف التدين، وتراجع أثر الدين في شؤون الفرد والمجتمع. الدين في جوهره يأمر بأمهات الأخلاق الضابطة للعلاقة بين البشر أفرادًا ومجتمعات، تلك الأخلاق أمر بها خالق الكون سبحانه، وهو العليم بمن خلق، وبما يعين ذلك المخلوق على حياة سوية. تركت ذلك ونفته العلمانية الغالية جرَّاء خرافات الكنيسة وافتئاتها على حرّية الناس، وعقولهم فكان ما كان.

تعقيب لا بدّ منه: عن بعض من دور المسلمين في النهضة

الأوروبية

توما الأكويني هو المفكر الأشهر في الفلسفة المدرسية التي سادت في أوروبا العصور الوسطى تأثر بفكر العلامة المسلم العربي، يعقوب بن إسحق الكندي (185هـ/256هـ)، (805م-873م). كما تأثر بالإمام أبي حامد الغزالي (450هـ/505هـ)، (1058م-1111م)، وكذلك بابن رشد (520هـ/595هـ)، (1126م/1198م)،

¹ توما الأكويني هو المفكر الأشهر في الفلسفة المدرسية التي سادت في أوروبا العصور الوسطى.

بل كان تلميذًا بالقراءة لابن رشد الفقيه الفيلسوف شارح فلسفة أرسطو.

كما تجدر الإشارة أن المُحاور د. عزيز العظمة كتب متهمًا من الدين ما يلي: (فالعلمانية تستند إلى النظرة العلمية بدل الدينية الخرافية إلى شؤون الكون والطبيعة على العموم، وتؤثر الكلام في علم الفلك على الكلام القرآني حول التكوير، والكلام في الجغرافية الطبيعية على الكلام حول جبل قاف، والأخذ بالاعتبار العقلي بدل الاعتبار الإيماني، والخرافي لأمر كالمعراج، والطوفان، وانقلاب العصى أفاع، والمشى على الماء، وإحياء الموتى، وشق البحر، وانفلاق النجوم) ص¹⁵⁶ من الكتاب موضوع المحاور!

نُذِكِرُ د. العظمة وأمثاله أن أعظم مَنْ تأثر بهم توما الأكويني الفيلسوف الأول لأسس التنوير الأوروبي هم علماء عظام، وشيوخ من شيوخ المسلمين في آن واحد! من مؤسسي علم الفلك (الكِندي)، ومن فلاسفة التنوير (ابن رشد)، ومن رواد الفكر النقدي والنفسي (الغزالي)، إلا أن طغيان الأيديولوجية، والأحكام المسبقة وتجاهل حقائق التاريخ، أملي على د. العظمة ما كتب ظلماً وعدواناً.

الخلافاً مع العلمانية الإلحادية ليس في النظر العلمي العقلي في شؤون الكون والحياة، حيث إنَّ ذلك من فطر الخلق السارية على بني

آدم جميعاً¹، وأمر بذلك القرآن بالتواتر²، بل في موضع آخر يتجاهله هؤلاء أو يجهلونه. السؤال الأم هو: هل للكون خالق مدبر من خارجه كما يقول المؤمنون؟ أم خلق الكون نفسه "بالصدفة!" كما يقول الملحدون؟ مقولة المؤمنین علیها من عجائب الخلق ألف ألف شاهد، ومقولة الإلحاد ليس علیها - فیما أرى - شاهد واحد معتبر إلا محض عناد!

المجتمعات الإسلامية زمن ازدهارها ديناً ودنيا أبدعت في علوم الكون، والحياة ما أذهل البشرية. كان ذلك في الطب، والفاك، والرياضيات، والطبيعة، والكيمياء، والصناعة وغير ذلك كثير.
تاريخ العلم وحاضره خير شاهد على ذلك، ولكن أكثر الناس والملحدين بالذات لا يعلمون.

¹ الإنسان مفطور عند خلقه الأول وقبل الأديان جميعاً -سواء رضي أو لم يرض- أن يكبح طلباً للرزق والأمن، وأداته في ذلك التي يسخرها لتحقيق مبتغاه هي عقله الكاشف للعلم وتقاناته.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ فِيهِ ﴾ (الانشقاق: 6). تُخاطب الآية الكريمة مطلق الإنسان.

² مثلاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190، 191).

الفصل الثالث

مقابلة بين كتابين

الكتاب الأول: للأستاذ محمد أحمد الراشد بعنوان "الردّة عن الحرية"
منشورات دار الخلدونية - الجزائر العاصمة/ الطبعة الأولى
1434هـ/2013م.

"غلو حركي"

و

الكتاب الثاني: للدكتور عبد الرزاق مقري بعنوان "فكرنا السياسي"
منشورات دار الخلدونية - الجزائر العاصمة/ الطبعة الأولى
1441هـ/2020م.

"تجديد في سياسة المرجعية الإسلامية"

كلمة مستحقة وتوضيح واجب

لا بدّ من كلمة مختصرة أقدمها للقارئ الكريم كي يستبين ما أنا
بصدده في هذا الفصل من الكتاب.

أرى أنّ حركة الإخوان التي أسسها ووضع فكرها الإمام/ حسن البنا
-رحمه الله-، لم يقم خَلْفُهُ بما ينبغي عليهم فيها.

كيف هذا؟!!

والجواب: فكر المرحوم البنا موجود يقرؤه الناس. فيه غيرةٌ كبيرة على الإسلام والمسلمين ونظر محق فيما اعتور المجتمع من أدران في الأخلاق والسلوك.

وظَّف الإمام الشهيد -رحمه الله- علمه الشرعي وبلاغته وسمَّته الصريح المخلص، في تعبئة الشباب على قضية الإصلاح، وكان نجاحه في الحشد قليلاً نظيره.

قضية الإصلاح في بلاد المسلمين - ومنها مصر - ليست سهلة المراس.. أمة مسبوقة في شتى مناحي الحياة.. في العلم والثقافة والتَّقانة والتَّنمية، المجتمع يعاني من أمية الكتابة ومن أمية الثقافة وما ران على العقول عبر السنين، وكذا من فقدان الأمن الاقتصادي. والحال كذلك: القضية تحتاج إلى إحاطة شاملة بالحال المعاش في الداخل، وكذا التعرف على ما في الخارج من مؤثرات، وسواء محفزات أو مثبطات.

الوعظ بمطلقات الدِّين أساس للحركة الرشيدة الرسالية المِعْطاءة. إلا أنَّ ذلك محض الأساس، وينبغي أن يُبنى عليه فكر يحاور ما يعانيه المجتمع.. كيف تأتت تلك المعاناة؟ وتطورت عبر التاريخ إلى أن وصلنا إلى ما نحن فيه؟

ما شكنا منه المرحوم البنا - وغيره من المصلحين بحق- من تدهور الأخلاق عند البعض، وكذا تفشي الضعف في دواليب المجتمع والدولة، ذلك لم يأت فجأة، ولم يأت صدفة، ولم يصنعه الحكَّام حينها

أياً كانوا - وإن: ربما ساهموا فيه -، بل ذلك صيرورة تاريخية تراكمية، تنتظر مَنْ ينظر فيها ويخرج منها العِبْر. ومن تلك العِبْر ومعها نسيج الواقع تُصاغ الحلول، وتبرمج الحركة. الوعظ بالتدبّين وحده محض أساس، ولا يغطي إكراهات الواقع، وتراكمات التاريخ.

مصر وغير مصر حينها وإلى وقتنا الراهن تغص بالوعاظ والدعاة والخطباء في المساجد وغير المساجد، فما الذي يا ترى افتقدناه في قضية الإصلاح!؟

والشاهد: أنّ البنا -رحمه الله- وضع في الوعظ الحركي أساساً. وإن أخذ عليه البعض -بحق- أنّه بالغ في بعض المواضيع والأقوال بغرض التعبئة.. وكذا تركيته العالية لأنصاره دون غيرهم.. البنا ليس معصوماً، وليس موسوعياً في تناوله لقضايا التقدم والتخلف. إلا أنّ له الفضل أن حرّك الماء الراكد، ولفت أنظار الملايين إلى محورية دينهم في قضية الإصلاح، وقرّب الملايين أيضاً من القرآن والدين والصلاة.

عاجلته المنيّة مبكراً.. شاباً في بدايات العقد الخامس من عمره - قضى عن ثلاثة وأربعين عاماً.

حسن البنا - بالطبع- ليس معصوماً.. هو مصلح عامل مخلص أدّى رسالته وقضى نَحْبَه مبكراً.

للناس على فكره ملاحظات محقّقة، وفي مسيرته أخطاء، ولكن ميزانه في عمل الصالحات راجح رجحاناً كبيراً.

قال الشاعر:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها

كفى المرء نُبالاً أن تُعدّ معايبه

من أخطائه الفكرية -فيما أرى- أن ضخّم فكرة الدولة في تربيته لمحازبيه، حيث قال في رسالة المؤتمر الخامس: الحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع¹. كما ضخّم فكرة التجيش والعسكرة في تلك الحركة الدعوية الناشئة وفي وقت مبكر حيث قال²: (وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين- ثلاثمئة كتيبة قد جهزت كلّ منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السّماء، وأغزو بكم كل عنيّد جبّار، فأبّي فاعلٌ إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: "ولن يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلّة". إنّي أقدر لذلك وقتاً ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيبته") انتهى.

الكتيبة في اصطلاح المرحوم البنا 40 رجلاً.

¹ مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا - دار الشهاب ص 170.

² المرجع السابق ص 162.

وكذا غالى في موقع جماعته داخل أمة المسلمين حيث قال: (نحن أيها الناس - ولا فخر - أصحابُ رسول الله ﷺ، وحملةُ رايته من بعده، ورافعوا لوائه كما رفعوه، وناشروا لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشرُوا، ورحمة الله للعالمين ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾¹) انتهى.

وحيث إنني صنفتُ ما تقدّمَ أخطاءً في الفكر، لا بدّ من كلمة موجزة في ذلك: الصراع على الحكم في تاريخ المسلمين كان أبًا للمصائب جميعاً! أهمل كثيرٌ من المخلصين العمل بالمتاح انتظاراً لتولي الحكم، فضيّعت مصالح شتى. كما أصبح التمسك بالحكم عند أهله، وحمايته من المنافسين هو الأولوية الأولى. فأصبحنا مجتمعاً مقسوماً متحزباً: حزب الحكم وحُماته وحزب المتربصين به والمتأمرين عليه!

من يتعرّض لقضية الحكم لا بدّ له أولاً: أن يستوعب عبر التاريخ في شأنها وأن يفكّر في فك رموزها، والوصول بها إلى كلمة سواء بين كل التيارات في المجتمع.

إنّها قضية فكرية برسم الإنضاج والحل.

كل من تشوّف للحكم في تاريخ المسلمين كان قوله: "كي أتمكن من إعمال شرع الله".

وأما النتائج: صراع لم يهدأ وحال للمجتمع نحياه ولا تخطئه العين.

¹ المرجع السابق ص 106.

وأما التجييش فمقامه السوي معروف.

وأما تقديمه والإفراط فيه وتناوله بالتبسيط المخل.. فلا..

أمة المسلمين تحمل في ذاكرتها ما يكفي من الخبرات.. ومن ذلك مثلاً: احتفى العثمانيون بالتجييش أشد الاحتفاء، وجاروا بذلك على كافة المصالح والمرافق الأخرى، إلى أن انتهى الأمر إلى ما نقرأ ونرى.

فكيف إداً لحركة دعوية غَضَّة أن تضع التجييش في صلب أهدافها،
وقريباً وباتنى عشر ألقاً!؟

كما أن تربية المحازبين على الفرادة والاستعلاء في مجتمع مسلم
ليست من الحكمة!

ذلك -أقله- يفضي عند البعض إلى الكبر وغطم الناس. ذلك -قطعاً-
لم يقصده المرحوم حسن البنا.

ولكن من يخاطب الجماهير بما فيهم من تنوع كبير في الفهم لا بد له
أن يأخذ ذلك في اعتباره...

التواضع خيرٌ كلُّه!

كما أن أكبر أخطائه السياسية رحمه الله -فيما أرى- أن أذنَ بإقامة
جهاز سري مسلح، كان الرجل شاباً محسن الظن، لم يقرأ زمن الناس
الذي يعيش فيه كما ينبغي، كما لم يُقدِّر مآلات ذلك الصنيع، أراد الله
أن يفترق ذلك الجهاز السري بعض الاغتيالات في حياة البنا -رحمه
الله- فأدانها ووصف من قام بها بأنهم "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين".

تراجع الرجل عن ذلك الخطأ، ولكن عاجلته المنيّة، ولم تسعفه أن يصح ذلك الحال في واقع الجماعة.

قال لرفيق عمره ومسيرته المرحوم الأستاذ/ فريد عبد الخالق وقبل موته بأيّام¹، آخر ما قال له: "لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لرجعت إلى التعليم والتربية".

معنى ما قاله المغفور له البنا: أنه لترك السياسة وانشغل بالدعوة إلى الله.

أدرك الرجل في أيّامه الأخيرة أن مسلك السياسة وعِرُّ بل شديد الوعورة، وبالذات في بلاد المسلمين وفي القرن العشرين.

ينبغي للسياسة أن تُؤسس على فاضل الأخلاق وعلى الأمانة والطهر الذي يأمر به الدين، إلا أن ما يُبنى على ذلك الأساس لا زال ينقصنا، ودون أن نجبر ذلك النقص لن نبني مجتمعاً فاضلاً ولا دولاً عادلة رشيدة.

والشاهد: كان ينبغي لحركة الإخوان أن تلتقط الخيط الذي أوجز به المرحوم حسن البنا مسيرة حياته وحصاد خبرته، وفحواه:

أنّ الدعوة حاضرة في الكتاب والسنة، وأمّا السياسة فلها بناءٌ فوقى في الفكر والنظر لم نحزه بعد، ولا بدّ من إنجازهِ قبل السير فيها.

¹ من شهادة المرحوم فريد عبد الخالق على العصر مع الصحفي أحمد منصور، الحلقة رقم 15 - قناة الجزيرة القطرية.

إلا أنَّ الخَلفَ لم يستوعب إشارة البنا الأخيرة والتي أوجز فيها -
رحمه الله- زُبدة خبرته، بل سار الخَلف على نقيضها! حيث عمق
التيه السياسي، بل وافتأت على البعد الدعوي للحركة والشاهد على
ذلك:

ما خطَّه المرحوم سيد قطب في الدعوة والسياسة.. لا يمت للمراجعة
وأخذ العبرة من ماضي الحركة بشيء.. بل محض بيانات من يائس..
زعم أنَّ الإسلامية نُزعت منذ قرون وأنَّ أمَّة المسلمين لا وجود لها
في الحاضر ومنذ قرون أيضاً، وأنَّ الخروج من المأزق لا يتأتى إلا
بالحرب على الداخل والخارج معاً. الداخل منافق والخارج دار حرب
على إطلاقه.

وفي مناخ السجون والإعدامات وعلى رأسها إعدام المرحوم سيد
قطب وما رافق ذلك من مناخ عاطفي جيَّاش، اعتلى أنصار قطب
حركة الإخوان وحتى يومنا هذا.

فهل من مراجعة ورجوع!؟

لا ينبغي لأحدٍ أن يطلب من فئة أو مجموعة أيًّا كانت التخلي عن
السياسة: تلك هي إدارة المجتمع ومصالحه، والمشاركة فيها واجب
على كل قادرٍ فضلاً عن أنها حق للجميع. إلا أنَّ العمل في السياسة
له علومه وحتى لا تكون خبط عشواء، ومن ثم تفضي إلى الدماء
والفشل.

ثم عوداً إلى موضوع الفصل: مقابلة بين كتابين

تقديم

الأستاذ محمد أحمد الراشد، مفكر وداعية إسلامي مرموق، ومن وجوه الحركيين في جماعة الإخوان المسلمين. كتب "الردّة عن الحرّية" بُعيدَ عزل الرئيس المصري محمد مرسي عام 2013م.

د. عبد الرزاق مقري مناضل قديم في حركة مجتمع السلم (حمس) بالجزائر، والتي يعود تأسيسها في ثمانينات القرن العشرين للداعية المجاهد/ محفوظ نحناح -رحمه الله-، د. مقري يشغل الآن، ومنذ سنين رئاسة الحركة في الجزائر.

حركة مجتمع السلم (حمس) كانت منذ تأسيسها تمثل الفرع الجزائري للإخوان المسلمين، إلا أنّها تطورت في الفكر، والنظر، والممارسة السياسية بأسرع، وأنجع من فروع الإخوان الأخرى.

والشاهد أنّنا بصدد النظر، وإبداء الرأي في كتابين لمؤلفين ينتميان لتيار التديّن السياسي (الإسلام السياسي) - الإخوان- وكي نرى هل من عبرة أو درس لشعوبنا فيما بين الخطابين، والنظرين من فروق؟

وأبدأ بالكتاب الأول: "الردّة عن الحرّية"

تقديم

يؤلّمني أن أسمى أحداً فرداً عيناً باسمه بنقد. همي هو نقد الأفكار، وليس الأعيان والأفراد، إلا أنّ ما كتبه الأستاذ الراشد في كتابه "الردّة عن الحرّية" لم يدع مجالاً للسكوت. ولماذا لا ينبغي السكوت؟

والجواب هو: غيرة، وحب، وحرص على ما أظن أن الأستاذ/ محمد الراشد يحرص عليه أيضاً، ألا وهو مستقبل الدعوة الإسلامية، ومكانتها في بناء المجتمعات وإدارتها.

الأستاذ الراشد من مفكري، وحكماء، وخبراء حركة الإخوان المرموقين، وله منزلة خاصة في أوساطهم، وهو مؤلف للعديد من الكتب.

كتابه المذكور أعلاه -للأسف الشديد- معظمه سلسلة من الشتائم!! ذكر في كتابه أبعاداً للمؤامرة التي تكاتفت من كل حدب، وصوب لإسقاط الرئيس "القرآني" محمد مرسي -رحمه الله- رحمةً واسعة.

فات الأستاذ الراشد ثلاثة أبعاد لم يذكرها لا من قريب، ولا من بعيد وهي - في رأيي المتواضع- لب الموضوع وجوهره، إلا أنها مؤلمة للإخوان، وقد تجنبوا الخوض فيها وذلك في مسألة المرحوم مرسي وغيرها، وقبلها وبعدها وتلك هي:

البعد الذاتي: حال الإخوان، وكيف بدأ أثناء حكمهم القصير، وذلك مع الناس، وكذا مع مَنْ كانوا سبباً في وصول مرسي للرئاسة، وخلفيات ذلك عندهم في تصورهم لأنفسهم، ودورهم السياسي، وفي نظرهم لغيرهم في الداخل والخارج.

البعد الجماهيري: وكيف تدهورت شعبية الإخوان مع الوقت، ومنذ ثورة يناير، وقبل انتخاب مرسي، وأثناء رئاسته.

البعد الدعوي الغائب: والذي وظفت أبعدياته للسياسة، وبدا ما كانت تخفيه غلالات الدعاية عن قناعة بالديمقراطية، وتبادل سلمي للسلطة وحزب مدني.

في هذا الفصل أتعرض بإيجاز للأبعاد الثلاثة التي نسيها أو تناساها أخونا محمد الراشد.

هذا لا يعني أنني لا أرى بأساً في أفكار الراشد التي ذكرها في كتابه، بل كلها -للأسف- شابها المبالغة، والقبح المرسل، والعاطفة الهائجة في غير موضعها، وتزكية النفس، وأحباب الحزب، وأنصاره. جعل الراشد من الرئيس المنتخب مرسي فريد زمانه فهو "قرآني!".

أمّا أن لهذه الطريقة أن تتوقف؟ ولماذا تتوقف؟ لأنها ببساطة ليست الموضوع الذي نحن بصدده، وهو الجدل في السياسة، وإدارة المجتمعات.

ألا يكفي ما ابتلينا به من استغلال المقدس في السياسة ومنذ قرون؟! وأنّ ذلك الاستغلال ليس في صالح الدّين، ولا الدعوة، ولا السياسة، ولا وعي الأمّة ولا مستقبلها.

مؤسسة الحكم عندنا تحتاج إلى عقلنة، وميزان عدل صارم، وحركة محكومة بذلك الميزان. ذلك لم يكن حال ذلك الحكم القصير. تردد، وتخطب، وتناقض، بل ولف ودوان، ونقض بوعود وتوافقات أبرمها

مرسي مع القوى التي أوصلته إلى الرئاسة¹، مرسي لم يكن حازماً بل ولا حرّاً.

الصدق مع الله أولاً وقبل أحوال السياسة.

هذه قضايا أمة مأزومة تتلمس الخروج من مأزقها، من لا يقول

الصدق فيها أمره إلى الله، ولا ينبغي أن يستهجن الخذلان من الناس.

تطورت أزمة الحكم في مصر بعد ثورة 25 يناير /كانون الثاني

2011، وحتى ذهاب مرسي في 2013/07/03. هل تابعها الأستاذ

الراشد بعين المُنصف المُتحمري عن الحق بعيداً عن التضامن

الحزبي؟ أملي أن تكون إجابته "لا" حتى نلتمس له عذر من لا يعلم!

في الموضوع

بادئ ذي بدء لا بدّ أن ألتمس بعض العذر للأفق العاطفي الذي كتب

به المؤلف الراشد ما كتب! الأستاذ الراشد حزبي قديم، شديد الاعتداد

بتنظيم الإخوان، كما أنّ الظرف الذي كتب فيه كتابه كان استثنائياً،

ما حصل في مصر حينها كان نازقاً. على أي حال أخص ملاحظاتي

على الكتاب في نقاط:

لا بدّ من التذكير أنّ الخلاف بيننا - إن وجد- هو أصلاً في السياسة،

وليس في مُحكم الدين، ملاحظاتي التالية لا بدّ أن تُقرأ في ضوء ذلك.

¹ أنظر الفصل التاسع "واجب النصيحة..." من كتاب المؤلف "عن أزمة العقل المسلم ودور الفكر" منشورات دار الخلدونية - الجزائر العاصمة- 1441هـ/2020م، فيه تفاصيل ما حدث.

كزّر المؤلف في كتابه مرّات أنّ الرئيس مرسي -رحمه الله- "قرآني"، تلك ليست سببًا كافيًا أن يُرَكَّى في السياسة، ويُعزل جرّاء ذلك.

السياسة بمعناها العام¹ علم زماني ضخم ينتظم تحته علوم إدارة الاجتماع الإنساني، والاقتصاد، والحقوق.. حقوق الناس جميعًا.. حفظ كرامتهم، وحياتهم بغض النظر عن انتمائهم الحزبي أو الديني، كما يشمل علم الأولويات، والمآلات، والإحصاء، والراجحات، والمرجوحات، ودراسة المخاطر، وطرائق التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، والأخلاقية، وعلم المستقبلات، والمتوقعات امتدادًا لعلم الإحصاء ومع ذلك كله المعرفة الدقيقة بالواقع المحلي والدولي.

ذلك العلم العنيد المحوري "السياسة" يمر بمراحل لإنتاجه في الأمم.. مرحلة النظر العام، ثم مرحلة التفكير، ثم مرحلة الفكر، ثم مرحلة العلم الخداج، ثم مرحلة العلم المُجرب الناجع النافع. كل تلك المراحل كَلَّفَ الله سبحانه الإنسان أن يحوزها بعقله، وحواسه بتدرج، وتراكم، ثم يثبت زبدتها علمًا يعمل به في دنياه لإعمار الأرض.

أنت رجل قرآني، وتعرف كم ورد النظر والتفكير والعلم في القرآن الكريم، ولا حاجة للاستشهاد.. أنت أستاذنا في ذلك.

¹ علم السياسة المدرسي يعتني بمكونات الدولة، والمؤسسات الدولية، ولكن ما نعينه هنا هو حزمة العلوم التي ينبغي لمؤسسات الحكم أن تجيدها مع التجديد اللازم لتحقيق حال رشيد.

أخي الكريم

القرآن والسنة لا تحوي ذلك العلم الزماني -السياسة- ناجزًا يأخذه مَنْ طلبه! ما يحويه القرآن والسنة هو العقائد الربانية، وأمّهات القيم الأخلاقية، والمقاصد الخيرية التي ينبغي أن يعتقد ويعمل بها الإنسان في حياته، وأن يمنع نفسه من أن يستعمل علمًا يصادم ذلك.

كما يحوي الوحي بالتواتر أمرًا للمكلفين بطلب العلم الزماني دون كلل. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ (البقرة:31). كانت تلك الهبة الربانية السبب في كرامة آدم (ونسله)، وإسجاد الملائكة له. الآيات 30-34 من سورة البقرة تبين قصة التأسيس الأولى¹.

عَلَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى أبانا آدم العلم بالقوة في أصل خلقه، وكلفنا نحن البشر بفك شفرة تلك الجوهرة الكريمة بالفعل، أي حيازة العلم، وإعمار الأرض به، ومن ذلك العلم: "السياسة".

القول بكمال الدين حقٌّ من حقٍّ، إلا أننا بحاجة لفهم تلك العبارة، وأن ننشر ذلك الفهم في العالمين.

الدين كامل بمعنى أنه:

يحوي كل العقائد، والأخلاق، والأحكام، والمقاصد التي يحيا بها الإنسان سويًّا على الأرض.

¹ كتبت فصلاً عن ذلك في كتابي "الحرية أولاً.. خواطر في التاريخ والسياسة" الطلعة الثانية - دار الخلدونية - الجزائر العاصمة 1441هـ/2020م، وذلك بعنوان: "الحرية هي الضرورة الأولى" الفصل 24 ص201.

كما يحوي أمرًا متواترًا من الله بالكدح في طلب العلم، وإنتاجه، وإعمار الأرض به.

ورغم أنّ كمال الدّين كما بيّنته أعلاه أمرٌ فطري أيّده الوحي، ويحي معنا ليل نهار في تفاصيل الحياة ما دق منها، وما جلّ، إلا أنّ كثيرًا من المتديّنين يحيون بحالين:

حال عملي "فطري" يُلزمهم بالصحيح، وهو أنّ الكدح والعلم، وإعمال ذلك كسبٌ بشري، وأنّ السّماء لا تمطر ذهبًا ولا فضةً. وحال نظري "عقدي" مغلوّط وهو: اتبعوا، إذ النصوص التي نزل بها الوحي فيها كل علم وكل شيء.

الحال المغلوّط المبيّن هو ما ساد في النفس المسلمة أثناء قرون الركود. لم تنتج علمًا زمنيًا كافيًا، فكان التراجع والتخلف. وكان القول الغالب في سبب التخلف: "لم تأخذوا من العلم الناجز في القرآن ما يكفي".

والجواب الصحيح فرقه عمّا تقدم دقيق إلا أنّه حاسم: الركود سببه نقص في إنتاجنا للعلم الزماني، حيث لم نمثّل للأمر القرآني المتواتر بطلب العلم، وإنتاجه، وحيازته، وإعمار الأرض به، أي نظر وتفكّر، وفكر، وعلم خداج ثم علمٌ قار.

والشاهد: قلتُ ذلك وأكرّر: إنّ هدي الإسلام ليس قاموسًا يذهب له المسلم بما يحتاج من علم، ويضع الزمان والمكان فيخرج له من النّصوص ما طلب.

أرى أنّ الإسهاب السابق كان لا بدّ منه لنؤسس لما نحن بصدده، وأين نختلف وأين نتفق.

حركات التديّن السياسي¹ فقيرة في علم السياسية، وذلك هو السبب الرئيس في تعثرها وعجزها عن مخاطبة الواقع والناس في مصالحهم وفيما ينهض بحالهم أو ينعش الأمل عندهم في ذلك، ترى ذلك جليّاً في التربية الدينية، والأدب والفكر.

مثال بالغ على ذلك ما قاله المرحوم سيد قطب، والرجل ركنٌ ركين في فكر الإخوان المسلمين؛ كبرى حركات التديّن السياسي في زماننا. قال ما معناه²:

(أنّ الإسلام يجيب على المشاكل، والمسائل العملية وقت وقوعها". عند سيد قطب أنّ إصلاح حال المسلمين لا بدّ أن يبدأ كما بدأ أول مرّة في العهد المكي أي دار أرقم جديد في القرن العشرين. رائد تلك الدار سيد قطب نفسه ثم يعلم الناس بادئ ذي بدء معنى قول "لا إله إلا الله).

المعضل أنّ كثيراً من المتديّنين يأتّم بسيد قطب مفكراً لا يُشق له غبار وحتى يومنا هذا!

¹ استعمل عادة عبارة "التديّن السياسي" بدلاً من العبارة الشائعة "الإسلام السياسي" وباعثي أنّه لا ينبغي أن نزج الاسم المقدس "الإسلام" ونقرنه بما ليس من أصله. لا يوجد إسلام سياسي وإسلام غير سياسي، بل إسلام و فقط!

² سيد قطب: كتاب "معالم في الطريق" - عشرات للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2013. باب: "طبيعة المنهج القرآني" ص²⁹ وما بعدها.

عندي أنّ ما قاله سيد قطب في هذا لا يساوي ثمن المداد الذي كتب به، حيث ذلك في تناقض مع ما تقوم به كل الحركات الدعوية، والإصلاحية في زماننا، ومن ذلك الإخوان المسلمون! دققوا ما كتب وأقرأوه مرّات!

ذلك -بصراحة- إنكار لضرورة حيازة العلم مسبقًا قائدًا للحركة، والأدهى أنّه صرّح بذلك في زماننا الذي فيه آلاف الشواهد على ذلك نجاحًا وفشلًا!

يريد الرجل أن تكون حركة المجتمع المسلم محض رد فعل لاحق على ما يصيبه، وليس علمًا ناجزًا بأدواته التقنية وقائياً نذب به عن حياضنا النوائب قبل أن تصيبنا. بل قال قطب ما هو أفدح من ذلك: قال ما معناه: إنّ الأمة الراهنة زائفة تزعم الإسلامية زورًا، ولا تعنيه! وأمّا ما يعنيه هو أن ينشئ ما سمّاه "مجمع عضوي حركي يبدأ من الصفر كما بدأ العهد المكي". قال ذلك سيد قطب في وارد الدفاع عن عجزه، ومنّ معه في سياسة الزمان معتذرًا عن حالهم ذاك، وأنّ ذلك لا ضرر فيه، حيث المجتمع المعيش جاهلي لا يعنيه، بل فقط التجمع العضوي الحركي الذي كرّر تسميته في كتابه مرات! ومادام الأمر كذلك، ينبغي لأشباع قطب أن لا يخاطبوا أمّة الإسلام الراهنة، وقد وصفها صاحبهم بما تقدم. خاطبوا نواتكم، وأمّتكم الخاصة ولا تطلبوا الولاية على الآخرين.

أيتها السادة! سبب رئيس في تخلفنا وتقدم الأمم الأخرى، الترويج للجهل من حيث لا نحسب، وإغفال التخطيط، والتنظيم، والإعداد، والركون للتواكل.

ما قاله المرحوم سيد قطب في هذا كبيرة بيّنة من كبائر الفكر ولكن لا يشعرون.

ثم كتاب الأستاذ الراشد يتكلم فقرة بعد فقرة عن مؤامرة متعددة الأطراف! فهي أمريكية، وناصرية وإسرائيلية، وخليجية، وشيعية، وإسلامية وقبطية.

حسنًا.. استدراك بسيط: أمريكا لم يعجبها ما حدث، وفرضت عقوبات على النظام الجديد لسنوات.

ثم لم أر الأستاذ الراشد يذكر عن جذور ما حدث إلا شيئاً واحداً: من خرج متظاهراً خُتلات مرتشين قُدِّمَ المال لهم من أهل الصحراء (العرب).

يا أستاذ الراشد: أوسعتَ الجميع شتمًا، ولم تقل كلمة واحدة في السياسة! جعلتَ الجميع لا خُلُقَ لهم، ولا دين، ولا غيرة على وطن بما في ذلك زملاؤك في التدين السياسي: حزب مصر القوية، وحزب النور السلفي، ومن غادر الإخوان لما رآه من تخبط، كلهم خونة مرتشون لا عهد لهم، ولا خُلُق¹.

¹ ملايين المواطنين وكل أحزاب مصر وجمعياتها ونقابات بلا استثناء (عدا الإخوان) خرجوا في 2013/6/30 مطالبون بانتخابات رئاسية مبكرة، واحتشد الجمهور في ميدان التحرير وميادين القاهرة الأخرى وفي المحافظات، ومن

هل ذلك قول يبرى الذمة؟! قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18). الخلاف بين الناس كان في السياسة.. انتخابات مبكرة.. فلم الشتم وحشر الدين والغيرة والشرف؟! ذلك بيان منك:

أنت لا ترى إسلامًا إلا ما يقول به أنصار مرسي.
ولا ترى مخلصًا إلا من وقف مع مرسي.
إذًا - بالتداعي- رئاسة مرسي من التدنّين، وبها يُقاس الصادق من غيره.

يا أستاذ: ما هكذا تورد الإبل! هل النزاع على السلطة يُجرّد المؤمن من الإنصاف، والعدل والصدق؟!!

والله ما أراه مُخلصًا ناصحًا: مادام ذاك حاكم، دعوا السلطة، ودعوا ذلك التشنج المرضي الذي تمارسونه في الوصول إليها، وفي الحرص عليها! ذلك يُفسد الدين، والسلطة والدنيا!

تفرغوا لدعوة ربّانية بالحكمة والموعظة الحسنة، تلك هي الباقية، وهي لب رسالة الإسلام وقلبها النابض. السلطة لا تقوي الدعوة، بل عالة عليها، وقد تهدمها! ذلك قول بحاجة إلى تفصيل، ولكن ليس هذا موضعه!

هؤلاء: حزبان إسلاميان وازنان هما: حزب النور السلفي وحزب مصر القوية، وهما معًا -وفق الحال الشعبي حينها- يعدلان الإخوان.

ما كتبه الشيخ الراشد مؤثر دال على ما عند هؤلاء إزاء الآخرين وفحواه: مَنْ ليس إخوانياً قطبياً ليس على شيء. هو ذات المنهج الذي تطاول به المرحوم سيد قطب على الأمة أحياناً وأموثاً دون أن ترف له عين.

هل ذلك يبني مجتمعاً متراصاً "البنیان المرصوص"؟! أقله متآلفاً؟! هل ذلك قول ينهض بأمة الإسلام في زماننا؟ زمن العقل والعلم والحرية!

يا شيخ: ألا ترى أنّ ذلك ضارٌّ بالأمة بل قاصمٌ لها؟! أين الحوار في المتفق عليه والمختلف فيه؟! أم أنّ أدبيات الحزب فوق الحوار؟! ليس رأس المبتغى السياسي لحزبك - إن تَوَلَّى- أن يتمكن من مفاصل الدولة والمجتمع ودون شريك؟! أليس ذلك هو عين الاستبداد وإقصاء الآخر: المسلم وغير المسلم؟!!

أليس ذلك هو عين استمرار الأزمة التاريخية التي تعاني منها الأمة لقرون جرّاء الاستبداد؟! تلك شُعبها كثيرة وعلى رأسها: النزاع على السلطة.

عدم الاستقرار جرّاء ذلك وما يفضي إليه من دماء وخراب. تعطيل العقول بحجب الحرية، ومن ثمّ التخلف في العلم والتنمية.

¹ نعلم أنّ المرحوم مرسي ومن معه لم يستطيعوا تحقيق ذلك في عامه الذي حكم فيه، وأنّ ذلك يحتاج إلى وقت أطول. ولكن ذلك مسطور في رأس البرنامج - التمكين- يعمل له المحاربون منذ خمسين عاماً.

فقدان العدل والأمن في ظل الاستبداد¹.

إدًا: كيف تسمي كتابك "الردّة عن الحرية"؟! ما قام به الناس هو

هروب من استبداد قادم جديد باسم الدين².

من ينظر في تاريخ المسلمين ابتغاء معرفة الجذور التي أودت بنا

إلى ما نحن فيه، سيجد -قطعًا- هجر الشورى وراء ذلك.. شورى

الشعب.. شورى الأمة.

وكان البديل للشورى هو الاستبداد والاستنثار وإقصاء الغالبية

الساحقة من نبهاء الأمة وأذكيائها عن موقع التأثير والقرار.

هجر الشورى بمعناه الشامل الواسع وتنصيب الاستبداد في إدارة

الحياة، ذلك يعني: خنق الفكر عند الفرد وفي المجتمع.. أمر جليل لا

يُمرُّ عليه مرور الكرام! إنّه حرمان الإنسان من نعمة العقل التي كرم

الله بها ذلك المخلوق وأسجد له الملائكة.

وأكرّر ما كتبته في أكثر من موضع:

لو قَدِرَ لأمة المسلمين عبر تاريخها أن يُدار أمرها بالشورى الحقّة

لكان إنجازها الحضاري عشرة أضعاف ما أنجز بالفعل، ولوصل

علمائها إلى القمر في العصور الوسطى.

¹ كتابي "الحرية أولاً.." منشورات دار المعارف -مصر- / ودار الخلدونية - الجزائر- 2020، الفصل (18) بعنوان: "الاستبداد طاعون الأمم" ص 121 فيه تفصيل.

² حوارني هو مع ما كتب الشيخ الراشد ومفاعيل ذلك عند القراء وليس له علاقة بنوايا الشيخ والتي أحسبها خيرة.

الخلاف مع الحركيين ليس في الدين، وليس في الولاء للأمة، وليس في تحكيم الشريعة، ولكن في السياسة.. في إدارة الحياة: هل تدار بشورى الشعب؟ أم تدار بحزب واحد يتمكن من مفاصل الدولة والمجتمع؟ .. حزب يأبى التداول السلمي على السلطة ويستدعي تاليًا الأمراض السالف ذكرها- النزاع والدماء وخراب العمران وعدم الاستقرار وحجب الحرية والعقم في كشف العلم وتقاناته.

وسؤال ودّي إلا أنه حدّي:

هل يريد الحركيون أن يكونوا رافعة لتجاوز الأزمة التاريخية التي عانتها وتعانيها الأمة جرّاء الاستبداد؟ أم يكونوا سببًا في استمرار الأزمة وتكريسها؟

فإن كانت الأولى: فأهلاً ومرحبًا.. تلك تقتضي تطهير الأدبيات جميعًا، وكذا الخطاب والتربية الداخلية من مقولة التمكين للحزب من مفاصل الدولة والمجتمع، والأخذ بقول وخطاب وسمت جديد، قائم على التعاون المخلص مع كل القوى السياسية الأخرى، لبناء اجتماع جديد وفكر جديد قائم على أحلاف الفضول، وشورى الشعب والأمة، ويؤسس لتداول سلمي على السلطة بإرادة أغلب الشعب.. أغلب أصحاب الأمر أصحاب المصلحة قال تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ (الشورى: 38).

وإما إن كانت الثانية: فذلك خيار ليس سارًا وليس موفقًا، وهو الاستمرار في العمل على ما يُفضي إلى استبداد باسم الدين، والدينُ

من ذلك براء، ومن ثمّ: البقاء ترسًا في دوامة الصراع على السلطة التي أودت بحضارتنا وتهدد في حاضرنا محض وجودنا. يا أستاذ: كما أنّ تكرارك للشتائم أكثر من أن يحصر أو يشار إليه في مراجعة! يا رجل! ألا ترى أنّك جاوزت الحد وأنت شيخ مجرب داعية؟

وأعطي القارئ الكريم عيّنة - محض عيّنة - ممّا كتبه الأستاذ الراشد في كتابه عمّن عارض مرسى:

ص¹⁴ من الكتاب: "وانقسم الشعب إلى سواد عريض من الصالحين، وشرذمة من المجرمين، والمصلحين باعت الضمير والدين، والمبدأ والذات، والعرض وكل شيء بثمن بخس دراهم إماراتية، وريالات معدودة لا تغني مهما كَبُرَ رقمها".

ما هذا الفُحْش؟ بيع للذات، والعرض، وكل شيء بثمنٍ بخس!! أتصدق نفسك يا أستاذ أنّ الملايين التي خرجت لم يُخرجها إلا الرشوة؟ ذلك القول أقل ما يقال فيه أنّه منافٍ للحقيقة! كذب صريح! بل الغالبية الساحقة من الشعب المصري خرجت تطالب بانتخابات رئاسية مُبَكِّرة وفق الأعراف الديمقراطية، وفي إطار القانون والدستور. لكن ما يتمناه بعض الحركيين أو يتوهمونه يُنزلونه منزلة الحقائق! العالم اليوم في زمن الإعلام الحديث، والتصوير بالأقمار الصناعية. ثم أنت بما قلت شتمت أقله ثلاثة أرباع شعب مصر بأقذع الأوصاف!

ص¹⁵ من الكتاب: "إنما الجيش المصري آلة مُشتراة، والسفيرة الأمريكية؛ هي ملكة مصر الحقيقية، والرئيسة النافذة الأمر".
يا أستاذ: أمريكا وأوروبا لم يرقُها ما حصل¹، ذلك معروف للقاصي والداني، إذًا لماذا لي الأمر بهذا الشكل؟!
دلني بالله عليك كيف يمكن الحوار مع هذا النوع من التصريحات. هل كُتِبَ على بعض المتديّنين أن يروا السياسة إنشاءً لفظياً وخطاً من قدر الآخرين، ولا تعامل مع الواقع، بل أحلام في الهواء، وتظهر بدعوى العبادات. هل العبادات والقرآن للتفاخر والاستعلاء على خلق الله! "لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: "إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً"².

¹ هذا الأمر لا يفهمه كثير من المتديّنين! ولسان حالهم يقول: كيف ذلك؟ د. مرسى إسلامي، وأمريكا وأوروبا "نصارى!" ولكن لذلك تفسير:
حركات التدين السياسي وكثير من المتديّنين يقرأون الصراع الدولي الراهن بمرآة ما ساد في العصور الوسطى، وما بعدها من صراع بين الإسلام والنصرانية، وبالذات الحروب الصليبية، ومأساة الأندلس، والصراع على البلقان، والقوقاز زمن السلطنة العثمانية. يغفلون عمّا تطور له العالم في قرون خمسة حاسمة (1500م-2000م). في سالف الدهر كان للمسلمين وزن يوازي أو يزيد عن قابلهم.
إلا أن التغيرات التي طرأت في القرون الخمسة المذكورة قلبت الموازين. الاكتشافات الجغرافية، وبناء القارات الأمريكيتين، وأستراليا، والتطور العلمي، والتقني الهائل الذي فاتنا، وقادته أوروبا وأمريكا. فما هي موازين اليوم بالتقريب:
المسلمون حوالي 20% عددًا من سكان المعمورة، إلا أن وزنهم العلمي، والتقني، والاقتصادي، ومن ثم في ميزان القوة لا يتجاوز 2% من عالم اليوم. ماذا يعني ذلك؟
والجواب: أن السياسات الدولية مع الدول الإسلامية (وهي متفرقة على أي حال) لا تتم حسب معادلات العصور الوسطى، بل وفق موازين هذا الزمان وحساباته. أي مع دول صغيرة ضعيفة كالأحجار على طاولة الشطرنج!!
ولذا أدعو إلى تجديد الوعي بالمعرفة، والعلم الزماني المعيش الآن، والكف عن العيش في التاريخ، كي نبدأ من الواقع، وليس من الوهم.
² صحيح البخاري.

ورد في كتاب الراشد ص³¹ ما يلي:

(فكذلك كان الانقلاب السياسي بمصر: بلطجية من أعوان مبارك، وفلول النظام السابق، وفقراء من سكان المقابر، وملاحدة من بقايا الشيوعيين، ويهود، وحاقدين من الأقباط، ونوع من السلفية أتباع المخابرات السعودية غسل دماغهم شيخ إفريقي من وعاظ السلاطين اسمه الجامي يعيش في الحجاز يحمل المبخرة لتبخير الملك والأمراء، وجمعت المخابرات الأمريكية كل هؤلاء وصرفت لهم أموال آل سعود، وآل نهيان، وآل الصباح ما قد يصل إلى ملياري دولار، ومليارات أخرى إلى الجنرالات وجنود الجيش والشرطة، وحصل الحشد في ساحة التحرير، وزعم الجيش أنه يستجيب لرغبة الشعب، وهم في الحقيقة هؤلاء النكرات والخونة) انتهى ما كتبه الراشد.

يا أستاذ: هل بعد ما كُتِبَ أعلاه ما هو أشدُّ فحشًا في احتقار الناس؟! المعارضة السياسية الشعبية، الملايين الذين خرجوا يطالبون بانتخابات رئاسية مُبَكَّرَة هذه أوصافهم عندك! كيف الحال لو تمكن أمثالك من رقابهم؟! ماذا بعد؟ لذلك تفسير قريب! ألم يصنف رائدك¹

¹ الأستاذ الراشد من التيار "القطبي" داخل حركة الإخوان، من أتباع السيد قطب. الرجل صرَّح في كتابه بذلك مرَّات، وكذا موقفه في كتابه من الآخرين، وأعني المعارضة السياسية، إسقاط كامل لهم من الحساب أيًا كان. هم عنده محض حثالات باعوا الدين والعرض بالمال. لم يقل كلمة الكفر في حقهم، ولكن شتمهم بكل ما جادت به القريحة وأسعفت به اللغة! ذلك جوهر موقف قطب من جماهير الأمة،

سيد قطب كل أمة الإسلام أحياءً وأمواتًا، ومنذ قرون أنها تغط في جاهلية، وليس لها من الإسلام نصيب؟ علماؤها، دعاتها، مصلحوها، مساجدها، صلواتها، دعاؤها، شهادؤها، جهادها كل ذلك استعلى عليه قطب ورآه هباءً منثورًا!

إلا أنه أعطى الحل البديل للإسلام وأهله: أن ينشئ هو ما أسماه "تجمع عضوي حركي" يبدأ من الصفر كما بدأ الإسلام على يد رسول الله ﷺ في مكة -حاشا وكلا- ويتكلف قطب بنفسه بالتربية لأمة جديدة. هل بعد ذلك غرور وكذا بطر للحق؟ وغمط للناس؟¹.

وأما عن الغرور وتزكية المحازبين، وفي كل اتجاه، أقدم للقارئ الكريم عينات وأمثلة مما ورد في كتاب الأستاذ الراشد:
ورد في كتاب الأستاذ/ الراشد ص⁷ ما يلي:

كما أجزم أن فكر المرحوم الإمام حسن البنا، وخُلُقه، ودينه بريء من ذلك الفُحش والذي يزخر ببطر الحق وغمط الناس.
وبناءً على ذلك، كتاب الراشد- رغم ثانويته وظروفه- هو إسقاط لفكر سيد قطب على جماهير الأمة. الغلو ومحاضنه أشكال وألوان؛ فمنه بالقلم ومنه بالقلم والبنادق معًا، ومنه بالموقف من خلق الله أخذًا وعطاءً. كتاب الراشد الحالي محضن خطير من محاضن الغلو القلمي. وهو دعوة أن يحمل البنادق من استطاع! أبين فيما يلي ما أقول حتى لا يُساء فهمي: الأستاذ الراشد لم يقل حملوا البنادق بل قال سلمية سلمية.

لكن عنف الخطاب والمفاصلة فيه حثٌّ بيِّن للشباب التابع أن يحمل من استطاع منهم السلاح ليقوم "الإعوجاج!" وقد حصل وأريقت دماء كثيرة.

¹ خصصت كتابًا مستقلًا تحت الطبع- في حوار أفكار سيد قطب وذلك بعنوان: "خواطر في المنهج ووقفات مع كتاب (معالم في الطريق)" لمؤلفه المرحوم سيد قطب.

(وقد زادت محنتنا عن مقدار محنة الصحابة - رضي الله عنهم-، في
أَنَّا قَتَلْنَا رِجْعًا، وَسُجَّدًا وَصُومًا.

والإخوان المسلمون أنصار الله تعالى وحلفاؤه، والدعاة إلى دينه.
وكانَّ الملائكة تقول لمحمد بن بديع إذ هو ملحاح في دعائه اليوم:
نُصِرْتَ ... أيها المرشد العاقل الحكيم

وَنُصِرْتَ جماعتك ... بما صَبَرْتَ على توالي المِحَنَ
*وَنُصِرْتُمْ أيُّها الإسلاميون بمصر جميعًا، الإخوان والجماعات
السلفية والمستقلون*

والقائد يقول للشعب المصري اليوم ولكل الأمة ما قاله عيسى -عليه
السلام- (مَنْ أنصاري إلى الله؟) " انتهى.
وأترك التعليق على ما تقدم للقارئ!

وأما ثلاثة الأثافي فهي ما كتبه الأستاذ الراشد في ص¹²⁰ من كتابه
وفيما يلي نصّه:

(ومن صورتك، وموقعك، وجلستك أجزم بإجرامك، ورأى الناس في
كل العالم الفرق بين النموذجين: الإسلامي الطاهر، ومجتمع
اللبصوص العفن، وحصلت في أرض الواقع معاني (المفاصلة) التي
جعلها سيد قطب شرطاً في إدارة المعركة السياسية ببعُد عقائدي،
وكان برهان المفاصلة في فكر سيد قطب -رحمه الله- لا يفهمه غير
أهل العمق من الدعاة، لاحتياجه إلى فهم الموازين القرآنية والفقهية،
واليوم يفهمه كل مسلم، وهذا انتصار لفكر سيد بعد نصف قرن من

تدوينه، وارتقت المعركة من كونها سياسية فقط، إلى كونها عقّدية، وذلك أوج النجاح وأعلاه، وأزكاه، وصارت معرّكتنا: (ربّانية)...!!" انتهى.

ما تقوله أنّ المعركة السياسية مفاصلة، وعقّدية، وربّانية في آن واحد. هذا ما تقوله وقاله سيد قطب! لكن الإخوان المسلمين ليسوا على هذا القول! من يقول بهذا القول -فيما أرى- لا يصلح لحكم شعب مسلم أيّاً كان! نعم هو كذلك! ذلك القول من كبائر سيد قطب الفكرية الذي ينبغي للإخوان أن يطهروا تراثهم الفكري منها!

يا أستاذ محمد الراشد: السياسة "المسلمة" اجتهاد في المصالح المعتمدة يقود ذلك الاجتهاد علم السياسة، وبما لا يخالف قطعياً من الوحي، وليست عقائد ولا قريئاً من ذلك، ومهما قال الغالون، وسواء قطب أو غيره! وحيث إنّ الاجتهادات كثيرة، والعقول والثقافات درجات، فإنّ السياسة المسلمة في قضية ما عديدة. وقد يكون من الاجتهادات المسلمة في السياسة ما خرج من غير مسلم بل من فم ملحد!

بل هذا الحال - وقد تخلفنا في ركب العلم والحضارة وثمرات العقول- نحياه اليوم بغزارة، وسواء في السياسة أو غيرها، وأعني سياسة مسلمة خرجت من غير مسلم.

لا تجزع يا أخي! ورد في الأثر: "الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث يجدها فهو الأحق بها" ولكن لا يليق بنا أن نكون عالة وبين أيدينا الرسالة الخاتمة.

دائرة الإسلامية في السياسة محيط لا حدود له؛ هو عالم المباح فضلاً عن الحلال. الشرط الوحيد الحاكم لذلك أن لا يخالف قطعياً في الوحي.

وأما السؤال: ماذا نختار لحالنا في قضية ما من تلك الاجتهادات الكثيرة، هنا أيضاً لا بدّ من التمييز، والتدقيق والمقارنة النظرية ثم التجريب، وما ثبت بالتجريب نجاعته، وتفوقه على غيره نأخذ به. أعلم أنّ سيد قطب لم يتعرّض لشيء في الشأن العام أو شأن الانسان إلا جعله أضيّق من سم الخياط! لم يرَ مكاناً لكمال تدينه، وتفردّه، وتميّزه إلا أن يُخرج أمة الإسلام أولاً وعبر القرون من الإسلامية. ولم يرَ مكاناً لمصلح أو حركة إصلاح في تاريخ المسلمين أو حاضرهم إلا أن يبدأ الإصلاح من الصفر¹ في دار أرقم جديد في القرن العشرين، أي كما السنة الأولى من البعثة.

¹ من الطريف أن ننبه القارئ أنّ فكر قطب الحركي هو انقلاب على فكر الإخوان المسلمين كما خطّه المرحوم الإمام حسن البنا. حركة الإخوان وفق النص النظري الذي كتبه سيد قطب في ستينات القرن العشرين (وبالذات "معالم في الطريق") هي من ضمن من أخرجهم سيد قطب من الإسلامية، وسواء صرّح بذلك أو لم يُصرّح! الإمام حسن البنا قرّظ المجالس النيابية، والدستور المصري، والانتخابات وكان اعتراضه في الأساس على بعض القوانين ومظاهر الفساد في المجتمع. كما خاطب -رحمه الله- أمة الإسلام، وأمة العرب مستنهضاً الهَمَم للإصلاح دون عقد أو صفريات قطب التي لا تُقرّ بشيء إلا البدء من الصفر وبفرضية: أنه لا وجود لأمة مسلمة! معظم أنصار البنا - للأسف- لم يلمحوا ذلك المنعطف الخطير، حيث خطف القُطبيون المشهد! سيد قطب ليس امتداداً لحسن البنا ولا بشكل من الأشكال، بل انقلاباً، ونفياً لِمَا غرسه الإمام البنا ومن تولى بعده (حسن الهضيبي) خلال أربعين عاماً.

وأعجب كيف مازال الوهم السائد أنّ سيد قطب من اتباع البنا، - سيد قطب خارجي بامتياز- والبنا ليس كذلك.

كما لم ير أحدًا في حاضر الأمة أهلاً لقيادة ذلك الأرقم الجديد إلا ذاته: سيد قطب!

كل ذلك الهديان، والتخريف يسميه "طبيعة هذا الدين" جعل من نفسه محور الرحي في الأمة كلها. بل جعل شخصه -وفق ما كتب - وصيًا على الناس ظهر في القرن العشرين بعد أربعة عشر قرناً من البعثة، لا ليحدث الدين بل ليبدأه من جديد كما بدأه رسول الله ﷺ أول مرة! يرى أنّ الدين لم يعهد مجددًا له قبل ذلك، فأكلته الجاهلية، ودرست معالمه في النفوس! تلك هي عين المعادلة الصفرية عند قطب وفي كل شيء! ولكن اطمئنوا سيد قطب لها، يبدأ من جديد "تجمع عضوي حركي" كما سمّاه تكررًا، ثم ينطلق الإسلام كما بدأ من دار الأرقم الجديدة! هذا ليس - بالطبع - تقوُّلاً على سيد قطب بل بدأه حقًا مع أناس بعدد أصابع اليدين، هكذا كما سبق البيان، ثم تناقصوا إلى أن اختلفى "التجمع العضوي الحركي" العتيد.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

سيد قطب جعل من سجنه، ومعاناته، وخصومته مع نظام جمال عبد الناصر - (وقد كان حينها وقبل شهر من حاشيته) - نهاية التدين، وأمة الدين وانعدام الخيرية والصلاح فيما خلا من قرون.

ذلك هو تفكيك ما كتبه سيد قطب في سياسة الدنيا وفهم التدين. لقد قرأت لسيد قطب بعناية، وتجرد، ودقّة ووجدت بالنص وبوضوح ما يدل على ما قدمت. وظني أنّ غالبية الحركيين سمع عن سيد قطب

كاتب "الظلال"، الشهيد الذي قتله نظام "علماني"، إلا أنه لم يقرأ ما كتبه الرجل في السياسة وبالذات كتابه "معالم في الطريق"، وأن قرأ فلماً ودون دراسة! خواطر الرجل في "الظلال" حول القرآن شيء، ولكن ما كتب في السياسة والموقف من الدنيا وأهلها شيء آخر، وسواء كان ذلك في ثنايا "الظلال" أو جمعه في كتابه المستقل "معالم في الطريق".

المسؤولية الحالية الآن، ومنذ كان سيد قطب تقع على حركة الإخوان المسلمين أن تُنقَى تراثها من غلوه، وتوقف التمجيد له في صفوفها. وأمرنا وأمره إلى الله.

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿طه: ١٠٠﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١٠١﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿طه: ١، ٢، ٣﴾، إلا أن للغالين خوارج العصر رأياً آخر! بل تشقى شقاءً وحراباً إلى يوم الدين، وعلى بني آدم جميعاً، وأول الشقاء والحرب على المسلمين، أليسوا في رأي قطب أهل جاهلية أظلم من تلك التي قبل الإسلام؟ ألتمس من القارئ الكريم أن يراجع كتاب سيد قطب "معالم في الطريق" السابق الإشارة إليه. وأن يقرأ كتابي "خواطر في المنهج ووقفات مع كتاب: [معالم في الطريق] لمؤلفه المرحوم سيد قطب"، وفيه حوار شامل مع كتاب المرحوم قطب.

لقد اقتترف من أخذ بأقوال سيد قطب، وكبائره الفكرية أفضع الجرائم في حق الشعوب الإسلامية، وكذا أمن المسلمين في كافة أنحاء العالم.

نشير في هذا المقام إلى العراق، وسوريا، ومصر، والجزائر،
ونيجريا، ومالي، وباكستان، وأفغانستان وكذا حال الأقليات
الإسلامية في أوروبا، وأمريكا وسائر أرجاء المعمورة.
كما أنّ الحريق مستمر يأكل الأخضر واليابس ولا حول ولا قوة إلا
بالله العليّ العظيم.

ثمّ يا شيخ محمد الراشد: ما خطبك مع الصحراء؟! عيّرت الناس بها
في كتابك سبعين مرّة! وكأنّ الصحراء عارٌ ما بعده عار! يا رجل:
أنت من بلدنا الحبيب العراق، 80% من مساحته صحراء، وكذا بلاد
الشام 60%، ومصر 95%، والجزائر 85%، وتونس، والمغرب،
والسودان 70%، وليبيا 95%، وجزيرة العرب التي نشأ في ربوعها
خير الأنام 95% منها صحراء، أنا من صحراء فلسطين وأعتز.
ينبغي الاعتذار عن ذلك! كلام من لغو الحديث! أنت علّم في أوساط
الإخوان، ويُقرأ لك عشرات الآلاف، ارحم وعيهم، وثقافتهم، وحسن
جدلهم مع الناس. تلك أمانة.

قال تعالى: ﴿مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18).

لم أر من الأستاذ الراشد كلمة واحدة عن سياسة الإخوان التي أودت
بهم إلى ما آلت إليه الأمور.

على أي حال: الأمر ليس كما قدّم الأستاذ الراشد، بل انتفاض شعبي
شامل على تخبط الإخوان، وفشلهم الذريع في السياسة، وكذا في
إدارة الأزمة، وسواء قبل عزل مرسي أو بعد ذلك.

والشاهد: أن أكبر المتآمرين على حكم الإخوان لمصر؛ هم الإخوان أنفسهم، ومن حيث لا يشعرون ﴿...قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ...﴾ (آل عمران:165) ومن ذلك:

أين الفقه في "حلف الفضول"

لم يروا في الائتلاف مع القوى الوطنية المصرية خيراً لهم ولمصر، تلك القوى هي التي أوصلت مرسي للرئاسة، وتعهد لها قبل انتخابه بما تعهد.

لم يفقهوا بعد أن شعار "التمكين" بالمفهوم الإخواني، وهو السيطرة على فعاليات المجتمع ومفاصل الدولة ودوائرها، ومؤسساتها ليس من الشورى في شيء، وليس من الديمقراطية في شيء، وليس من الحرية في شيء، بل هو حرية الحزب الواحد أن يستبد بالناس كما يشاء. ذلك انقلاب على ما تعهدوا به للناس من التزام بأسس الدولة المدنية، والتداول السلمي على السلطة. ذلك الشعار النكد -التمكين- تأسيس لاستبداد جديد، ومصيبة كبرى على الأمة، حيث يُعيدها إلى مسلسل الاستبداد، والصراع على السلطة الذي أودى بحضارتها، وألقها في التاريخ.

البناء التربوي، والتنظيمي الراهن للإخوان (وهو قطبي في جوهره!) لا يجعل الناس في دولة يحكمونها متساوي الحقوق والواجبات، بل استبداد حزبي والباقي من الدرجة الثانية والثالثة!

نظركم لذواتكم وللآخرين لا يصلح أن تحكموا شعبًا فيه تنوع النظر،
والفكر والاجتهاد.

أقصاها أن تكونوا أخوية بينكم، وأمّا حكم الملايين من غيركم فلا!
أنتم لا تشعرون برّحم حق مع مَنْ ليس إخوانيًا، وبالذات إن توليتم
السلطة وحكمتم.

وحتى الإخواني الذي يفكر ويُقدّم النصّح وينتقد، أمرّ ثمّ مقاطعته إلى
الممات، تلك أخلاق حزب -للأسف- فاشي أو نازي أو ماسوني،
وليس ما أمر به القرآن ورسول الإسلام ﷺ. بدعة ومعصية بيّنة،
يحمل كبرها مَنْ بدأها وَمَنْ أقرّها وَمَنْ عمل بها.

تريدون أن تكونوا سادة على الناس بحق الإيمان، يبدو أنّ الإيمان
عندكم ليس دين محمد ﷺ وكفى، بل عضوية الحزب أيضًا. كل مؤمن
غيور خارج الجماعة غافل أو مُغَيَّب عمّا ينبغي! تعصب مرّضي
للحزبية لا يطاق! هل أصبح الحزب وثناً يُعبد؟! أين في قاموسكم
الأخوة في الدين؟!

تحالف البعض معكم لشهور وخرج نادماً شاكياً أن "هؤلاء
يحتقروننا!" كِبْرٌ تُخفيه غلالات ما تلبث أن تمزقها نشوة السلطة. أين
أنتم من أخلاق محمد ﷺ الرسول القدوة؟! تحالف في جهاده مع
مشركين، وكفّار، ووثنيين أحسن لهم ووفّى بما عاهدهم عليه، قرّظ
ملك الحبشة، وهو على الشرك ووصفه أنّه ملك عادل لا يُظلم عنده

أحد. كرامة الإنسان والأخوة بين بني آدم جميعاً كانت حاضرة دوماً في هديه ﷺ.

ذلك مرض يراه المراقب، وقطعاً يراه بعضكم ولكن يُكابِر، لعل ذلك يبقى خافياً، وحتى تتمكن الجماعة من تلاييب المجتمع بالسلطة، ثم تعمل قوة الدولة فيمن يقول شيئاً في حكم "الإسلام!" أي حكم الإخوان! هذا الحال لم يعد توقعاً نظرياً، بل عاشه الناس أينما حكم الإخوان وتمكنوا.

أنتم لديكم حال نفسي تربوي متعدد الجوانب:

حال الشغف بالسلطة، ولعل من أسباب ذلك أن تتأروا من المجتمع الذي لم يِعِ فضلكم، ودينكم، وحال الشغف ذاك جعل التمكّن من رقاب الناس بالسلطة أعلى أمانيتكم.

وحالٌ تسموه "الاستعلاء الإيماني"¹، وذلك يعني المنتمين للحزب العتيد!

¹ في كتاب المرحوم سيد قطب: "معالم في الطريق" ثمرات للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى 2013م، ص 27، وكذلك الفصل بعنوان "استعلاء الإيمان"، ص 174 ورد ما يلي: "إن أولى الخطوات في طريقنا هي أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي، وقيمه وتصوراتهِ، والأعدل عن قيمنا وتصوراتنا قليلاً أو كثيراً لنلتقي في منتصف الطريق، كلا إننا وإياه على مفرق الطريق، وحين نساوره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق" هل بعد ذلك غلو! هل بعد ذلك عنف في المفاصلة مع المجتمع الإسلامي الذي يصفه قطب بالجاهلي. أرجو القارئ أن يتأمل العبارات التي تحتها خطوط، وتلك الخطوط من وضعي.

ذلك قول - للأسف- لا يلفظ به عاقل فضلاً عن مفكر يزعم الانتماء لمجموعة سياسية أو دَعوية أيّاً كانت! أنزل "اجتهاده" في المنهج الإسلامي منزلة المعصوم المُستعلي على النظر والمحاورة والنقد. ورغم ذلك يعمل القطبيون على تولي ذلك المجتمع الجاهلي عندهم!

ثم: نبأ لهكذا "منهج!" خطوة واحدة يفقد كله والطريق أيضاً.

تلك من الكبائر الفكرية - وهي عديدة - للمرحوم سيد قطب والتي ابتليتكم والأمة بها، ولم تُدركوا بَعْدُ ضررها البالغ بكم وبالمسلمين ووحدهم، وسلامهم الاجتماعي.

كلام صريح وجارح، ولكن أراه لازماً حيث لا يقوله إلا قلة، لعله يئز البعض منكم للمراجعة والاستدراك.

أين النفس اللوامة!

أنت يا شيخ لم تقل كلمة واحدة في النظر للداخل! لِمَ ذلك؟ هل لأنَّ الإخوان لم يخطئوا في شيء أثناء ما حدث؟ أم أنَّ المراجعة عندكم تتم بين جدران أربعة، وحتى لا يطلَّع (أو يشمت!) المجتمع الذي تطمحون لحكمه؟ تذكِّروا أنَّ المجتمع هو مناط الأمر كله في السياسة وفي غير السياسة. لِمَ لا تصارحون الناس، وتفتحون عليهم وتقولون لهم أين أصبتم وأين أخطأتم؟ بل وتجاوزون قوى المجتمع جميعاً في

تلك هي شخصية قطب وسَمَّته الصفري الذي يطلب التفرد، والمبالغة، والمزايدة على خلق الله جميعاً.

ولعلم القارئ أنَّ الدكتور يوسف القرضاوي أدان "فقه جماعات العنف والتكفير" في أكثر من موضع من مؤلفاته: أنظر مثلاً كتاب "الصحوَّة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد" دار الشروق - القاهرة (الطبعة الثالثة-2008 ص 291-309) وكذلك كتاب "أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة" - مؤسسة الرسالة - بيروت (1412هـ-1992م) ص 115-117، حيث ورد ما يلي:

"في هذه المرحلة ظهرت كُتُب سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تكفيره والتي تنضح بتكفير المجتمع وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، والسخرية بفكره تجديد الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية!! ما تقدم هو رأي الفقيه الأبرز في حركة الإخوان منذ تأسيسها، وذلك في فكر سيد قطب وتوجهاته!

ذلك. تلك ليست أسرارًا مملوكة لكم، بل تجارب شعب وأمة، ذلك لو اتبعتم صحيح السياسة.

لم أر غزارة في الاتكاء على "المؤامرة"¹، كما رأيتها في كتابك، بل وكذا فيما تكتبه فرّق التدين السياسي.

لِمَ يَا أستاذ؟ أليس للسياقات أسباب موضوعية؟ ألا يوجد سُنَن وقوانين تحكم المشهد الذي نحن بصدده، وكل مشهد أيًا كان؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس:44)، و﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (الرَّعْد:11)، هذا هو القانون الربّاني للتغيير! يُغَيِّرُونَ ما بأنفسهم أولاً، وليس ما بأنفس المتأمرين الذين أوسعتهم شتمة!

معنى ما كتبت أنّ الطرف الذي تُذنب عنه أصاب في رحلة السياسة منذ ثورة يناير المصرية عام 2011، وحتى عزل الرئيس وما بعد ذلك. ولكن لعن الله التأمّر! هل هذا موقف بناء؟! هل ذلك هو موقف المسلم المُكْرَم بالإسلام من قضية الإخفاق؟ أما من مراجعة؟ أما من رجوع؟ أين القوة الناقدة الأمّرة بالمعروف والشاهدة بالحق التي أمر الله بها المسلم؟

¹ في كتابي "عن أزمة العقل المسلم ودور الفكر" دار الخلدونية - الجزائر العاصمة- 2020م، بحث بعنوان "خواطر حول منطق المؤامرة"، الفصل السادس ص 178.

ما يَدُبُّ عنه الغالون أفضى إلى حرق الشام والعراق

يا أستاذ: لك بعض العذر.. أعلم أنك كتبت كتابك في ظرف استثنائي،

وتحت ضغط العواطف المشتعلة، كان ذلك عام 2013م.

تلا ذلك في عام 2014م فتنة صاحب الموصل الشهيرة المستطيرة،

والتي اقترفها الغلو، والخروج الدموي، وتكفير المسلمين. ذلك

الخروج والمؤسس له في العصر الحديث هو سيد قطب، ومن سار

على نهجه، حيث كَفَّر المجتمع المسلم أيًّا كان.

ماذا كانت النتيجة: سفك الدماء لمئات الآلاف من المسلمين في

العراق، وسوريا، وتدمير حواضر الإسلام العريقة في العراق،

وسوريا وتشريد الملايين.

ذلك الغلو المجنون، وما اقترفه من دماء، ودمار، هو ما يحرق دمي،

وما أنا بصدده ودافعي أصلاً للكتابة والعناء.

كما أنّ فتنة هؤلاء لا زالت جذعة، وفي تفاعل مستمر، وامتدت نارها

إلى بلاد إسلامية أخرى ولا يعلم مستقرها إلا الله.

حاملو كِبَرها كَفَرُوا الجميع، بما في ذلك حركات التدين السياسي،

ومنهم من تَدَبُّ عنهم، وصفوا الجميع بالنفاق وقداموا قتاله على قتال

العدو الصائل، نفذوا تلك القناعات الهمجية الإجرامية في الواقع

بالدماء الغزيرة. لم يستثنوا أحدًا إلا ذواتهم! عندهم همّ وحدهم حَمَلَة

الدين الصحيح والفهم المستقيم.

وفق خيالهم الإجرامي المريض، أصبحت أوطان المسلمين جميعًا ساحة مفتوحة "لجهادهم"!! أي للقتل العشوائي، والتنكيل، والتشريد، والتخريب دون حدود، هؤلاء وفي ميزانهم الهمجي كل المسلمين منافقون، ومرتدّون كَفَرَة! نرى ونسمع تفجيرهم للمساجد، وفيها الرُكَّع السجود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولعلم القارئ: فرع هؤلاء في سوريا الآن دليله العملي، والتربوي هو كتاب سيد قطب "معالم في الطريق" ويا شماتة الأعداء! يا أستاذ: سيد قطب تجرأ على أمة الإسلام وأهانها بما لم يقله أحدٌ من الغلاة قبله، ولا حتى مستشرق حاقِد، كَفَرها قاطبة في تاريخها وحاضرها ومستقبلها، فأين إذاً المخرج والمقر؟!

غلو بلا حدود!

تلاميذ الكبائر الفكرية لقطب -أصحاب الموصل-كَفَرُوا منذ شهور حركة طالبان الأفغانية-، حيث غلّوها، وتشددها عندهم لا يكفي!! وشر البلية ما يضحك! حتى دعوى الخوارج في التاريخ لم تكن بذلك القُبْح والهمجية، والخطورة! هؤلاء كَفَرُوا معاوية وعلي -رضي الله عنهما-، وفسَقُوا أو كَفَرُوا مَنْ لم يقل بذلك.

سيد قطب فيما كتب في الشأن العام لا يجد لنفسه، وفكره موقعًا إلا أن يصف كل من عليها أصفارًا ليسوا على شيء. الرجل أفضى لما قدّم وأمرنا وأمره إلى الله.

وبناءً على ذلك كتاب الراشد - رغم ثانويته وظروفه- هو إسقاط لفكر قطب على جماهير الأمة احتقارًا وتحقيرًا من محازب له وشريك له في الأفكار. كما أنّ الغلو ومحاضنه أشكال وألوان، فمنه بالقلم، ومنه بالقلم والبنادق، ومنه بالموقف من خَلقِ الله أخذًا وعتاءًا.

كتاب الراشد الحالي - كما سأبيّن لاحقًا- محضن خطير من محاضن الغلو القلمي؛ وهو دعوة أن يحمل البنادق من استطاع! كلام خطير ومستفز، نعم هو كذلك، إذًا عليّ أن أبيّن ما أقوله حتى لا يُساء فهمي.

مآلات الخطاب المغالي

أيُّها القارئ الكريم: الأستاذ الراشد لم يقل: احملوا البنادق! بل قال: سلمية سلمية حسنًا.. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان"¹.

الراشد حاول تغيير ما رآه منكرًا بلسانه إلا أنّه -فيما أرى- اشتط في وعظ اللسان بإنكار جعل الأمر أجلّ من جلل، وأخطر من أن يترك محض وعظ باللسان، غالى في المَظْلَمَة المدعاة، وأوسع الظالم - في نظره- بما جرّده حتى من أبسط الكرامات. إذًا كيف يكون موقف الشاب اليافع السامع لذلك الشطط في الوعظ؟ من الشباب من تأخذه الفدائية والنخوة أن يكمل ما بدأه الواعظ لسانًا وذلك بيده ... فيلجئون للعنف والدماء.

¹ رواه مسلم.

مسؤولية الواعظ دقيقة خطيرة وجليلة في آن واحد! لا بدّ له أن يزن كلامه بميزان الذهب عدلاً وإنصافاً.. ويُقدّر المصلحة الراجحة الاجتماعية البعيدة والقريبة حق تقدير ليس من المصلحة لا عقلاً ولا حقاً أن تهيج النفوس بوعظٍ غالٍ فنُغَيَّبَ جرّاء ذلك العقول، ومن ثمّ تُرتكب الجرائم! الواعظ كالطبيب، إن لم يوزن جرعة الدواء بما يليق بالمقام زاد السُّقم وقد يقتل المريض.

الشائع في ثقافتنا الراهنة أنّ نجاح الواعظ تُقاس بمدى إثارته لعواطف السامعين. لا أرى ذلك صواباً، بل مهمة الواعظ، وبل وكل مُحدث أن يخاطب العقول أولاً، فتلك هي الحجّة وتلك هي المرجعية. خطاب العواطف ينتمي للغلو اللفظي الذي يفضي حتماً -ولو بعد حين- إلى الغلو العملي والدّماء.

وشاهد كبير من واقعنا: الوعظ على منابر الشيعة! يندر أن يخلو من بكاء على استشهاد الحسين -رضي الله عنه-، جُل ذلك الوعظ خطابٌ للعواطف واستدراةً للدموع. لا يقول واعظهم "استعملوا السلاح" بل محض بكاء وسرد لما يُبكي. إلا أنّ ذلك الوعظ الغالي -فيما أرى- المنافي للعقل والحق معاً ترجمه كثير من السامعين إلى بنادق وقذائف، وشعارات حرب لا تنقضي "يا نثارات الحسين". كيف إذاً تبني أمة الإسلام حياضها ومستقبلها مع ذلك الدفق من العواطف المشروعة وغير المشروعة، وفي غياب لجادّ العقل والتفكير؟ يقال:

إِنَّ فَلَانًا خَطِيبًا مُفَوَّهًا لَا يُشْقُّ لَهُ غِبَارٌ، وعند التفحص ترى ما قاله كثير من المثيرات العاطفية، وقليل من خطاب العقل والحقائق. قال ﷺ: "إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا"¹، وفي القرآن ﴿...وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه:69).

وهل يطمح الخطيب الواعظ الذي يقصد الخير للمستمعين أن يسلب عقول الناس كساحر لا خير فيه؟!
إدًا: فليزن الخطيب، والواعظ، والكاتب ما يقول وما يكتب، حيث ذلك إن صلح فهو نشر للعلم وبناء لرفعة الأمة، وإن كان غير ذلك أفضى إلى نزاع وفشل.

أكرّر أنّ محاضن الغلو منها ظاهر للعيان، ومنها خفي في المكتوب والمسموع من وسائل الثقافة! ومن المحاضن التي لا ريب فيها حركات التدين السياسي الغالية في طرحها للمشكل والمبالغة في تصوير مَظَلَمَتِهَا، ومظلمة المجتمع معها، فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَا لِسَانِ حَالِهِ يَقُولُ: الأمّة بحاجة إلى خليفة اليوم قبل غدًا، وإلا لا أمل!
ومنها من يقول: أدركوا الشريعة لم يعد لها وجود في حياة الناس، أدركوا الإسلام قبل أن ينقرض.

ومنها من يقول: نسي الناس الجهاد ذروة سنام الإسلام.. أيها المؤمنون أدركوا أمّة الإسلام وهكذا.. تلك أقوال غالية وخُطِطَتْ حَقًّا بباطل فهي:

¹ رواه البخاري.

جانبت الحق الصافي، وإن كان فيها شيء منه.

ومن ثم لم تَحُلْ من كذب!

أقوال في أمور جلل! تستنفر الأمة المسلمة بأسرها، ينبغي أن يحذر الخائض فيها أشدَّ الحذر، ويتحرى فيها أشدَّ الدقَّة! وإن لم يكن في مقدوره ذلك علمًا وعقلًا، فلا ينبغي أن يَقْفُ ما ليس له به علم.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18)، ليس رقيبًا فقط، بل رقيبًا عتيدًا، ذلك بيان لخطورة القول على عقول الناس وأعمالهم، ومن ثمَّ حياتهم السويَّة في الدنيا ومصيرهم في الآخرة. والله الأمر من قبل ومن بعد.

خطر الغلو والتطرف يهدد وجود الأمة

ليس خطر الغلو والتطرف ما يبدو من أحداث تتناقلها وسائل الإعلام فقط، لا بل أشد فتكًا من ذلك أضعاف.. إذ فضلًا عن حرمان الأمة من استقرار وتنمية تخفف وطأة الفقر، والحرمان وهما الألب المؤسس لمعظم الرذائل الاجتماعية، هناك خطر لا يراه الكثيرون! مسلمو اليوم هم ضعفاء العالم المعاصر، وسواء في العلم أو المال أو وسائل الثقافة؛ يمثل المسلمون الآن حوالي 20% من سكان كوكب الأرض.. إلا أنَّ وزنهم العلمي، والاقتصادي، والتقني حول 02% ممَّا في الأرض.

كثيرٌ من الشعوب وكذا الأوساط صاحبة القرار في عالمنا لا تعي عمق المأساة التي نعانيها في مواجهة الغلو! لا يروا أنَّ عصابات،

وشراذم لا تتجاوز - ما ظهر منها وما خفي- واحد من ألف من عدد المسلمين تقوم بالجرائم في أنحاء المعمورة، وتنسبها للإسلام زورًا وبهتانًا، كما أن أكثر تلك الجرائم يقع في بلاد المسلمين وضحاياها مسلمون والمُرَوِّعون بها مسلمون!

كما أن كثيرًا من الشعوب ترى الإسلام من منظار هؤلاء الشرذم الشاذة المجرمة، ومن ثم تتحسب لأمنها من الإسلام على هذا الأساس.

تلك الشرذم الغالية المجرمة تبني بين المسلمين وإخوانهم في الإنسانية؛ أي باقي قاطني المعمورة جدًّا سميكة من العداوات الظاهرة والباطنة!

عالم اليوم دنيوي، أغلب أهله لا يبهون لعدل أو إنصاف أو تحري جِدِّي للحقائق، بل ما يهمهم أمنهم، ورخاؤهم في أوطانهم.

قال قائلهم بل عقلاؤهم: نعرف أن المجرمين قلة، ولكن كيف الطريق إليهم بالتحديد، هم منتشرون في الأرض الواسعة، ولا نأمن المفاجآت منهم، إذا ليس لدينا من حلٍ إلا أن نعزل المسلمين جميعًا ما كان لذلك سبيلًا.

إبادات التاريخ

الإنسان ظلوم جهول بنص القرآن، وحدث عبر التاريخ إبادات كثيرة وبعشرات الملايين، بل أُبِيدت شعوب بأكملها ولم كان ذلك؟ تَعَارُض وجود هؤلاء الضحايا مع ما توهمه الأقوياء مصلحة وأمنًا لهم، فكان

ما كان، تلك الإبادات كانت أغلبها في التاريخ وبوسائل بدائية نسبة لِمَا في يد أقوى العصر الراهن من وسائل. نحن لسنا بمنأى بعيداً عمّا حدث في التاريخ من إبادات!! نشير في هذا المقام إلى ما يحدث للمسلمين في "ميانمار بورما" إبادة بإقرار الأمم المتحدة. مسلمي ميانمار المساكين لا ذنب لهم إلا أن بعضهم رفض الظلم، وقاوم السلطة فكان الرّد من الهمج أن أعملوا فيهم تراث الإبادة! لا أستبعد أن يحصل ذات الشيء في تايلند، والهند، ومناطق أخرى وهو حاصل اليوم في غرب الصين!

أطلب وألح في الطلب من حركات التدين السياسي أن تقرأ ما كتبت أعلاه بقلوب واعية. النفخ في عواطف الشباب له مفاعيل مدمّرة، ليس فقط على أمن الأمة، بل على محض وجودها. لا تنسوا أننا الآن أمة ضعيفة! لماذا؟ هذا سؤال يرسم الإجابة عليه منكم، ووضع الخطط لتجاوز الواقع. نحن لا نقطن كوكب الأرض وحدنا، بل معنا أغلبية ساحقة ليست من ديننا، وبينها وبين ذلك الدين ذكريات وتخوفات. المطلوب منّا أن لا نؤجج المخاوف بل نطفئها. وأن نستأصل جذور الغلو، والتطرف في مجتمعاتنا، وفي جنبات ثقافتنا، وتربيتنا لأبنائنا.

الغلو ليس حقاً نتركه بل باطلاً ينبغي أن نردّه بكل الوسائل. أمّتنا عانت في تاريخها فتن الغلو أشكالاً وألواناً، كان أولها وأشهرها فتنة الخوارج؛ قومٌ مرّضت عقولهم فقاتلوا أمة الإسلام لقرون، وكذا فتنة

الغلو الشيعي، وطلب السلطة بحق السلالة، فتنة لم تهدأ ولم تنطفئ إلى يومنا هذا.

أمّة الإسلام هي الأشدُّ معاناة عبر تاريخها من الغلو وأهله، والنافخين في ناره باللسان، والقلم ومن حيث لا يشعرون.

وأما ما استجد فهو أنّ الأرض اقتربت أطرافها، واشتدت وسائل الفتك في أيدي أهلها، ومعظم ذلك في أيدٍ لا تُقيم للمسلمين وزناً، وقد خفَّ وزنهم وانكسرت شوكتهم. لا بدّ لأهل العقول والأحلام ممّا أن يعوا ذلك جيداً، ويقدّروا ما وراءه!

والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأما همُّنا اليوم فهو حاضر الأمّة ومستقبلها، هل نبقى رهائن فكر عَدَمِي مريض ظالم لا يقره دينٌ ولا خُلُق؟ فكر أسَسَ للنزاع والعداوة، وسفك الدماء بين المسلمين، وشوّه دعوة الإسلام في العالمين!

هل كرامة شخص مهما كان موقّعه مُقدّمة على أمن أمّة بأسرها؟ والله الأمر من قبل ومن بعد.

ما حدث في مصر أثناء حكم الرئيس مرسي ذو دلالة بالغة، وأهمية استثنائية. حيث - فيما أرى - كَشَفَ أزمة الحَرَكيين المسلمين في تعاملهم مع مجتمعاتهم، وكذا حالهم تجاه الدولة المدنية والديمقراطية، ذلك هو المحور الأساس في أزمة السياسة العربية والإسلامية¹.

¹ تعرّضتُ لذلك بتفصيل في كتابي: "عن أزمة العقل المسلم ودور الفكر" - دار الخلدونية- الجزائر العاصمة 2020، الفصل التاسع ص272، بعنوان "واجب النصيحة".

وأما الكتاب الثاني: بعنوان "فكرنا السياسي"

تأليف الدكتور عبد الرزاق مقري - دار الخلدونية- الجزائر العاصمة
1441هـ/2020م.

الكتاب فكرٌ رزين متوازن من رجل ينتمي لتيار التدين السياسي، ويرأس حزبًا بمرجعية إسلامية في الجزائر. ولا غرو فهو ابن الوسطية التي سار عليها المؤسس المرحوم الشيخ المجاهد محفوظ نحاح.

ولي سؤال: هل الكتاب فكر كاتبه وحسب أم فكر حزبه أيضًا؟ ما في الكتاب قطعًا ليس فكر الإخوان في حاضرهم، وقد رأينا - مثلاً - فيما تقدّم: ما كتبه الشيخ الراشد.

أملي وما أظنه أنّ الكتاب يمثل فكرًا يتبناه حزب حركة مجتمع السلم (حمس)، يأخذ به في أطره ومواقفه، وفي تربية مناضليه وتلك الأهم. أوجز المؤلف في الصفحات 174 إلى 180 من كتابه منطلقات هامة -أرى- لو قدر أن تبناها المتدينون في السياسة لساهمت بشكل حاسم في فض النزاع بين فرق التدين السياسي من جهة، وباقي القوى السياسية في المجتمع من جهة أخرى، وحرصًا منّي أن تُقرأ، أورد بعضها فيما يلي:

[لا بدّ من التفريق بين مؤسسات الدولة وهيكلها الإدارية من جهة والنظام السياسي الذي ينظمها من جهة والسلطة السياسية التي تحكمها من جهة أخرى. لا بدّ أن تكون مؤسسات الدولة حيادية

ومستقرة ودائمة. ويكون النظام السياسي معبراً عن الإرادة العامة للأمة من حيث طبيعة النظام ومرجعياته الحضارية العامة، وتحديد الحقوق والواجبات وضمن الحريات ضمن العناصر المشكلة لمفهوم الدولة المدنية سوى ما يتعلق بمنع علاقة الدولة بالدين باعتبارها خصوصية عربية لا يمكن عولمتها، مع التأكيد بأنَّ جُلَّ دساتير الدول العربية والإسلامية قبل الربيع العربي كافية في توصيف علاقة الدولة بالدين.

ثم تأتي الأحزاب لتتنافس على السلطة بتقديم رجال لا يمثلون أي شرعية دينية وبرامج لا تحمل أي قداسة دينية، بل برامج يقدمها البشر تركز على مرجعيتهم الإسلامية بحسب فهمهم للإسلام وإدراكهم لِمَا يصلح أن يُطبَّق منه في كل مرحلة بما يتناسب مع أوضاع وظروف المجتمعات. وليس من حق أي قوّة أن تحاسبهم باسم الدولة المدنية على الاعتماد في برامجهم على ما يعبر عن قناعتهم الدينية والفكرية ما التزموا بالمحافظة على النظام السياسي الذي اجتمع عليه الناس وما لم يعتمدوا أساليب الإكراه في عملهم السياسي، بل إنّ مفهوم الدولة المدنية ذاته هو ما يضمن لهم ذلك.

لا بدّ للإسلاميين من أن يفصلوا، على مستوى القناعة والممارسة داخل مؤسساتهم في الساحة السياسية، في مفهوم الديمقراطية المبنية على العقد الاجتماعي التي تعني حكم الأكثرية، وضمن حقوق الأقلية وإتاحة الفرصة للتداول على السلطة من خلال التنصيب في النظام

السياسي على دورية الانتخابات الحرّة والنزيهة والمبالغة في ضمانات ذلك، خصوصاً في زمن الأزمات وفقدان الثقة، كتحديد العهد والهيئات المستقلة لإدارة الانتخابات، وتحجيم نفوذ المال السياسي في المنافسة وغير ذلك.

لا بدّ من التأكيد في هذا المقام على أنّ ما يقابل الدولة المدنية في البلاد العربية والإسلامية هو الدولة العسكرية وليست الدولة الدينية، وهنا بالذات نقطة اختلاف كبيرة بين التاريخ الغربي والتاريخ الإسلامي، فالذي منع العلم والتطور وصادر الحريّات في الغرب هو المؤسسات الدينية، وأمّا لدى المسلمين فهو المؤسسات العسكرية وكل ما له علاقة بمفهوم الحكم المتغلب سواء كان "الحكم جبرياً" أم "ملكاً عضواً".

يجب التأكيد بأنّه ليس من مهام الدولة حمل الناس على ديانة معينة أو أيديولوجية ما، أي يجب ألا يفكر الإسلاميون بأن عليهم أن يحملوا الناس على الإسلام باستغلال مؤسسات الدولة حين يصلون إلى الحكم، كما يجب على العلمانيين ألا يستغلوا وجودهم ونفوذهم في مؤسسات الدولة لحمل الناس على العلمانية، فالدولة من خلال العقد الاجتماعي محايدة وهي تحمل اللون الذي يعطيه لها المجتمع وليس العكس، فأسلمة المجتمع هي عمل يقوم على مستوى المجتمع من خلال العمل الدعوي المتنوع، والمتعدد، والشامل، والدائم وبشكل تطوعي في الغالب، وما دور الدولة إلا أن تسمح بذلك في إطار حرية

العمل والتنظيم. فإن كان المجتمع مسلماً قابلاً لتعاليم الإسلام فإنَّ الدولة تحمل لونه، وإن كان غير ذلك تحمل غير ذلك، وإن كان بين بين تكون الدولة بين بين. وعليه على الإسلاميين إن أرادوا النجاح لمشروعهم أن يحرصوا على الاجتهاد العلمي والفكري وعلى الدعوة الإسلامية والعمل في مؤسسات المجتمع المدني أكثر من حرصهم على الحكم، على أن تكون أنشطتهم تلك ضمن أنماط تنظيمية جديدة تفصل وظيفياً بين الاختصاصات الحزبية والاختصاصات الدعوية. وأمَّا بخصوص قوله سبحانه وتعالى: ﴿...وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، فإنَّ هذا حكم مطلق يخص مَنْ يؤمن بهذه الآية ولا يُعقل ولا يجوز شرعاً إكراه الناس لكي لا يكونوا كافرين، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: 103)، ويقول سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ (البقرة: 256). وتطبيق هذه الآية هو أن توضع المرجعية الإسلامية في البرامج بما يفتح الناس ويحقق مصالحهم ولا يفتنهم، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تلاقي ثمار المهارة السياسية والجهد الدعوي الرشيد.

لا يعني التشبث بمرجعيتنا الإسلامية أنَّ نَمَطَ تغييرنا ثوري جاء ليهدم الموجود كلياً ويُقيم بدله مشروعاً إسلامياً متكاملًا، بل إنَّ المحافظة على الإيجابي من المشاريع الوضعية التي تتصادم مع ديننا هي في حد ذاتها من مقاصد شريعتنا، وقد بُنيت الحضارة الإسلامية الأولى

على هذا الأساس من خلال حركة الترجمة الواسعة منذ عهد العباسيين، ومن خلال استعمال العمال المَهْرَة من الديانات والحضارات الأخرى. كما أن تطبيق المنهج الاقتصادي الإسلامي يوضع كبديل ينافس الاقتصاد التقليدي حتى يغلبه بتحقيق مصالح الناس كما فعل رسول الله ﷺ حين دخل المدينة إذ لم يمنع تجار المسلمين وصناعاتهم من التعامل في السوق الذي يسيطر عليه اليهود المُرَابون ولكنه فتح لهم سوقاً جديدة جذبت الناس وعمرت وازدهرت. كما أن عدم التعامل بالمواد المحرّمة يخص المسلمين من المواطنين دون غيرهم ويتم ذلك بإجراءات قانونية متدرجة لا يمكن تطبيقها إلا من خلال التشريعات في المجالس التمثيلية أو عبر الاستفتاءات الشعبية الجزئية أو العامة كما هو معمول به في الدول الديمقراطية، وتهتم الإجراءات المنبثقة من التشريعات بالظواهر العامة ولا تلاحق الناس في ما يقترفونه بعيداً عن أعين الناس، وفي كل الأحوال يلاحظ في ذلك مدى قبول الناس لهذه الإجراءات، فقد كان الصحابة يشربون الخمر والقرآن ينزل ولم يؤمروا بالتوقف عن ذلك إلا بعد أن تمت قناعتهم وحسن دينهم من خلال العمل الدعوي المجتمعي الذي قام به رسول الله ﷺ وليس بالإجراءات السلطانية. ولا يقال: إنَّ الدين قط كَمُل ولا يصح الاستشهاد بهذا، فالدين قد نُقِص في المجتمعات الإسلامية بعد أن كَمُل، وقد انتهج عمر بن عبد العزيز هذا بالرغم من أن مجتمعه كان أكثر التزاماً بالإسلام من مجتمعاتنا

فلم يحمل الناس على الإسلام جملةً واحدةً خوفاً من أن يكفروا به جملةً واحدةً. وبخصوص الزكاة فإنّ هذه الشعيرة التي هي ركن من أركان الدين ليس لها بعد ديني فقط بل هي نظام اقتصادي واجتماعي لا يكمل بناء المجتمع الإسلامي إلا به. ولهذا الغرض قاتل عليها أبو بكر-رضي الله عنه- المُرتدين كإجراء سياسي سيادي لحفظ النظام العام، ولم يقاتل أبو بكر الناس على ترك الصلاة، وقد توصلت البشرية مؤخراً من خلال ما يسمى "ضريبة توبين"¹ لما يحاكي الزكاة. وأمّا ما يخص الحدود فإنها أحكام قرآنية قطعية ولكن تطبيقها ليس مقصوداً لذاته، وليست هي ما يصبغ الدولة ببعدها الإسلامي دون غيرها، ليست إجراءات أولية وليس المقصود الحرص على تطبيقها وليس المطلوب تماماً إقامة نظام بولييسي صارم للتحري والبحث عن المخالفين لتطبيق الحدود عليهم، فرسول الله ﷺ فعل أقصى ما يمكن تصوره لرد ماعز والغامدية لكي ينجو من العقاب، فلما اتضح أنّ إصرارهما يعبر عن قناعة دينية شخصية طبق عليهما الحد، ويمكننا من خلال قاعدة "ادروا الحدود بالشبهات" أن ندرأ جل الحدود إلى أن تتوفر الشروط الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي تقلص إلى أبعد الحدود الأسباب الشخصية للجوء إلى

¹ ضريبة توبين، اقترحت سنة 1972 من الاقتصادي صاحب جائزة نوبل جيمس توبين وهي فكرة تدعو إلى ضريبة صغيرة على التعاملات المالية للحد من سلبيات المضاربة المالية، وقد وجد هذا الإجراء مقاومة كبيرة من النظام الرأسمالي بالرغم من أنها إجراء ترقيعي لا يشكل خطورة على هذا النظام.

الجريمة حتى ما يبقى من يمكن أن يطبق عليهم الحدود إلا
المجاهرون الذين تتجاوز جرائمهم البعد الشخصي وتتحول إلى تهديد
للتسيج الاجتماعي وأمن وسلامة البلاد..] انتهى ما كتبه د. مقري
عبد الرزاق.

حوار مع الكتاب الثاني

الحوار مع الكتاب: ليس معارضة له، ولكن توضيح وتبادل أفكار
وفيه ثلاثة محاور:

- في الدولة المدنية.
- ضغوط العولمة والعلمانية.
- في استغلال التدين في السياسة عندنا وعند غيرنا.

أولاً: في الدولة المدنية

في كتابه ص 156 تساءل د. مقري عن الدولة المدنية، هل هي مفهوم
علماني أم مفهوم عالمي؟ أجاب مؤلف الكتاب على تساؤله بعد أن
سرد السياق التاريخي لظهور المفهوم، وذلك في ص 151-ص 156 من
كتابه حيث ورد:

[إنَّ التطورات التي حدثت في أوروبا هي التي أنشأت فكرة الدولة
المدنية، والتي من مضامينها عدم تدخل الدين في الشأن العام]
ص 156.

ونظرًا للأهمية البالغة لهذا الموضوع، لا بدّ من تفكيك المفهوم في أصله، وما ساد في ساحة المستعلمين له دون أن يكون من المفهوم ذاته.

لقد سبق أن كتبتُ فصلاً عن الدولة المدنية في كتاب لي¹، لكن لا بدّ في هذا المقام من الإيجاز والتركيز.

توظيف الدولة المدنية في إدارة الشأن العام له وجود موضوعي منذ نشأت دول المدن في الشرق العربي القديم- حضارات ما بين النهرين وكنعان والفينيقيين- تلك المدن حوّت التنوع الفكري، والعقدي، وكذا تلاقي المصالح، ولكن أيضاً تنافسها وتعارضها، ذلك أوجب على أهل المدينة حينها التوافق على ما يلي:

هيكل إداري: يكلفه قاطنو المدينة تنفيذ ما يرتضونه لإدارة شؤونهم المشتركة.

الاتفاق على وثيقة فكرية-دستور، قانون، نص تعاقدي- يُحيلونه إلى الهيكل الإداري السالف ذكره كي ينفذها في إدارة شأنهم المشترك. إدًا، المهمة كي يُدار المجتمع بين أهله وبالتوافق هي ذات شقين:

هيكل إداري يكلف بالتنفيذ.

وثيقة فكرية تعاقدية بين أهل الشأن يُكلف بتنفيذها الهيكل الإداري.

¹ د. محمود زايد المصري: كتاب "من دنيا العرب.. تأملات في الماضي والحاضر" منشورات - دار الخلدونية- الجزائر العاصمة 1439هـ/2018م- الفصل الثاني والأربعون- ص 321.

لقد تطوّر شقا المهمة منذ ذلك التاريخ القديم إلى يومنا هذا تطوّرًا عظيمًا، وذلك ضبطًا، وتنقيحًا وإحكامًا. إلا أنّ طبيعة ذلك التطوّر لكل منهما كانت مختلفة! في الأولى: -الهيكل الإداري- كيف يُنفذ ما يكلف به بكفاءة عالية وسلاسة، وعدل، ورقابة متبادلة بين أجزائه، وكذا شفافية ووضوح أمام أصحاب المصلحة وهم الشعب. ذلك التطور كان سيده علوم السياسة والإدارة - علمًا موضوعيًا محايدًا- يتم تدريسه في جامعات العالم ولكل عقيدة أو دين. ومثله كمثل ما ينبغي وجوده من هياكل إدارية ومكاتب مراقبة، وأجهزة متابعة في شركة كبيرة. لا يوجد علم إداري لكل عقيدة أو ديانة على حدة، علمٌ أركانه؛ الملاحظة، والتجربة، والطبيعة البشرية العامة، والمشارك الإنساني المفظور. وإن أشير هنا أو هناك للعقائد الخاصة بإشارات هامشية وفي الحواشي. علمٌ عابر للعقائد أيًا كانت.

وأما الثانية: فهي الوثيقة التعاقدية، والتي فيها أفكار أهل التعاقد ونظرهم لمصالحهم بالذات وفي الزمان والمكان وما توافقوا عليه. هذا الشق يمثله في العصر الراهن الدستور والقانون أي أنّه تابع لعقل الشعب صاحب المصلحة دون سواه.

والشاهد: أنّ الشق الأول: علمٌ عابر للعقائد والجغرافيا، هو الدولة المدنية، حيث عبرت التاريخ كفكرة، وعلم يتطور منذ ستين قرناً في أنحاء الأرض، ولكن لم تغادر السؤال الأساس ألا وهو: ما هو الهيكل

الإداري الأكفأ والأفعل في إنفاذ الوثيقة التي يقرها الشعب؟ أيًا ما كان ذلك الشعب، وأيًا ما كانت تلك الوثيقة.

وأما الشق الثاني: فهو الذي يُظهر التنوع بين الشعوب في النظر والاختلاف في الرؤى، والعقائد، والخبرات، والثقافة والأمزجة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هُود: 118).

وقد يسأل البعض: لماذا إذاً تظهر العلمانية ملاصقة للدولة المدنية؟ والجواب: إنَّ التطور الحديث الحاسم لهياكل الدولة المدنية قام به فلاسفة الغرب ومُفكِّروه، كان ذلك للخلاص مما نُكبوا به جرّاء الحروب الدينية التي دمّرت أوروبا لقرون. فكان ما وصلوا إليه - لفض النزاع الخاص ببلادهم- نموذج إداري وقانوني معًا. تم مزج العلم الإداري المحايد بما ارتؤوه في القانون والدستور وذلك لكبح التعصب الديني عندهم، أي: أعطوا الوصفة كاملة بشقيها: الهيكل الإداري وكذا وثيقة التعاقد والتي تفصح عن الثقافة والهوية.

ذلك المزج ليس ملزمًا لأحد. إذ لا يماري عالم عاقل فيما بين الأمم من تنوع وفروق في الثقافة والنظر للحياة.

انتشر النموذج الغربي في معظم دول العالم، فبدا للناظر وكأنَّ ذلك هو الدولة المدنية، والأمر ليس كذلك! بل ذلك هو الدولة المدنية مضافًا إليها الوثيقة التعاقدية التي ارتضتها لنفسها الشعوب الأوروبية.

شعوب الشرق العربي هي الأسبق في توظيف الدولة المدنية كجهاز إداري لحفظ المصالح المشتركة ومنذ مهد الحضارة، وإن كان ذلك جنينياً نسبة لما توصل إليه علم اليوم، إلا أنّ البدايات كانت كذلك، وظّف ذلك النموذج مَنْ كان يعبد الكواكب أو يعبد الأصنام أو وثني، وكذا من كان يعبد الله الواحد القهّار، ومنذ إبراهيم -عليه السلام- (1800 ق.م).

كانت وثيقة التعاقد تتبدل وفق ثقافة الجمع البشري المعني، وأمّا هيكل الإدارة فيستعمله ويطوره المختلفون في العقائد دون حرج. كما أنّ للمسلمين السبق في هذا المضمار، دولة المدينة المنورة ودستورها الصحيحة نموذج عبقرى متقدم كَفَلَ التعايش والتحالف والتكافل بين المسلمين وأهل الكتاب والوثنيين والمنافقين. والشاهد: أنّ وثيقة التعاقد الشعبي ليست من صلب الدولة المدنية بل تُكأفُ بها تلك الدولة لتنفيذها بعد التوافق عليها من أهل المصلحة. نحن شعب متديّن، لنا أن نضع في وثيقة التعاقد التي نرتضيها ما يحفظ ديننا، وأخلاقنا، وهويتنا وثقافتنا ولا حرج في ذلك. بل ذلك إثراءً في ثقافة العالم المعاصر الحائر المتردد المُبْتَلَى بما لم يحتسب، وذلك جرّاء تغول المال، وتآكل الأخلاق، وتفكك الأسرة، وفقدان التراحم وانتهاك المحيط البيئي.

ثانيًا: ضغوط العلمانية والعولمة

أبدى المؤلف في عرضه للدولة المدنية مخاوف محقة كَتَعَوُّل المال، وانفلات اللذات وغير ذلك. لا أرى أن تلك المخاوف مصدرها ما نعينه بالدولة المدنية في ذاتها، حيث هي هيكل إداري علمي محايد، كما أسلفت، بل مصدرها الضغوط العلمانية وتيار العولمة.

الغالبية من دول العالم في الوقت الراهن تأخذ بالعلمانية في الحكم، وسواء المعتدل منها أو المتطرف، وحيث إن الكوكب تقاربت أطرافه بالاتصال الحديث، أضف إلى ذلك التزامات الدول مع الهيئات الإقليمية والدولية، تلك الالتزامات التي كَوَّنت القانون الدولي، ذلك يحث الدول على أن تعمل بما قد لا يتوافق مع ثقافتها ورؤى أبنائها.

ليس ذلك ملزمًا قسرًا، إلا أنه ضاغط. إنه التحدي في حوار الحضارات الذي علينا أن نمارسه بفكر عصري بِنَاء متقدم. فكر يبين للناس جدوى الخصوصية الثقافية التي نتمسك بها، وكذا إقامة نموذج راقٍ يراه الناس في واقعنا تساهم في صنعه تلك الخصوصية.

نحن -للأسف- وحتى الآن لم نصل لقاسم مشترك في خصوصيتنا بيننا وفي داخلنا.

معالم خصوصيتنا حددها الدين الإسلامي، إلا أن التمثيل الحَرَكي السياسي للدين في زماننا لا يسرُّ! ما يراه العالم، وما يعانیه جرّاء

ذلك، يتراوح بين المرعب والمرفوض إلا ما ندر. الغلو وضعف
الحكمة، وتقديم القشور، وغياب النظر الشامل هو السائد في واقعنا.
إلا أنه لا طريق إلا العلم والعمل الدؤوب الجاد للوصول إلى ما ينفعنا،
وينفع الإنسانية بنا.

نأخذ من العلمانية والعولمة ما كان نافعاً لنا، ولا يصادم قطعي ديننا.
ولعلي في هذا المقام استُعيِرَ من العَلَّامة المرحوم الدكتور عبد
الوهاب المسيري مصطلح "العلمانية الجزئية" بغض النظر عن
تفاصيل ما عناه بذلك.

وقد بيَّنتُ في هذا الكتاب موقفي من العلمانية، وما أراه وذلك في
الفصل الأول وعنوانه "الرَّحمة للعالمين".

ثالثاً: في استغلال التدين عندنا وعند غيرنا

الشائع عند الحرَكِيِّين ولتمرير الشعار الأثير أن "الإسلام دين
ودولة"¹ يقولون: "إننا لسنا كحال النصرانية وقد قال المسيح -عليه
السلام-: [دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله] ثم يتعرَّض القائل إلى ما
عانتَه أوروبا من تحكَم كنيسة العصور الوسطى في السياسة

¹ لا أرى الشعار صائباً! الإسلام "دين" وكفى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الإِسْلَامُ...﴾ (آل عمران: 19)، دينٌ نزل من السَّماء لإصلاح الدنيا طريقاً للجنَّة.
كما تجدر الإشارة أن المفكر علي عزت بيجوفتش في كتابه "الإسلام بين الشرق
والغرب" - دار الشروق - القاهرة 2010، تقديم د. عبد الوهاب المسيري، وترجمة
الأستاذ محمد يوسف عدس - يعترض على شعار الإسلام "دين ودولة"، حيث وقع
- في نظره- في التعريفات العلمانية الغربية التي تعطي مركزية هائلة للدولة بل
الإسلام دين ودنيا، روح ومادة، مصلحة وخلق مادة ومعنى أفكار وواقع ص²⁶.

والمجتمع، والقصة معروفة وصحيحة. أورد المؤلف د. مقري مقتطفات من ذلك في كتابه ص 151-ص 156. لي في هذا المقام -وقد فتح- بيان أحسبه للفهم نافعاً:

كلما ذُكر الدين والسياسة، صنّف الحركيون المتديّتون العالم في التاريخ إلى حالين:

حال النصارى في العصور الوسطى أولاً، ثم حال المسلمين ثانياً ومن ذلك:

العصور الوسطى في أوروبا والعلاقة المريضة بين مؤسسة الكنيسة والعلم. وكذا تحالف الكنيسة مع الحُكّام والنبلاء، وما أفضى إليه ذلك من ظلم لعامة الناس وإعاقة للتطور.

أفضى ما تقدّم إلى انتفاض على رجال الدين والإقطاع، والسلطة المطلقة للملوك. أنتج ذلك "العلمانية" وكذا إصلاح ديني أدى إلى انشطار الكنيسة إلى بروتستانت وكاثوليك.

العلمانية ظهرت بدرجات: فمنها ما اعتبر الدين شأنًا يخص الأفراد والتجمعات الأهلية ولا علاقة له بتسيير الدولة إذ يتكفل بذلك العلم العقلي وحده.

ومنها -في الأقصى- ما كان مُفَعِّمًا بالعداء للدين، ويرى فيه ظاهرة سلبية لا بدّ من محوها من الثقافة: الماركسية مثلاً!-.

يقول أغلب الحركيين المُتديّنين: إنّ ذلك التاريخ المأساوي بين الكنيسة والعلم، وكذا تحالف الكنيسة المُشين مع المستبدين، والمُستغلين لم يعهده الإسلام كدّين في تاريخه.

ما تقدّم في حق الكنيسة صحيح، يُقرّ به أهلها.

إلا أنّ ما ينقصنا هو النظر الصريح العقلاني لتاريخنا نحن. لا بدّ لنا - إنصافاً لأمتنا: حاضرها ومستقبلها- أن ندرس تاريخنا وبكل جد وتجرّد ونستخلص منه العِبْر.

وَأَسْأَلُ:

هل تمّ استغلال الشعور الديني في تصويغ تجاوزات المستبدين وتثبيت سلطانهم أم لا؟

هل ساد العدل - وحتى النسبي منه - في مجتمعاتنا وفق ما يأمر به ديننا؟

ألم يستغل المتطلعون للسلطة المشاعر الدينية في طموحاتهم، وأدخلوا المجتمعات في سلسلة لا تنتهي من النزاع، والدماء وعدم الاستقرار. كما ردّ عليهم أهل السلطة الصاع صاعين، والناس ضحايا بين هذا وذاك؟

لدى كل ناظر في التاريخ على ما تقدم ألف شاهد! يكفي أن نُذكّر - على سبيل المثال لا الحصر- بمأساة الأندلس في قرونها الثلاثة الأخيرة، وكذا ما عاناه المسلمون من انقسامات ونزاع في العصر

العباسي الثاني، وكذلك رحلة الانحطاط والخروج من التاريخ في قرني السلطنة العثمانية الأخيرين.

كما أشير أنّ ما ذكرته في الفقرة السابقة حدث في أزمان دول المسلمين التي يعتز بها دعاة الإسلام، حيث يقولون: "مكثت أربعة عشر قرناً متواصلة" أي منذ الرسالة وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م. سمعت ذلك بأذني ورأيتُه بعيني من داعية مسلم يرأس فرقة حركية!

فما سر ذلك يا ترى؟ وهل ذلك الفشل التراكمي عبر قرون كان في صلاح منا ولكن ابتلاءً من الله؟

أم أننا لم نُحسِّن إدارة أحوالنا ومجتمعاتنا، ولم نُوفِّق في استثمار رسالة الإسلام الرَّحمة لنا ولغيرنا في تسيير شؤوننا؟ كيف نَعْدُلُ المسائل ونضبط خُطانا القادمة، أن لا نكرّر الفشل ولا ندخل جحر الضب، الذي سار فيه أسلافنا قرون الانحطاط، بعد أن صنعوه بأيديهم؟

نعم.. قولٌ جارحٌ ومُستفز أيضاً! نعم.. أسلافنا في قرون الانحطاط صنعوا جُحْر الضب بأيديهم واتخذوه بيتاً وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا. والأدهى والأمرُّ من ذلك: أنَّ مِنَّا اليوم مَنْ يُعتبر تلك الأحقاب البائسة، ويطلب محاكاتها لحاضرنا ومستقبلنا مع رتوش ومزيّنات هنا وهناك.

كتب د. أحمد شلبي في موسوعة التاريخ الإسلامي¹ أن نسبة الأمية في ديار السلطنة العثمانية عام 1900م بلغت 99% !! ذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني القوي! قليلٌ من الحركيين يأبه لذلك. يكفي عندهم شساعة الأقطار التي كان يُديرها السلطان، وتلك حجة على الدولة وليس حجة لها.

أين الإنسان المسلم من هذا؟ أين دين "إقرأ"؟ لسنا في وارد تقريع أحد أياً كان. ندعو للجميع بالرحمة. ولكن العبرة ودروس التاريخ. والموجز ممّا تقدّم: أنّ الآخر النصراني له قصته الخاصة مع استغلال المقدس من قبل المتحكّمين والطامحين، وتلك أفضت إلى ما أفضت إليه. خرجوا وانتفضوا على ذلك وأنجزوا تقدماً علمياً حضارياً فيه كثيرٌ من النقائص والمآخذ.

ولكن نحن أيضاً لنا قصتنا الخاصة مع ذلك الاستغلال للمقدس الديني. أخرجنا ذلك الحال من رواد في الحضارة وفي فهم الكون والحياة إلى أفتان أو قريب من ذلك.

باعثي على ما كتبت أنفاً هو شدة التكرار في أدبياتنا لسيرة دين العصور الوسطى في الغرب. وأمّا نحن فمبرؤون من ذلك، وكأنّ التدين عندنا لم يستغله المستغلون ولم يستعملوه سرّجاً وسواء لتحكمهم أو انتفاضاتهم على الحكم.

¹ الدكتور أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي - الجزء الخامس - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1990م، ص 876.

والمؤسف وهنا بيت القصيد، إننا نحيا في زماننا الراهن تلك المفارقة المأساة، ألا وهي الاستغلال السلبي للتدين، وعلى حساب العقل والتعقل والتفكير في إصلاح توافقي، وتعاطي علمي سنني مع وجودنا كما أمر الله سبحانه.

وَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمَشْهَدِ الَّذِي نَعِيشُهُ:

مَنْ هُمْ أَبْطَالُ الْفِتَنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالدَّمْوِيَّةِ الْأَسَاسِ فِي سَاحَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ مَثَلًا؟ وَالْجَوَابُ: بَعْضُ الطَّوَاغِيَّتِ، ثُمَّ قِطَاعٌ وَاسِعٌ مِنْ جَمَاعَاتِ التَّدِينِ السِّيَاسِيِّ. بَعْضُهُمْ بِالْفِكْرِ التَّرَاثِيِّ الَّذِي يَشْوَشُ وَيَشْغَبُ عَلَى أَيِّ مَحَاوَلَةٍ بِخَطَابِ عِلْمِي عَصْرِي فِي تَنَاوُلِ مَشَاكِلِنَا وَمَعْوَقَاتِنَا - وَبَعْضُهُمْ بِفِكْرِ الْغُلُوِّ وَالتَّكْفِيرِ الْمُفْضِي عِنْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ - إِلَى الدَّمَاءِ وَالْإِقْتِتَالِ الدَّاخِلِيِّ.

والبعض الآخر حمل السلاح فعلاً ويقاوم الجميع في الداخل والخارج. عين المشهد الذي عاشته الأمة في القرن العشرين والتاسع عشر والثامن عشر وهكذا رجوعاً! بل ذات المشهد الذي عاشته الأندلس إبان غروبها! ما تغير هو الشكل فقط، تغير فرضة الزمان والمحيط. طبعات تلتها طبعات لذات السفر القميء إياه. غلوا أفضى إلى بُعد عن الحكمة والمصلحة الراجحة وفلسفة التوافق والبنيان المرصوص، وذلك أفضى بدوره إلى النزاع وفقدان الاستقرار، وخراب العمران وذهاب الريح. والله المشتكى.

خاتمة الفصل

ما تقدّم استعراض لكتابين كلاهما لمؤلفين ينتميان إلى تيار التديّن الحركي (الإخوان).

أولهما: كتاب الأستاذ/ محمد أحمد الراشد بعنوان "الردّة عن الحرية" لا أرى أنّ الكتاب له علاقة بالحرية أو الحوار السياسي. جلّه تمجيد للذات الحزبية، وتقريع، وشتم لمن ليس من الحزب أو ليس من أنصاره.

الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:10).

وأما لسان حال الكتاب فيقول: "إنما الحزبيون إخوة وكفى"، كيف لا وقد أشار المؤلف -بإعجاب وتمجيد- إلى ما خطة المرحوم سيد قطب في كتابه "معالم في الطريق" من أنّ "المفاصلة" شرط في إدارة المعركة السياسية ببعْد عقائدي، ص¹²⁰ من كتاب الراشد. ما في الكتاب محضن مثالي للغلو. غلو حريّ أن يُترجم إلى بنادق، ودماء إن سنحت الفرص!

أكتب هذه الفقرة، وقد استولت طالبان على كابول منذ أيام، ومن عجائب الغلو الذي نعيشه أنّ تنظيم داعش أصدر بياناً يقول فيه: "إنّ أمريكا سلمت أفغانستان إلى طالبان، وأنّ داعش سوف تحارب طالبان التي ارتدت عن الإسلام!" وسبحان الله! كم من الغرائب في حياة المسلمين!

وأما كتاب د. مقري بعنوان "فكرنا السياسي" فمعدنه الوسطية، والاعتدال، والحوار مع حذب وحرص على الثوابت، وشتان بين الكتابين.

يا حبذا لو كان فكر د. مقري هو السائد حقاً في جماعة الإخوان..
ثُرِّبَ عليه منتسبيها، وتشره في العالمين وبصدق قولاً وعملاً.
ثم ماذا بعد؟!

بَدَدْنَا قرنًا كاملاً، ومنذ سقوط السلطنة العثمانية، ونحن نتبادل قذائف
الهواء ونتشاجر، أيُّنا أبلغ في الكلام وأشدُّ تطهراً في الهدام، وأكثر
مزايدة على غيره.

حتى جاء سيد قطب وقد ملَّ المشهد وضاق صدره به فقال: "اسمعوا
جميعاً.. كلكم في جاهلية! ليس لها إلا أنا.. أن نبدأ من الصفر كما
بدأت في السنة الأولى من البعثة، وأنا لذلك ضمين! كلام غُثَاء ظالم
هَدَام، أَجَجَ النزاع وفاقم الفشل. والمصيبة أن ذلك الكلام الخطير
الفارغ وجد من عقول آخر الزمان من جعله دليل حركته وقربه من
التقديس.

أقول: فليُنظر مَنْ يهمله الأمر لما نحن فيه! لم يعد لدينا من الوقت ما
يُبدد! مهمتنا الراهنة أصبحت حماية الوجود.. محض الوجود، فهل
من مدكر!

خاتماً أنصح إخواننا الحركيين وأولهم حركة الإخوان، وهي الأكبر
وتحوي الآلاف المؤلفة من الأخيار أصحاب القلوب الطيبة الحادية

على المسلمين أن ينظروا في أمرهم، ويبرؤوا فكرهم، وبرامجهم، وإعلامهم من كل غالٍ أو مُنشئٍ للغلو، ورأس هؤلاء المرحوم سيد قطب وفكره الحركي والسياسي. هؤلاء، ومهما بدا من سحر بيانهم، ضررهم مستطير على المسلمين أينما حلُّوا في أرض الله الواسعة. والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الفصل الرابع

منهاج الدعوة للإسلام

منهاج الدعوة الإسلامية بيّنتها آيات مُحكّمة في القرآن، ومنها: آية فصل في جلاء معناها وبيان أركانها وهي: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125).

ونفهم حدود الآية الكريمة من آيات الحرية التي أمر بها القرآن، فمثلاً: ﴿...قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (البقرة: 256)، ﴿...فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف: 29) وغيرها. وكذا الآيات الكثيرة التي تبيّن مهمّة الرسول ﷺ الأساس ومنها: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾ (البقرة: 272)، ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 23)، ﴿...وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: 54)، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥٤﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: 21، 22)، ﴿... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: 8)، وأمثال ذلك كثير.

آيات محكمات تبين أن قبول الدعوة عمل قلبي، ينبغي أن يكون نتاج إرادة حرّة، لم يشبها إكراه أيّا كان. بل ما خلا ذلك يُعد نفاقاً لا يُعتدّ به ولا يُقبل من صاحبه.

ذلك يوخط به من ترك وسوسة السياسة، وأخلص قلبه لله، واستحضر معنى كرامة النفس الإنسانية، التي خلقها الله سبحانه في أصلها الأول، مُكرّمة حرّة قبل الأديان، وقبل الرسل قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الانسان:3).

الكفر والضلال قبيح، ولكن ما هو أقيح منه -فضلاً عن مخالفته للفطرة التي فطر الله آدم عليه السلام وذريته عليها- هو النفاق والكذب.

العنف والدّماء والقتال هو الطريق الواسع لزرع النفاق والمنافقين، وكذا فيه مسخ لقضية الإيمان إلى شكل لا روح فيه، محض لسان يكذب، وقلب ساخط داع بالثبور على من أرغمه على ذلك.

ما هو مصوغ ما تقدّم؟ الداعي لتلك المقدمة هو ما ذهبت له بعض فرق التديّن في السياسة. غلوها ذو شُعب، تزعم أنّ مشروعها بناء عزّ للمسلمين، وذلك ببناء الدولة ونشر الدعوة -وتزعم أنّ ما تختطه في الفكر وهو قليل، الطريق الأمثل إن لم يكن الوحيد المُوصِل إلى المُبتغى-.

كما يزعم هؤلاء قولاً أو ضمناً أنّ من لم يكن منهم قلباً وقالباً فهو غافل أو خصم ينبغي عزله. وخاصة من يُسدي النُصح ويأمر هؤلاء

بالمعروف. هم - كما يزعمون-: نقدهم عداءً للإسلام. مَنْ يبيّن لهم -
في زعمهم- معادٍ للإسلام شعر بذلك أم لم يشعر.

الشاهد: أنّ هؤلاء -في المجل- هم خط العنف والقتال، وتجييش
الإسلام، وطي صفحة الرّحمة فيه إن استطاعوا، وسواء شعروا بذلك
أم لم يشعروا! ولن يستطيعوا.

والسبب الرئيس: أنّهم ليسوا -في العموم- على منهج الإسلام في
دعوته وأصل رحمته ودوره في الحياة. فمن ذلك تراهم:

هَيّام في عشق السلطة والدولة.. يتوقون حتى الشغف والولع
بالوصول لها منفردين. تلك طامة لو كانوا يعلمون! تلك تعني عين
الغلو ومغادرة منهج الإسلام! وجود سلطة في المجتمع من الواجبات
لأسباب عملية كثيرة مُسَطَّرَة في كتب السياسة والإدارة. لكن التصور
أنّ إقامة سلطة الدولة ومن ثمّ احتكارها لوسائل الإكراه:

أنّ ذلك هو الطريق الأمثل للدعوة، ذلك هو عين الضد مع آية الحكمة
والموعظة الحسنة.

التصور أنّ الدّين يعلو بعنف السلطان، وقهر الحريات -والتي في
معظمها من متعلقات المصالح المرسلّة- وفيها أقوال وأفكار لا تمس
محكم النصوص، ذلك إحلال لأقوال الرجال مكان الهدى الربّاني.

كما أنّ هؤلاء جعلوا من وسائل العنف وقتل الأبرياء والاعتداء على
الأموال والحرّمات سلوكًا يوميًّا لهم أينما حلُّو.. والأعدار لا تنقطع،

والخداع للعامة ميسور، وخاصة وقت الجهل وغياب العلم أو سطحية الثقافة الشرعية عند الكثيرين.

محاضن التوتير والتسخين هي التي تُفَرِّخ حَمَلَةَ البنادق والقنابل والمُتفجرات، تلك هي الأساس.

تلك ترى: أن فشلنا في القرون الأخيرة من التاريخ كان سببه الآخر. والعبارة تحتاج إلى تمحيص! نعم: الآخر غزانا في عُقر دورنا وكان من أمرنا ما كان لكن: ما الذي سبق تلك الحقبة؟ لِمَ آل أمرنا إلى ضعف يرثه ضعف أشد؟ ما الذي أطمَع الآخر فينا وجعلنا غنيمة سهلة لعدوانه؟ إنَّها تلك السياسة الفاشلة التي اتسمت بالعنف والتسلط في الداخل والعنف ومغادرة المعايير الإسلامية الأخلاقية في الخارج. عنف الداخل والتسلط فيه أهان الكرامات وتالياً وأدُّ العلم والإبداع، ومع الخارج استنزف الطاقات: الأموال والأرواح فيما يجدي وما لا يجدي. كما جعل "الإسلام" في نظر الناس قوة غزو وجمع للغنائم متربصة للفرص في ذلك، ودون ضابط أخلاقي واضح.

ذلك الصنيع.. ذلك الفهم.. ذلك التيه المنهجي والأخلاقي.. ذلك الانتقاء لبعض النصوص وقطعها عن سياقها في القرآن والسنة.. ذلك المنحى في تقديم المرجوح على الراجح.. وكأنَّ المسلم فُرض عليه أن يكون عنيفاً فظاً غليظاً متسلطاً عندما يكون قادراً على ذلك وفي الداخل والخارج.

كثيرٌ من دُولنا حاربت ليس لشرعية الحرب حينها بل لأنَّها رأت في جيشها القوة التي تُنفذ بها ما تشاء! الاحتجاج في هذا بدين الآخر ضار أبلغ الضرر! نحن مُبتَلون بما أمرنا الله به وليس لأحد - حقًّا أو وهمًا- أن يُبَدِّل ما كُلِّفنا به من أخلاق وسياسة. إن جِدنا عن ذلك أسأنا بل وارتكبنا موبقتين كبيرتين:

بنينا التدمير لمجتمعاتنا لبنة لبنة، وكذا أسأنا إلى دعوة الإسلام، أن حجبنا رحمتها عن أعين مَنْ لا يعلم وسواء في الداخل أو الخارج. نحن بصنيعنا -في ملف العنف والقتال- عبر التاريخ هَدَمْنَا مجتمعاتنا وأوصلناها إلى الدرك الذي وصلت إليه، كما حجبنا دور الدعوة الإسلامية أن تصل إلى أقوام وآفاق جديدة.

الشاهد: الصدق والإخلاص لأمة المسلمين لا يدع أمامي خيارًا إلا أن أقول قولاً مستفزاً للكثيرين ولكن واجبي الديني وقبل كل شيء أن أبيِّن:

بعض الحركات السياسية والدعوية عبء ثقيل عقدي وفكري وعملي على كاهل الأمة في واقعها الراهن، نعم: إلى هذا الحد. تلك تتبع الوهم لمن لا يعلم وتُعيق عمل مَنْ يعلم.. تنشر العنف والعسف في الداخل، وتكرِّه الخلق في الدين في الخارج. والأدهى أنَّها تتسلل إلى الناس من موقع عزيز على قلوبهم ألا وهو دينهم.

وإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

الهوية الإسلامية

سؤال هام مفصلي لا بدّ من طرحه ثمّ الإجابة عليه بعمق وتفصيل،
ألا وهو:

هل الهوية الإسلامية بديل عن الهوايا الجزئية الأخرى على تنوعها
بين الأمم والشعوب، أم أنّها مرافقة لتلك الهوايا الثانوية الجزئية،
تهذبها وتهيمن عليها بكريم الأخلاق واجتناب المحرّمات إلا أنّها لا
تلغيها؟

من المُسلّمات في هذا الزمان وفي كل زمان سيادة التنوع الثقافي
والعادي بين شعوب الأرض. فالبينات منوعة مناخًا وعلوًا وانخفاضًا
وفي وسائل الرزق فالبحري غير رعاة البر، ومزارعي السهول ليس
مثل سكان الجبال، كما أنّ اللغات متنوعة غاية التنوع، ولذا تنوعت
الأعراف والمفاهيم الجزئية والفرعية بين الشعوب والأمم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ (الحجرات: 13).

رغم ذلك التنوع الكبير الأنف ذكره والذي أيّده ونزل به الذكر
الحكيم، إلا أنّ دعوة الإسلام واحدة ولكل الأمم والشعوب، حرامها
حرامٌ على الجميع وحلالها حلال للجميع.

فكيف يكون هذا؟

السُرُّ فيه: أنّ دعوة الإسلام هوية مرافقة وليست لاغية لأي من
الذاتيات الفرعية للشعوب، دعوة الإسلام مهذبة متعالية على الهوايا

الفرعية تقرها جميعًا، ولكن مع تهذيب وإصلاح لكل منها وفق الفطرة المشتركة التي فطر الله الناس عليها قبل ذلك التشعب في الثقافات والأعراف والعادات.

دعوة الإسلام تطلب من الناس جميعًا العدل فيما بينهم أيًا كانت ثقافتهم، ومن ذلك الأصل يتفرّع دَوْحٌ عظيم في حفظ الدماء والأعراض والأموال والكرامات والحريات، كما تخرج دعوة الإسلام الإنسان من التيه في فهم أصل الحياة ومغزاها ومآلها، وكذا عدل الله في مخلوقاتها، وأنَّ الإنسان مخلوق مكرّم مسؤول عن كل شاردة وواردة في حياته أمام خالق واحد أحد عظيم، يجزيه بأعماله جميعًا ويقيم العدل تامًا بين المخلوقات في نهاية المطاف.

تلك الكليات والفطريات لا تصادم الثقافات الجزئية أو العادات والأعراف المحلية أيًا كانت إلا في تهذيبها ونزع العدوان والظلم منها ليس إلا. وأمّا ما أمّلته البيئة واللغة والثقافة والتاريخ والأعراف والعادات من سلوكيات وأنماط عيش منوعة خالية من الظلم فتلك وما تكون، للناس أن يبدلوها أو يتركوها وفق أحوالهم. دعوة الإسلام دعوة أخلاقية في جوهرها تخاطب فطرة الإنسان الأول المغروسة في نسل آدم جميعًا، النفخة المقدسة التي منَّ الله بها على الطين عند الخلق الأول. وتلك هي الرابط المتين الأزلي بين كل البشر، ومهما تنوعت ثقافتهم وبيئاتهم وأنماط عيشهم ولغاتهم.

مصدقًا لما تقدم: أن داعية الإسلام لا يجد صعوبة تُذكر، في أن يُبشّر
بما يأمر به الإسلام ويعد به بين سكان الأوكيمو، وسكان نيويورك
في آن واحد، وكذا بين قرويين في أدغال إفريقيا وقاطني أفخم الأحياء
في باريس. فالإسلام ليس هوية بديلة، بل دعوة أخلاقية ومفهوم
متكامل للغيب وللأسئلة الكبرى في الأصل والمآل. تلك ملة مرافقة
ومهذبة لما عليه أي فرد أيًا كان موقعه على كرة الأرض.

وأما ما يبدو من خلاف يثيره بعض الملتزمين من تيارات التدين
فذلك في جوهره وجهة نظر في السياسة، أي ما يظنوه الأفضل في
إدارة المجتمع والوصول به إلى خلق أعلى، تلك مهمات قيل من أهلها
فهي رأي وليست دين. اجتهاد سياسي وفي ذلك أقوال يعز إحصائها!
وأقصى ما يقال فيها: إنها دعوة لكريم الأخلاق، وليس لها إلا الجدل
بالحسنى والدخول لقلوب أغلب الناس كي يتحرك المجتمع إلى
أهدافها ومراميتها. والحمد لله رب العالمين.

الفصل الخامس

عن الوهابية

نحن في زمن مختلف، وسائل الاتصال الحديثة كشفت الكثير ممّا كان خافيًا على الناس. لم يعد للإخفاء مكان محرز إلا ما ندر، والباقي قادم.

الإمام محمد بن عبد الوهاب (1115هـ - 1206هـ) (1703م - 1791م) مصلح ظهر في جزيرة العرب (نجد) وذلك في القرن الثاني عشر الهجري. إمام سني على مذهب الإمام أحمد، تأثر بن عبد الوهاب بمدرسة الإمام المجدد بن تيمية -رحمه الله-، والذي تصدى بقلمه وفكره العميق النافذ لأمّهات البدع التي سادت في عصره وبالذات بدع التشيع والصوفية. كان ذلك في زمن سيطرت فيه الطرقية على ساحة التدين. محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- هو تلميذ لابن تيمية بالقراءة. وجد البدع والضلالات حوله لا تحصى، وصل الأمر إلى الشرك الصريح بالمقبورين وحتى بالأشجار والأماكن. جعل قضية الفهم للتوحيد الخالص رسالته في حياته، تلك كانت القضية الأولى في بيئته وفي زمانه وهي أجل القضايا في الدين والدنيا.

المصلح الحق مَنْ يعمل على إصلاح ما حوله وفي زمانه، ذلك ما قام به الرجل. نشأ في وسط سني المذهب.

وقد عاداه في دعوته مُقدِّسو القبور، وسواء الشيعة أو أهل التصوُّف البدعي من السُنَّة.

أن تبقى آثارٌ وأحوالٌ لذلك الدَّاء -تقديس القبور- وفي زماننا وسواءً سنِّيًّا أو شيعيًّا ليس حجةً لمحتج، وحتى لو كان ذلك في الجامعات المتخصصة ومن علماء ومشايخ كبار. وهل حالنا العلمي والعملية الراهن سويٌّ؟! وحتى نحتج به ونلحقه بصحيح العقيدة؟!!

الله سبحانه أولى أن يُستغاث به وهو المغيث، ويُستجار بقوته وجلاله سبحانه وهو المجير.

ألا يرى العقلاء فضلاً عن العلماء المشهد وما فيه من تضليل وافتئات على التوحيد؟! الآلاف من القبور في طول العالم الإسلامي وعرضه، يُبترز بها العوام في أموالهم وأوقاتهم وصحيح توجههم إلى الله.

رسالة الوهابية في هذا - وهي تنقية العقيدة من تقديس القبور - من ضرورات ما سبق من زمان، وأيضاً من ضرورات زماننا الراهن، وإلى أن تنقش هذه البدعة الفادحة.

والعدل أن ينظر لرسالة الوهابية في إطارها العام وفي جوهرها: زماناً ومكاناً وحالاً وموضوعاً، ومن ذلك:

أنها قامت لتنقية التوحيد من شرك القبور.

أنها عالجت داءً استنقل في بيئتها وفي العالم الإسلامي.
وأما مد الأمر إلى قضايا الولاء والبراء وإلى أقوال لاحقة لاتباع
المدرسة، فتلك فكرٌ من الفكر وليست من جوهر القضية التي شغلت
بن عبد الوهاب.

الإصغاء للشريعة ومبتدعي الصوفية في ذبهم عن قضية القبور يكرّس
حالنا البائس تدينًا ودينًا! كما يضع بيننا وبين العلم والأسباب حجاب.
محمد بن عبد الوهاب مصلح من المصلحين: أصاب وأخطأ. فلم لا
نعلي ما أصاب فيه، وننشره بخطاب عصري بين الناس، حيث يخص
أعمق ما في الإسلام، وأعظم ما في رسالته: ألا وهو التوحيد ونقاؤه.
لماذا الجفاء والتحفز للردّ والنفي هو السائد مع المصلحين؟! أليس
لذلك دلالة؟! ألا يشي ذلك عن حالنا الذي يسوده النزاع والفشل؟!
لماذا لا نأخذ بما قاله الله سبحانه وتعالى:

﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 17، 18)؟!
لماذا لا نصطف مع أولي الألباب بنص الآية؟! لماذا لا نرى أحسن
القول فيما ترك المصلحون؟! هل نطلب من المصلح العصمة حتى
نستمع لصحيح قوله؟!¹

¹ أكتب هذا وقد انتقل إلى رحمة الله العلامة الدكتور يوسف القرضاوي. والمشهد
في أمره لا يسر! وينم عن حال عقلي وثقافي بانس. ترك الرجل تراثًا علميًا زاخرًا،
فقهاً صائبًا وفكرًا وسطياً جزاه الله عن أمة الإسلام خيرًا.

هل نطلب من المصلح أن يقفز من عصره، ويفلسف المستقبل والعالم من مقعده؟! وحتى يرضينا فيما نعيشه من حاضرنا، والذي كان حينها المستقبل عنده؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم:36).
فقه الواقع الذي عاشه الشيخ، وعاشه هو المفتاح لفهم رسالته وما قام به.

وأما من أخذ بالمدرسة الوهابية في السياسة، فذلك بابٌ آخر. وينبغي -أيضًا- أن ينظر لما قام به بمنظور زمانه، وكذا ما ساد في جزيرة العرب قبل ذلك من فوضى قَبَلية ودماء وغزو وثار.
وكلمة لا بدَّ أن تقال بجلاء:

تقديس القبور أو الاستغاثة بمن فيها أو اتخاذهم وسيلة أو واسطة بين العباد وربهم ليس من دين الإسلام في شيء.
وأما ما ذُكر في القرآن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة:35)

لكن ترى من هواة النزاع العجيب: يستل جملة ممَّا كتب القرضاوي في كتاب بمنات الصفحات، ثم يقول: انظروا التشبيه، ... انظروا أشعريته ...!! انظروا ما قال في سياسة كذا ...!

أيها المنازع: اتق الله أولاً! وقوم منهجك في النظر وأنصف! القرضاوي ليس معصوماً، ولا غيره ومنذ محمد ﷺ.

لك أن تبين برفق وأدب جم ما تراه صواباً، ولكن أذكر أن للرجل بجانب ما ذكرته -وهو محل نظر أيضاً- فضل علمي وتربوي كبير على جيلين من الدعاة والعلماء. الأمة التي لا تعي قدر علماءها لا أدري كيف لها أن تنهض؟!!

قال الطبري في تفسير (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) أي: اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

قال بن كثير نحو ذلك في تفسيره ولا خلاف بين المفسرين على ذلك المعنى.

ذلك هو مذهب أهل السنة: نفي تام لبدعة التوسل بأهل القبور ومن داخل المذهب وبنص الوحي. وأمّا أعمال الجهلة والعوام فلا يحتج بها وهي حجة عليهم ولا علاقة لها بمذهب السنة. وأمّا الشيعة فأمرهم في هذا مختلف: التوسل بأهل القبور والاستغاثة بهم من لوازم المذهب وشعائره! فتسمع: يا زهراء أغثيني! ويا علي ويا حسين ويا عباس وهكذا...

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (النساء: 48).

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء: 116).

قضية التوحيد في الإسلام هي أمّ القضايا قاطبة بنص القرآن، كل الذنوب والكبائر يغفرها الله سبحانه لمن يشاء إلا الشرك. الله حرم الجنة على المشركين.

قال تعالى: (... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة: 72).

قال تعالى: ﴿... وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
(الأنعام:88).

إذًا: ما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب من إحياء لهذه المفاهيم في جزيرة العرب حينها هو من أجل الأعمال -ولا نزكي على الله أحدًا- ونقول لمن لم ير الأمر في سياق التاريخ والواقع حينها والذي عاناه الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: اذهب واقرأ ما كان عليه الحال من شرك وجهل في تلك البيئة، بل وفي سائر بلاد المسلمين، أصبح التوسل بالمقبورين هو الغالب، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:186).

أهل البدع لا يتبعون، بل هم وأهواؤهم لا يرون للدعاء مكانًا إلا بجوار قبر، يستغيثون به، ويجعلونه وسيطًا بينهم وبين خالقهم. كم ورد في القرآن الكريم من تسفيه لتلك الوسائط الزائفة المُحَبَّطَة للدعاء وسائر العمل؟

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر:3).

الشاهد: أن الإمام محمدًا بن عبد الوهاب ابن زمانه، جاهد ليصلح ما رآه ماحقًا للدين وفق النصوص المتواترة في القرآن الكريم.

إمبراطورية إبليس سهل عليها أن تستبدل الصنم بالقبر. الصنم لم يعد مقبولاً! وأمّا القبر وفيه رفات لمظنون الصلاح، أدنى أن يُلبس به على الإنسان، وذلك ما حصل وانتشر انتشار النار في الهشيم. وسهل على تلك الإمبراطورية القميئة أن توسوس وتوهم وتخيل، بل وتفتعل بعض القصص والأحداث "والمعجزات!" الموهومة، لتروّج لبضاعتها، وقد أوتيت هذه الملكات في الأصل من الله سبحانه ابتلاءً للناس وتمحيصاً. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 179).

ثم يأتي في زماننا المضطرب من يجعل الوهابية نقيصة -حاشا وكلا- بل هي تاج من نور على رأس ذلك المجتهد المصلح المجدد محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه فيما ذهب إليه، لقد نهى وزجر عن أكبر الكبائر مطلقاً ألا وهو الشرك. رأس ذلك التشويش واللغظ يثيره اليوم بعض الصوفية وغلاة الشيعة وجهلّتهم، حيث -وللأسف- أصبحت القبور عندهم ركن ركين من دينهم، وتلك لا تُعد ولا تُحصى، بل أصبحت تجارة للمتاجرين بجهل الناس وسذاجتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لم يعد الأمر في هذا سجالاتاً طائفياً، بل تذمر منه معتدلي علماء الشيعة أشد التذمر ومن شاء فليراجع بعضاً من تسجيلات السيد/ كمال

الحيدري، كما أنّ من ذلك حقائق مقززة سجلها وعلق عليها الشيخ الشيعي ياسر عودة بالرابط في الشبكة:

TIKTOK@rami737373

المؤسف أنّ تلك البدع المقززة الجاهلة الشركية تضاهي ما ساد في الجاهلية عددًا وبدائية وغيثًا وأكلًا لأموال الناس بالباطل، والأدهى في عصر العلم: القرن الواحد والعشرين.

لا يسعنا والحال كذلك إلا أن نرفع راية المجد للإمام محمد بن عبد الوهاب، وما قام به من قمع لعبادة القبور وأيًا كانت! نحن بحاجة لأمثاله في زماننا وبين الشيعة بالذات. حاضر هؤلاء يبيّن بجلاء ناصع صحة ووجاهة وفضل ما جاهد من أجله ودعا إليه، بل لكل من أتباعه أن يعتز أنه وهابي!

ولله الأمر من قبل ومن بعد!

الفصل السادس

دمج السياسة بالدعوة، أزمة للدعوة وللسياسة معاً!

الدعوة للدّين الخالص هي لب الرسالات جميعاً منذ آدم - عليه السلام - ، دعوة بسيطة مُيسّرة لمن أراد الله له الهداية. خاتم الرسالات جعلت من الدعوة للدّين قَمّة العمل المأجور، وهي بسيطة قريبة من كل العقول. تكفي أركانها صفحة واحدة من كتاب، بل دخول الإسلام يتم بنطق الشهادتين ليس إلا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله!" ثمّ تعليم المسلم الجديد أركان الإسلام وأركان الإيمان وأمّهات الأخلاق الإسلامية.

الدعوة للإسلام المشار إليها آنفاً هي النصر للإسلام والمسلمين. هي عزّهم في حاضرهم ومستقبلهم وهي التي بنت ما كان لهم من عز في ماضيهم، تسعة أعشار مسلمي اليوم جنور هدايتهم هي تلك الدعوة البسيطة ببلاغ وحوار ودي سلمي بين آدميين، ولينظر من شاء إلى امتداد النور الإسلامي في شرق آسيا: شرق الهند وإندونيسيا وماليزيا، وكذا الإسلام في إفريقيا خلا شريط ساحلي عرضه حول مئة كيلومتر فقط دخلته جيوش المسلمين، وكذا امتداد الإسلام جنوب

آسيا وفي القوقاز. دخول الجيوش الإسلامية (العثمانيين) البلقان كان عباً على الدعوة وأعاق انتشارها. مكث العثمانيون بجيوشهم في اليونان ثلاثة قرون ولا يوجد في اليونان إسلام! والسر أنّ الدعوة لا تثنها ولوّثتها السياسة والسلطة.

الإنسان مخلوق مُكْرَمٌ متفرد في صفاته عن سائر المخلوقات. ذلك ما وهبه الله له وكرّمه وخيّره وجعل صفة الكرامة تلك تتلبسه في أصل وجوده. إن وجد في طريقه مَنْ يهينه أو شعر بذلك أبت نفسه أن تستجيب يلود بكرامته ولا يقبل قبولاً صادقاً إلا بإرادة حرّة وبخيار صحيح.

التحدي والجيوش ومظاهر القوة والاستعلاء طاردة للدعوة، تلك تقفل القلوب على ما هي عليه حتى وإن كان ضلالاً بيّناً! لا يشفع في ذلك قول القوي: إنّه لم ينو إلا الإصلاح وإنقاذ الناس من النار، بل لا بدّ من النظر في موقف الضعيف من تلك المزاعم! جغرافيا الإيمان في شبه القارة الهندية، ترجمان لذلك نسبة المسلمين في دكا (بنغلاديش) أضعاف نسبة المسلمين في نيودلهي (عاصمة سلاطين المغول المسلمين). بنغلاديش أرض قصية ولم تكن سوط السلطنة والجيوش ذا شأن فيها فكان للحكمة والموعظة الحسنة المكان الرفيع دون منافس، وأمّا نيودلهي ففيها جيوش سلطان الهند المغولي المسلم. قبل الناس على مضض ما اعتبروه إذلاًّ لهم واستعلاءً عليهم ولكن أغلقوا قلوبهم -والتي لا سلطان لأحدٍ عليها- على عقائدهم الأصلية.

انتقموا لكرامتهم الإنسانية بعناد القلوب، حيث لم تسعفهم قوتهم الظاهرة.

الدعوة لحمها وسداها كلام ربّاني بسيط لا اجتهاد لبشر فيه مبرءٌ من أخطاء العباد وأغلاطهم؛ تلك الأخطاء والأغلاط حقولها السياسة والإدارة. مَنْ يخلط هذا بذاك ينتظره الفشل في الحقلين. في الدعوة يغلق القلوب أمامها وفي السياسة والإدارة ينتج منافقين متربصين ينتظرون الفرص للانتقام لما تصوروه إهانة لكرامتهم.

إخواننا المتمسكون بالخط بين الأمرين مطلوب منهم أن يدرسوا وبعمق هذه المسألة في الحاضر وعبر التاريخ وفي جغرافيا العالم الإسلامي، لعلمهم يجدون ما يصلح ما يظنوه صوابًا وهو ليس كذلك. الدعوة كلام الله وحكمته، وأمّا السياسة فاجتهاد بشري فيه أقوال وأخذ وعطاء. الفرق بيّنٌ جليٌّ بين الأمرين. فلماذا المزج وإجهاض مصداقية المجالين؟

ويقال: إننا نؤسس سياستنا على أخلاق ديننا وحلاله وحرامه. كلام جيّد، على كل مسلم أن يفعل ذلك في السياسة وفي كل شأن من شؤون حياته. ولكن هل هذا القول يحل الإشكال؟ لا صريحة! ما نؤسسه على الدّين فيه خيارات كثيرة تكاد لا تحصى¹ وهي اجتهاد بشري تحكّم الظروف المحيطة والممكن وأفضل الخيارات وأقل الأضرار

¹ حاورت ذلك في كتابي: "من دنيا العرب.. تأملات في الماضي والحاضر" الفصل: (21) بعنوان: "بين الدعوة والدولة" ص 185 - والكتاب من منشورات دار الخلدونية - الجزائر العاصمة- 2018.

أو كما يقال: فقه الواقع وفقه الأولويات وفقه الموازنات وفقه المآلات، وكل ذلك صناعة عقول فيها أقوال والصواب والخطأ في أي منها قد يظهر بعد سنين وعقود.

الشاهد: أن ما يبني على الأساس هو بناء شيدته أيدي البشر وعقولهم، وأما الأساس فهو ربّاني مُحكم. الدعوة تخاطب الناس بالأساس فقط. وجماعات المزج والخلط تحمل الدعوة "المعصومة" أوزار السياسة البشرية في خياراتها.

"الإسلام - كما نعتقد هو مستقبل البشرية- إذا أي إسلام هذا؟ هو الإسلام الحق كلام الله وكلام رسوله الصحيح، الإسلام الأساس وليس سياسات وخيارات المسلمين في الزمان والمكان، تلك لا قرار لها والله أعلم بحالها صوابًا أو خطأً".

الشاهد: أن من يروج للمزج والخلط نزن أن حالة بين حالين: إمّا أنه لا يعي عواقب ذلك الخلط ومآلاته.

وإمّا أنه يستدعي المقدس (الدعوة) ليسنده في دعوته السياسية، يوظف المقدس لإنفاذ اجتهاد بشري زماني على الناس. فهو يوحى للمتلقين أن ما يقوله في السياسة وأنظمة الحكم وإدارة الاقتصاد والاجتماع هو مقدس أو قريب من ذلك. تلك لا تليق بتقيٍّ صادقٍ. ولينظر من شاء إلى ما أنتج ذلك التوظيف السيء من فتنٍ في المجتمعات الإسلامية وفي العالم عمومًا ومع معظم الناس. بل أنظر ما نتج من نزاع ودماء بين جماعات المزج ذاتها لاختلاف في

خياراتها السياسية. كل منها ألحقت خيارها السياسي بالمقدس نصًّا أو ضمناً ومن ثمَّ جعلته مقياساً للمفاصلة مع باقي الناس ضلالاً وهداية، وعليه استباححت دماء الأخوة الإسلامية دون وجل أو خجل. والله الأمر من قبل ومن بعد.

لا بدَّ من خطاب عصري

المناداة بشعارات خارجة عن سياق العصر المعاش هي أحلام ضارة بالمسلمين أولاً، وتأتي لهم وللعالم بالمصائب والدماء. لا بدَّ من فقه الواقع والحديث بلغة العصر، وطرق العصر والمتاح في هذا العصر وهو كثير، إمكانات العلم في الوقت الراهن ميسورة ألف مرّة عمّا كان الأمر في غابر الزمان. ثم حالة الحرية التي يقرها القانون الدولي والمقر بها من أغلب سلطات الكوكب مثلاً "حقوق الإنسان" والحرريات العامة والخاصة وهكذا الكثير أفضل حماية بعد الله للداعية والعابد، الإصرار على خطاب عهود مضت وترك الجوهر المطلوب ثانويًّا صنيعٌ ضار بالإسلام وبالمسلمين أبلغ الضرر - ثم نتساءل ما هو المطلوب في الدين وفي أساس المسألة؟ حرية العبادة وتلك تحميها حقوق الإنسان.

حرية اختيار مَنْ تتعامل معه وتقوم به من تصرفات وتلك كذلك. حرية الدعوة الدينية وهذه كذلك.

أنت بهذا تبشر بعقيدة الإسلام وأركانها: الإيمان بغييب، وكذا ما أمر به الله من أركان الإسلام وأركان الإيمان. لن يقف في وجه ذلك سلطة في زمن التشطي الحالي.

كل ما تقدّم تفره حقوق الإنسان الذائعة الصيت. فلمَ إذاً الضوضاء خارج السياق والتي لا تأتي إلا بالعزل والاضطهاد!! هل بناء دولة على مقاس الغلاة من أساسيات الدين؟ ذلك لم نره في مُحكم القرآن.. ما به دعوة للتوحيد وأركان الإسلام والإيمان ومكارم الأخلاق.

وماذا تعني دولة: إنشاء إدارة عادلة فاضلة تقوم بالشأن العام، هذه يُقيّمها الفضلاء إن كثروا بين الخلق، وتأتي ثمرة تلقائية للدعوة الناجحة الواسعة المجردة المبرأة من صراع السياسة.

الفصل السابع

جذر الغلو عند الشيعة¹

تقديم: الروايات التاريخية ومنهج العلوم.
علوم الاجتماع الإنساني - ومنها التاريخ- علوم من العلوم.

الوصول للحقائق في العلوم جميعاً يحكمه منهج عام جامع واحد، لا
بدّ من أن يأخذ به الباحث.
ثم فضلاً عن ذلك المنهج الجامع: لكل علم منهجه الثانوي ووسائله
الخاصة التي يتوسل بها الباحث في الوصول إلى الصحيح.
المنهج الجامع لكل العلوم، وسواء كان مجالها المادة - مثلاً: الفيزياء
والكيمياء- أو في علوم الاجتماع الإنساني- ومنها التاريخ والروايات-
هو المنهج التجريبي².

¹ في كتاب المؤلف: "من دنيا العرب.. تأملات في الماضي والحاضر"، الفصل الرابع والأربعون بعنوان: [بين السنة والشيعة: جدل الماضي والحاضر] ص 347 فيه بيانٌ للكثير في التاريخ والحاضر، أنصح بالاطلاع عليه. الكتاب من منشورات دار الخلدونية - الجزائر العاصمة 1439 هـ/2018م.

² وراء ذلك ضعف ابن آدم المفطور.. ليس بوسع الإنسان أن يصل بالنظر العقلي المحض إلى حقائق يُركن إليها. ولا بدّ له من أن يُجسّد نظره العقلي في حياة - تجربة- تتفاعل مع المحيط كي يرى ما فيه من حقيقة وما فيه من وهم. وذلك عليه

وعناصره في أبسط صورها عند إعماله في المواد:

ملاحظة وتأمل نظري يفضي إلى تصور أولي عن موضوع البحث. تجارب عملية تبين ما إن كان ذلك التصور صائبًا أم ظهر ما يُنفيه أو يُعَدِّله.

صياغة ما أفضت إليه التجارب في قانون أو نتيجة مقترحة تحكم الموضوع.

بيان مستحق!

عندما تذكر التجربة يخطر بالبال: معامل المواد والمختبرات، تلك من التجربة بمعناها الضيق.

ولكن من التجربة أيضًا: ما يجمعه الشيخ المسن في رحلة الحياة.. وما يطلع عليه دارس التاريخ من عِبَرِ عاشها السابقون، وتلك لها ذكر واسع في الوحي الإسلامي.

وكذا ما تفعله الحوادث والحياة في المحيط والأفكار والمقولات وهكذا...

تلك التجربة بمعناها الواسع هي "غريبال الزمن" يذهب به الزائف الموهوم، ويبقى صامدًا ما يتفق مع فطر الخلق وناموس الحق.

كل العلوم وكل التقانات.. وسواء في علوم المادة أو علوم الإنسان.. ومن ملعة الطعام وبندقية الصيد إلى الطائرة العملاقة ليس لكل تلك إلا التجربة المتكررة قبل أن تُستعمل في واقع الناس.

قال تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرَّعْدُ:17).

ومن الأمثلة:

النظريات الاقتصادية وكذا علوم الإدارة، وسواء في إدارة الشركات بل والمنازل وإلى ما تدار به الدول والمجتمعات: تلك تحظى بقيمتها وجديتها وفق ما يظهر من نجاعتها عند أعمالها في الواقع، مختبرها ليس معمل الكيمياء أو الفيزياء، بل جدل الحياة وتفاعل المجتمع، وما يظهر منها في قادم الأيام.

المسلمون ورسالتهم

الله سبحانه وتعالى اصطفى محمداً ﷺ رسولاً من العرب لبلاغ الرسالة الخاتمة، وللناس جميعاً.. رحمة للعالمين.. كان ذلك منذ أربعة عشر قرناً ونيِّفاً. تلك إرادة الله. ثم بحكم الواقع والموقع ولغة الرسالة.. حمل العرب (الصحابة والتابعون)، مهمة البلاغ والذود عن تلك الرسالة في مهدها، وفي قرونها الأولى. ثم كان ما كان من دور حاسم لشعوب الأرض-من آمن منهم- في حمل الأمانة مع العرب وحتى بلغ الإسلام ما بلغ في يومنا هذا.

رسالة الإسلام - كما يعتقد كل مسلم- هي خاتم الرسالات- هي الاتصال الأخير بين الوحي وأهل الأرض وحتى قيام الساعة.

الشاهد: المسؤولية الملقاة على كاهل المؤمنين ومن كل الشعوب ثقيلة! أن يعملوا على جبهتين كبيرتين وهما:

أولاً: تنقية التدين من البدع والأوهام والخرافات، وكذا الشفاء لبنيان المسلمين في داخله من النزاع والتدابير والفُرقة. وبذل أقصى الجهد فيما يحقق وحدة المسلمين واصطفاهم معاً دفاعاً عن ناموس الإيمان -الإسلام- والذي هو أمل البشرية النهائي الأوحد للخلاص ودخول الجنة.

ثانياً: العمل الدؤوب كي تصل رسالة الإسلام جلية نقية إلى قاطني الأرض جميعاً، ثم تذكيرهم بها وبيانها مراراً. ذلك من أشرف العبادات، دعوة خالصة لوجه الله الكريم، أمر بها سبحانه بالتواتر في القرآن والسنة.

المشهد الراهن

في الأولى: النزاع والانقسام له في جسم الأمة نصيب معتبر، بل جعله كثيرون ذريعة لإراقة الدماء، ممّا أفضى إلى مزيد من الضعف والتدابير.

وأما الثانية: أي الدعوة إلى الله.. تقصير شديد مُخل، ما كان ينبغي للأمة الخيرية أن تقع فيه. دلالة ذلك أنّها في وهن شديد، تلك الأمة الشاهدة: أن تفرط في تاج رأسها وأنبل خصوصياتها، وهي الدعوة لدين الله الذي حملت أمانة أتباعه وإبلاغه.

من أشد ما يفتك بالأمة الآن هو:

أولاً: الانشقاق الشيعي.

ثانياً: الغلو عند بعض الحركات الرافعة للشعار الديني (التدين

السياسي).. والغلو هذا بأشكال وألوان! منه:

الناعم الفكري المتطهر المستعلي على الناس، والذي لا يرى مكاناً لتعاون جبهوي مع باقي قوى المجتمع.

ومنه من ترجم التطهر إلى مفاصلة عقديّة صوغت له سفك الدماء وتكفير الناس.

المنهج التجريبي والرواية التاريخية

إعمال ذلك المنهج على الروايات التاريخية ليس سهلاً في كل الأحوال.

التجربة هنا هي: وَقَع الرواية التاريخية على مَنْ يعينهم الأمر، وعبر السنين بل والعقود والقرون. تمحصها الأيام، وتبدي من تفاعل الناس والحياة مع محتواها ما كان فيها من حقيقة، وما توهمه الناس دون وجه حق.

عن "تجربة الزمن الممتد"

الزمن يفعل في الموجودات المادية، وذلك ثابت لا جدال فيه. وأيضاً له فعله في المقولات والأفكار والنظريات وسواء بالوجود أصلاً من عدمه، أو بمدى صحة الفكرة أو الرواية من عدمها أو بمدلولها وما فهمَ منها.

حوادث الماضي تشمل فصليين كبيرين:

- الوقائع المادية.

- المقولات والأفكار والنظريات القولية.

وأما الخلاف حول تلك الحوادث فينحصر في:

هل وقعت تلك الحادثة؟ أم لم تقع أصلاً؟

وإن ثبت وقوعها ما مداها؟ وما أثرها؟ وأسبابها؟ ومعناها؟

وأما إن كانت من فصيل الأقوال والأفكار والنظريات: فما مدى

صحتها؟ ونصيبتها من الحقيقة؟.. وأين الإفراط والتفريط فيما رُوي

وقيل حولها؟

الزمن حياة أجيال

حوادث الماضي يحي أثرها مع الناس جيلاً بعد جيل. الأثر وعند

تتبعه على مر السنين، بل والقرون يرينا -وعند التدقيق العلمي- موقع

تلك الحوادث من الحقيقة-، أقله يُقربنا من ذلك: هل حصلت أصلاً

وإن كان فبأي صورة؟ ما هو تفسيرها الأقرب إلى الصحة؟ وما

أسبابها ودلالاتها؟

الاعتبارات السابقة هي معنى التجربة في التاريخ ... تجربة الزمن

الممتد¹

¹ "تجربة الزمن الممتد" لها قدم راسخ في علوم المادة والأحياء.

فمثلاً:

في الهندسة بشتى فروعها: هل أثبتت التقنيات والمواد ما خطته النظرية في حقها، ولكن بعد استعمالها لسنين؟

ربما اقتصر الجهد التاريخي -في معظمه- في التوثيق النظري لما وجد من آثار مكتوبة أو مروية.. المكتوب له كاتبه الذي له انحيازه ونظره الخاص وكذا المروي.. ومن ثم الموضوعية والصدق في الميزان.

لا بدّ للقرب من الصحيح استدعاء "التجربة".. تجربة الزمن الممتد.. حيث يُعربل ما وصل من روايات مختلفة، وكتابات لا تتطابق. وأضرب مثلاً قريباً في عالم الأفكار:

الفيلسوف ماركس نشر في منتصف القرن التاسع عشر نظريته في الاقتصاد والمجتمع الإنساني عامة. وأخذ بذلك حينها عشرات الآلاف.. رجحوا أنها الصواب.. ثم اتسعت دائرة الآخذين بها.. إلى أن بُنيت عليها دول كبيرة (الاتحاد السوفيتي وغيره)، تفاعلت تلك الأفكار مع الحياة والناس، إلى أن وصلت إلى طريق مسدود.. أغلب من قالوا يوماً بصوابها تراجعوا عن ذلك وغادروها.

كُتِبَ وقيل خلال قرن ما يؤيد النظرية من جانب وما يردّها من جانب آخر آلاف الكتب، كما أزهقت ملايين الأنفس في صراع المؤيدين والمعارضين، إلا أنّ ذلك كله -رغم فداحته- لم يحسم الصراع حولها. وأخيراً كان الفصل في أمرها نتاج "تجربة الزمن الممتد".

وفي الطب: ما ينتظره الخبراء من آثار جانبية قد تظهر بعد سنين وعقود جرّاء تعاطي دواء ما، فضلاً عن نجاعة ذلك الدواء أصلاً. بل إنّ المعضل البيئي الذي تعاني منه البشرية في زماننا أصله عجز في تتبع "تجربة الزمن الممتد" لمختلف الأنشطة التقنية والإنسانية أو جهل بها - تراكم ذلك لقرنين!

كما أنّ مثال ذلك في التاريخ كثيرة:

مقولات وفلسفات وحركات شغلت عقول الملايين.. ثم ظهر زيفها ووهميتها ومن ذلك:

فراة اليونان ثم الرومان، العنصرية، الماركسية، ملف لينين، الماوية، النازية، دعوى الصهيونية، الوثنية وعبادة الجمادات والأجرام السّماوية.

عن الخلاف بين السنة والشيعية

ذلك الخلاف مزمن، قيل وكُتِبَ فيه ما يتعذر إحصاؤه. كل طرف يردد ما عنده من روايات.. يستنطقها جاهداً لعله يستخرج منها ما يؤيد نظره وما يعتقد¹.

لفض الخلاف؛ الكلام في الروايات ودلالاتها لم يعد يجدي نفعاً. مضى أربعة عشر قرناً على تلك الأحداث. مُضِعَ الكلام في الروايات ألف مرّة دون جدوى.

رحلة القرون - تجربة الزمن الممتد - لها قول آخر.

بعد قرون من الجدل: المتداول الآن من قول وقول مقابل ليس فيه من منهج العلوم شيئاً، وبالذات الجزء التجريبي منه. ذلك المنهج حاكم - لا محاله - لكل "علم" أيّاً كان ومن ذلك الروايات التاريخية..

¹ أفضى ذلك النحت في الروايات إلى الوضع! وذلك بالزيادة أو الحذف أو توليف ما يحيط بالرواية حينها وفق ما يرى.

جذر الخلاف بين السنة والشيعية

يعود أصل الخلاف إلى روايات وأحداث وأهم ما في هذا الملف
ثلاثة محاور:

حديث الغدير¹:

"سبب الورود" ركن أساس في فهم الحديث النبوي وأياً كان، وهو جزء من فقه الواقع حينها، ما الذي جعل رسول الله ﷺ يقول ما قال؟ وفي أي مناسبة؟ وفي أي ظرف؟.

لا يُرَكَّنُ في الفهم لمفردات اللغة وحدها، حيث الألفاظ مع واقعها وظروفها وما وردت فيه. وقد قال العلماء في ذلك: "الحديث مَصْنَعَةٌ إلا للفقهاء" أي أن ألفاظ الحديث قد تُضِلُّ القارئ العادي، حيث الفهم الصحيح للنص بابه سبب وروده.

قليل في ألفاظ "الغدير" الكثير إلا أن "سبب الورود" لم يحظ بمعشار ذلك!

ومن الروايات الصحيحة لحديث "الغدير" والتي بها سبب وروده ما رُوِيَ عن بريدة -رضي الله عنه-:

¹ من أراد الاطلاع على دراسة وافية للروايات بخصوص الغدير أنصحه بالاطلاع على ما سجله الباحث الشيعي المنصف أحمد الكاتب في ثلاثة تسجيلات على اليوتيوب وهي:

- التسجيل الأول بعنوان: "متى وضعت الأحاديث حول عيد الغدير ونُسبت للإمام الصادق"؟
- التسجيل الثاني بعنوان: "لماذا ذكر الله بيعة الشجرة ولم يذكر بيعة الغدير التي تتعلق بالإمامة وكمال الدين؟!"
- التسجيل الثالث بعنوان: "هجوم ثلاثي سني إمامي زيدي على أحمد الكاتب: حديثا الغدير والعترة متواتران يدلان على الإمامة".

عن بريدة -رضي الله عنه-: قال: "غزوت مع عليّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ ذكرت عليًّا فتنقّصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيّر فقال: "يا بريدة ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم" فقلت: بلى يا رسول الله. قال: "مَنْ كُنْتُ مولاه فعليّ مولاه"¹.

والشاهد أنّ السنّة يقولون: لا يدل الحديث على خلافة سياسية لعلي -رضي الله عنه- بعد رسول الله ﷺ.

والشيعة يقولون: بلى هو كذلك.. الخلافة الدينية والسياسية بعد رسول الله ﷺ هي لعليّ بأمرٍ من الله -خلافة إلهية-.

الإمامة الدينية² الممتدة في آل بيت رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة: تلك كانت دعوى الشيعة حول قرن من الزمان، من منتصف القرن الثاني الهجري وحتى زمن الإمام الحسن العسكري، ثم حدث خلاف حول وريثه في الإمامة. هل كان للعسكري ابن من صلبه؟ قيل: لا.. وقيل: نعم، وأين هو؟ قيل: اختفى.. غلام صغير وهو المهدي المنتظر.

¹ أحمد في المسند (22943). والنسائي في خصائص علي رضي الله عنه (81)، والحاكم في المستدرک (4578). وقال الحافظ بن كثير في البداية والنهاية (5/228): "وهذا إسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (2/1112).

² وما تفرع من ذلك المفهوم: عصمة الأئمة والتفويض والولاية التكوينية.

خرج من رحم هذا القول: مذهب الإثنى عشرية المشهور في زماننا، أول من قال بهذا المذهب: هو المتكلم الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (336هـ - 413هـ/947م-1022م). مات العسكري عام 260 هـ وكان سن ابنه محمد (المزعوم) خمس سنوات أي: أنه غائب منذ اثني عشر قرناً.

السُّنَّة يقولون: الإمامة الإلهية لا أصل لها، وسواء في الدين أو في السياسة. الإمامة ممكنة شرعاً وعقلاً لكل آدمي مجتهد، ومن أي جنس أو لون، وليس حكراً على نسل فاطمة -رضي الله عنها-. إمام المسلمين في دينهم وإلى يوم القيامة هو كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ليس إلا، هو الوحي المحفوظ بحفظ الله له.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:9).

القرآن الكريم لا يشير لما يقوله الإثنى عشرية، لا من قريب ولا من بعيد.. ذلك القول -لو صح- هو من أركان الإيمان، فكيف لا يُشار له في كتاب الله؟! وأمّا الروايات فلا يعتد بها، وقد ثبت أنّ أغلبها لا أصل له. كما أنها ليست حجّة في العقائد.. العقائد تؤخذ من القرآن وحده.

ثم من بانيات الحقد- للأسف- وسفك الدماء بين طرفي الخلاف.

رواية كسر ضلع الزهراء -رضي الله عنها-.

استشهاد سيدنا الحسين بن علي -رضي الله عنه-.

محاور الخلاف الثلاث المذكورة آنفًا متداخلة مترابطة.. البيان فيها وفق منظور التجربة التاريخية لا يكون إلا باعتبارها حزمة واحدة، إنها: "ملف الخلاف بين السنة والشيعة".

وسوف أتعرض فيما يلي إلى ذلك الملف ولكن -وكما سبق البيان- ليس بالروايات عند الطرفين، حيث تلك استنفذت إمكاناتها، وبقي كل طرف فيها مُمسِكًا بما لديه.

حواري مع ذلك الملف هو وفق "تجربة الزمن الممتد" ماذا أظهرت السنون والقرون!

وفما يلي البيان:

التجربة الأولى: الفترة بين الغدير ووفاة رسول الله ﷺ

لو كان قصد الرسول ﷺ تَوَلِيَّةَ علي -رضي الله عنه- أمر الأمة من بعده لكان الأولى أن يصدع بذلك في خطبة عَرَفة في حجَّة الوداع، حيث حجيج المسلمين من كل الجزيرة العربية حضور. في تلك الخطبة ودَّع رسول الله ﷺ أمته بوصايا قِيَمَةٍ مُدَوَّنة في الكتب ثم رجع ﷺ مع مَنْ كانت وجهته المدينة المنورة.

كان هؤلاء جزءًا يسيرًا ممَّن حضر عَرَفة..

محمد ﷺ رسول الوحي الخاتم يوحى إليه ولا يغيب عنه ذلك الاعتبار الهام.

ثم لو كان معنى الحديث الشريف هو تولى علي -رضي الله عنه- الإمامة السياسية (الخلافة) بعد رسول الله ﷺ.. ذلك أمر جليل ومن مقومات وحدة الصف المسلم وسلام الأمة الناشئة.

أما كان ينبغي أن يكون نص التولية مباشرًا صريحًا دون أي لبس أو شك؟ وكذا يكون أثناء الحج الذي عاد منه لتوه رسول الله ﷺ كما سبق البيان.

ثم ما هو الحرج أو الخطر في أن يصدع رسول الله ﷺ بذلك الأمر مرّات ومرّات وذلك حفظًا لوحدة المسلمين.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: " كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصلًا يفهمه كل من سمعه"¹.

الرسول الكريم تحدى بالوحي في بداية الدعوة عقائد الجاهلية وكبرائها جميعًا.. وأمّا وقت الغدير فكان الأمر مختلفًا:

دولة قوية قائمة مع آلاف مؤلفة من الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، كلُّ منهم يتلهم لطاعة النبي ﷺ، بل ويطلب البركة من ماء وضوئه ولمس ثوبه.

ثم أنّ عليًا -رضي الله عنه- بسبقه وجهاده وعلمه كان أهلاً لذلك، فأبي حرج يبقى لو كان الأمر كما يزعمون.

من يصرف معنى الحديث إلى الإمارة والحكم يقدر في حكمة خاتم المرسلين ودون أن يشعر.

¹ أخرجه أبو داود في الأدب، باب: الهدى في الكلام (4199).

والشاهد: نص الحديث لا يعني الإمارة والخلافة، بل يعني أن علياً - رضي الله عنه- مُرَكَّبٌ من الرسول الكريم ﷺ وعلى رؤوس الأشهاد¹. كان لذلك مناسبة حينها، وهي ما حدث بينه وبين من رافقه من الصحابة إلى اليمن لجلب الصدقة.

ثم هب -جدلاً- أننا استبدلنا كلمة "علي" في نص الحديث بكلمتين "المؤمن الصادق" .. هل يستقيم المعنى؟ والجواب: نعم يستقيم! قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة:71).

أيضاً لم يصدر من رسول الله ﷺ بعد الغدير ما يؤيد تولية الأمر لعلي رضي الله عنه- بعده. وقد عاش ﷺ بعد الغدير أشهراً. لم يُبَدِّدِ ﷺ ولا حتى إشارة واحدة -لا من قريب ولا من بعيد- ما يتمسك به الشيعة في زماننا. بل ما حصل غير ذلك، حيث أشار الرسول ﷺ وهو في مرض الموت لأبي بكر -رضي الله عنه- أن يؤم المسلمين

¹ الإمام علي -رضي الله عنه- ذو شخصية قوية مباشرة مبدئية جادة لا لينَ عنده فيما يراه حقاً، فمثلاً: أمر مرافقيه من الصحابة أثناء جلب غناتم اليمن أن لا يركبوا إبل الصدقة، حيث لا يملكونها، ويقطعوا الرحلة راجلين، فشق ذلك عليهم، وخالفوه، واشتكوا للرسول ﷺ. ومن الأمثلة البالغة في ذلك أيضاً.

في الصلاة، ومكث ذلك الحال إلى أن انتقل الحبيب المصطفى إلى الرفيق الأعلى.

ثم وقع الرواية على -رضي الله عنه- وهو المعني الأول بها وذلك في حياة الرسول: هل عهد الصحابة من علي -رضي الله عنه- سلوكًا يُبين أو يؤيد أو يشير إلى ما قيل من توليته؟

ما تقدم هو الدرس البليغ الأول من عطاء "تجربة الزمن الممتد" في بيانها لمعنى ومغزى حديث الغدير، وذلك في حياة الرسول ﷺ.

التجربة الثانية: وفاة رسول الله ﷺ واختيار أبي بكر -رضي الله عنه- للخلافة

ثم بعد وفاة رسول الله ﷺ وفي يوم وفاته بالذات ﷺ اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة وتداولوا في أمر الخلافة.. ثم بايعوا أبا بكر -رضي الله عنه- وفي اليوم التالي التقى جمع غفير من الصحابة -مهاجرون وأنصار- في المسجد وتمت البيعة العامة لأبي بكر -رضي الله عنه-.

مغزى ما تقدم: أنه لم يصدر من صحابي واحد إشارة إلى الغدير وأحقية علي -رضي الله عنه- في الخلافة بناءً عليه.

كان صحابة رسول الله ﷺ بالآلاف -ومنهم السابقون الأولون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه- جاهدوا بأنفسهم وأموالهم طيلة البيعة النبوية صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. فكيف أجمعوا على فهم واحد

لملف الغدير¹؟! وأنه لا يعني الخلافة السياسية لعلي -رضي الله عنه- هل يُعقل أن يُجمع هؤلاء المجاهدون الأبرار على ظلم لعلي -رضي الله عنه-. قد يقال هي الإمارة وحبها! إلا أن الإمارة اختير لها رجل واحد منهم (أبو بكر) فما بال المئات والآلاف الآخرين. كان من الصحابة - وهم قلة قليلة- من رأى أن الأفضل لمنصب الخليفة هو علي -رضي الله عنه-، وعلي -رضي الله عنه- أهلٌ لذلك، إلا أن ذلك التفضيل لعلي -رضي الله عنه- لم يكن بناءً على "الغدير" بل محض تفضيل سياسي وموقف إنساني، لا علاقة له بما نحن بصدده.

ضلال البحث في ملف الغدير

وإني لأعجب أشدَّ العجب ممَّن يبحث في ملف الغدير في زماننا أي بعد أربعة عشر قرناً من الحادثة وفي غياب عن واقعها وفي تجاهل للأسباب التي أفضت لها، ثمَّ الباحث الهُمَام يقرأ النصَّ اللغوي ويقرر باطمئنان: أنَّ الغدير هو إسناد الخلافة بعد الرسول ﷺ بأمرٍ من الله لعلي -رضي الله عنه-.

جناب الباحث يقفز على شهادة آلاف الصحابة في الموضوع الذين عاشوا الحادثة بظروفها ملء السمع والبصر-ومنهم السابقون الأولون- ولا ترف له عين.

¹ وراء ذلك - فيما اعتقد- ما ورد في وصية الإمام علي -رضي الله عنه- وهو في فراش الموت من أن الرسول ﷺ لم يستخلف أحداً كما سألين لاحقاً!!

وقد فعلها كاتب من جزيرة العرب كما سيأتي بيانه. ذلك الصنيع في تضاد فادح مع العقل فضلاً عن منهج العلم.. ألا تكفي شهادة آلاف العدول -حواري الرسول- في حادث عاشوه قبل ثلاثة أشهر فقط، ووعوه بأعينهم وأذانهم. ويريد منّا ذلك المتأخر الضعيف أن نقدم فهمه وشهادته على ما أقره صحابة رسول الله ﷺ وأجمعوا عليه!! القائل بذلك الغثاء. بحاجة قبل النظر في الرواية أن يراجع عقله ونفسه ثم إيمانه بالرسالة ويقراً من سير الصحابة.. لعله يثوب إلى رشده.

ثم: مَنْ هو الذي زكّى أئمة الصحابة وأثنى عليهم وقرّبهم ووثق بهم واتخذ منهم بطانة؟! أليس هو رسول الله ﷺ الذي يؤمن بعصمته كل مسلم والذي قال فيه الله سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم:3،4).

كيف إذاً لباحث مسلم أن ينزع تلك التزكية عن الآلاف من هؤلاء لا لسبب إلا لأنّه قرأ رواية - الله أعلم بحالها- بعد أربعة عشر قرناً من الأحداث؟ سبحان الله!!

ثم هل يخطر لعقل مسلم أنّ رسول الله ﷺ خدعه (حاشا) صحابته في حياته بمن فيهم الأقرب إليه. المبشرون بالجنة.. حيث انقلبوا بعد ساعات من وفاته وخالفوا صريح أمره في شأن جمل؟

إِذَا: أين العِصْمَة وأين الوحي الذي يوحى؟ كيف يستقيم ذلك مع إيمان؟ أفلا تعقلون؟ هلا فريت المتأخرين -أدعياء البحث- ليس بينهم وبين العقل فضلاً عن العلم نسب.

كما أنّ علياً -رضي الله عنه- لم يحتج بالغدير فيما رُوي عنه مطلقاً.. وحتى وفاته عام 40 للهجرة أي بعد وفاة الرسول ﷺ بتسعة وعشرين عاماً!

مبايعة علي -رضي الله عنه- لأبي بكر -رضي الله عنه-:
علي -رضي الله عنه- لم يبايع أبا بكر -رضي الله عنه- يوم بايع الناس وسواء في السقيفة أو في اليوم التالي في المسجد- وبقي على ذلك ستة أشهر وحتى وفاة زوجته فاطمة -رضي الله عنها-.

روى البخاري ومسلم:

عن عائشة -رضي الله عنه- أنّ فاطمة -رضي الله عنها- بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: "لا تُورثُ، ما تَرَكَنا صدَقَةً، إنّما يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا المالِ، وإِتيَ اللهُ لا أُعَيِّرُ شيئاً من صدَقَةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حالِها الَّتِي كانَ عليها في عَهْدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولَأَعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ به رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأبى أبو بكرٍ أن يَدْفَعَ إلى فاطِمَةَ مِنْها شيئاً، فَوَجَدَتْ فاطِمَةُ على أبي بكرٍ في ذلك، فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمُهُ

حَتَّى تُؤْفَيْتَ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا
 تُؤْفَيْتَ دَفَنَهَا رَوْحُهَا عَلِيٌّ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا،
 وَكَانَ لِعَلِيِّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُؤْفَيْتَ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ
 وَجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالِحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ
 الْأَشْهُرَ، فَأُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَنْ ائْتِنَا، وَلَا يَأْتِنَا أَحَدٌ مَعَكَ؛ كَرَاهِيَةً
 لِمَحْضَرِ عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحَدَاكَ، فَقَالَ أَبُو
 بَكْرٍ: وَمَا عَسَيْتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي؟! وَاللَّهِ لَا تَيْتُهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ،
 فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ
 عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبَدَّدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ، وَكُنَّا نَرَى
 لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبًا. حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا
 أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، فَلَمْ أَلْ فِيهَا عَنِ الْخَيْرِ، وَلَمْ أَنْزُكْ أَمْرًا
 رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ، فَقَالَ
 عَلِيٌّ لِأَبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ
 عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ، وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلَّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي
 اعْتَدَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَ: أَنَّهُ
 لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَا إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ
 اللهُ بِهِ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي

أَنْفُسِنَا. فَسَرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: أَصَبْتَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الْأَمْرَ الْمَعْرُوفَ¹ أَنْتَهَى.

بَيَّنَّ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْحَدِيثِ السَّبَبِ الَّذِي حَمَلَهُ أَنْ لَا يَبَايِعَ قَبْلَ ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: (إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ، وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنْكَ اسْتَبَدَّدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ، وَكُنَّا نَرَى لِقْرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَصِيبًا).

وَمِنْ ثَمَّ الْبَطْءُ فِي الْمَبَايَعَةِ وَفَقَّ مَا بَيَّنَّهُ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ وَرَاءَهُ أَمْرَانِ:

أولهما: أَنَّهُ لَمْ يَشَاوِرْ فِي الْأَمْرِ وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَهُوَ غَائِبٌ.

وثانيهما: أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَحَدَ الْمُرْشِحِينَ لِلْخَلِيفَةِ.

مَا قَالَهُ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْأَسْبَابِ مِنْ حَقِّهِ، وَهُوَ أَهْلٌ لِلْمَشَاوِرَةِ وَالْخَلِيفَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

إِلَّا أَنَّ حِجَّةَ الطَّرْفِ الْآخِرِ كَانَتْ وَجِيهَةً أَيْضًا.

أَنْ أَسْرَعُوا إِلَى سَقِيفَةِ الْأَنْصَارِ وَحَتَّى لَا يَبِيتَ الْأَمْرُ فِي غِيَابِ الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ احْتِمَالِ الْفِتْنَةِ لَوْ حَدَثَ ذَلِكَ. وَقَدْ قَالَهَا عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: كَانَتْ فِلْتَةً (أَيَّ صَدْفَةً).

اطْمَأَنَّ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا كَانَ فِي السَّقِيفَةِ وَبَايَعُوا فِي الْمَسْجِدِ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَقْلُ الْقَلِيلِ.

¹ متفق عليه: أخرجه البخاري في المغازي، باب: غزوة خيبر (3913)، ومسلم في الجهاد، باب: قول النبي ﷺ: لا نورث (3304).

وممّن لم يشهد البيعة في المسجد ولم يبايع سعد بن عبادَةَ الأنصاري -رضي الله عنه- سيد الخزرج. ذلك لا يضير بيعة أبي بكر -رضي الله عنه- ولا يضير علي -رضي الله عنه- ولا سعد -رضي الله عنه- تمت البيعة بالأغلبية الساحقة.

الإجماع ليس ضروريًا لا في البيعة ولا غيرها من شؤون الناس ومهما جَلَّت.

والشاهد مما تقدم: أَنَّ عليًا -رضي الله عنه- لم يشر فيما روى عنه إلى الغدير، ولا إلى تنصيب له بالخلافة بعد الرسول ﷺ وبأمرٍ من الله كما زعم المتأخرون.

ما تقدّم - وبعد التجربة الأولى- هو التجربة الثانية من عطاء "تجربة الزمن الممتد" في بيان ما يعنيه حديث الغدير.

وأما التجربة الثالثة: بعد مبايعة علي -رضي الله عنه- لأبي بكر -رضي الله عنه-

بعد أن أبطأ علي -رضي الله عنه- ثم بايع، أصبح من أقرب وزراء الخليفة، وجاهد تحت راية الدولة.

لم يعتزل ويقل مثلاً: "أنا الخليفة الشرعي بأمر الله ورسوله.. تلك أمانة في عنقي.. ولا أدعها تُضَيِّع وإن غُلِبْتُ على أمري، اعتزلت إلى أن يُظْهر الله ما شاء.

وعند موت أبي بكر -رضي الله عنه- رثاه علي -رضي الله عنه- بأبلغ ما يقال في رثاء، ذلك مُدَوَّن في كتب السير.

وأما التجربة الرابعة: في خلافة عمر -رضي الله عنه-

تولى الخلافة بعد أبي بكر -رضي الله عنه- عمر -رضي الله عنه- وكان علي -رضي الله عنه- أقرب وزرائه إليه. حكم عمر -رضي الله عنه- عشرة أعوام، لم يُرو عن علي -رضي الله عنه- أنه احتج يوماً بالغدير. ثم رثا علي -رضي الله عنه- عمر -رضي الله عنه- عند موته بكلام من القلب غاية في التأثير ومما قاله: "والله إني لا أحب أن ألقى الله بصحيفة أحد من الناس إلا بصحيفة هذا الرجل يعني عمر -رضي الله عنه-".

وأما التجربة الخامسة: علي -رضي الله عنه- عضو في مجلس الشورى بعد وفاة عمر -رضي الله عنه-

انتظم علي -رضي الله عنه- مع الخمسة الذين اختارهم عمر -رضي الله عنه- كي يختاروا خليفة من بينهم. وكان حوار وأخذ ورد. لم يرد عن علي -رضي الله عنه- أن احتج بالغدير في أي منها.

وأما التجربة السادسة: ما نافع به علي -رضي الله عنه- عن خلافته في "نهج البلاغة"

كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الكثير من الخطب والأقوال لعلي -رضي الله عنه- لم ترد فيه كلمة واحدة عن قصة الغدير. رغم أنه زاحر بالمنافحة عن الخلافة وكذا رد لمقالات المخالفين، أرى أن ذلك دليل كافٍ على أن تزكية الرسول ﷺ لعلي -رضي الله عنه- في الغدير تزكية مستحقة بالطبع إلا أن معناها هو التأكيد والتذكير بسبق

علي -رضي الله عنه- وفضله وعلمه وجهاده، وكذا جبر من الرسول ﷺ لخاطره عما قاله رفاقه في رحلة اليمن.

علي -رضي الله عنه- كان أهلاً للخلافة الراشدة، وفي أي وقت وسواء الأولى أو ما بعدها، إلا أنّ اختيار المسلمين وقع على غيره في الثلاثة الأولى، ونصبوه ولياً لأمرهم في الرابعة¹.

وأما التجربة السابعة: فهم الشيعة للغدير يجعل علياً -رضي الله عنه- لم يحفظ الأمانة؛ وحاشاه

موضوع الغدير.. لو كان كما يظن كثير من الشيعة: ليس تشريعاً لعلي -رضي الله عنه- و فقط، له أن يتركه -وسواء زهداً أو حرجاً أو خوفاً- كيف شاء ووقت ما شاء، بل تكليف قبل التشريف، وواجب مقدس ليس مثل علي -رضي الله عنه- الصادق، التقي، المغوار، الأمين من يفرط فيه أو يخشى البوح به وإلزام نفسه ومن استطاع من الناس بإنفاذه.

الولاية الإلهية كما يزعم القائلون بها هي امتداد بشكل ما للنبوّة بل وأعلى (هكذا!). ذلك ما يقول به -بلسان المقال والحال- متأخرو الشيعة؛ عصمة وعلم بالغيب وولاية تكوينية وتفويض بالكون من

¹ اختيار الحاكم شرطه رضى أغلب الناس أصحاب المصلحة. وأما أفضل الناس فعلم ذلك عند الله سبحانه وحده، وكم من تقي خفي له مقام الصديقين عند ربّه. وأذكر في المقام بقصة التابعي: أويس القرني.

الله ... ! "حزمة من الصلاحيات!" لم يحظ بها نبي أو رسول أو ملك
مُقَرَّب!

فكيف لعلي -رضي الله عنه- أن يصمت ولا يقول شيئاً ولا يفعل شيئاً
إزاء ما كلف به!! ثم: لِمَ لَمْ يستعمل تلك "الصلاحيات!" المزعومة
تجاه مخالفه سبحانه الله!!

وأما التجربة الثامنة: بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- قال علي:
"دعوني والتمسوا غيري"

بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- توجه الناس إلى علي -رضي الله
عنه- كي يبايعوه بالخلافة فقال -رضي الله عنه- لهم¹:

"دَعُونِي وَالتَّمَسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ. لَا
تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَنْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَعَامَتُ،
وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ
أُصِغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ. وَإِنْ تَرَكَتُمُونِي فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ
وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ
لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا) انتهى.

اعتذر للناس ولم يقبل!

¹ كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب - المكتبة العصرية- صيدا- بيروت
لبنان 1434هـ -2013م ص¹³².

هل يُعقل هذا الموقف من صدّيق كلفه الله بالخلافة والولاية كما يزعم المتأخرون؟! أفلا يعقلون؟! لقد أصاب علي -رضي الله عنه- كِبِدَ الحقيقة في قوله: " أنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا".

أرى أنّ شخصية الإمام علي -رضي الله عنه- الفذة المُتبتلة المشغولة بالعبادات وبرضا الخالق والعلم، ودون نظر للمحيط البشري يُذكر، ما يصلح لها هو مهمة المشورة والرقابة!

وأما الإمارة ففيها من الموازنات الكلية التي تحوي خليطاً من الاعتبارات، والتي قد لا ترضاها بعض النفوس مثل علي -رضي الله عنه-. وقد سبق بيان ذلك.

كما قال علي (رضي الله عنه)¹:

"والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة. ولكنكم دعوتموني إليها وحملتُموني عليها".

وهل يُعقل قول كهذا من علي -رضي الله عنه- التقى لو صحَّ ما يزعمه الشيعة في الغدير من أنّ الله سبحانه كلفه بالخلافة؟ أكان يعصي ربّه؟! حاشا وكلا!

وأما التجربة التاسعة: تولى علي -رضي الله عنه- الخلافة ولم يشتر يوماً للغدير

بعد أن تولى علي -رضي الله عنه- الخلافة وأصبح الخليفة الراشد الرابع -وكان ما كان بينه وبين معاوية رضي الله عنه- خطب وراسل

¹ كتاب نهج البلاغة ص 281.

وحاجج في الإمارة. لم يصدر منه يوماً إشارة للغدير ولا في رواية واحدة. وكانت حجّته كما وردت في نهج البلاغة¹: (إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً، كان ذلك لله رضي) انتهى.

وأما التجربة العاشرة: في النزاع مع معاوية -رضي الله عنه- لم يشر علي- رضي الله عنه- للغدير

طوال نزاعه -رضي الله عنه- مع معاوية -رضي الله عنه- وقد أصبح خليفة المسلمين، ودانت له أقطار الدولة جميعاً ما عدا أحد إمارات الشام - إمارة دمشق-.

كان أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- حينها مكيناً متمكناً ممكناً. لو كان هناك ما خفي في أمر الغدير لبيّنه -رضي الله عنه- للمسلمين. تلك أمانة دين خاتم، وليست من السياسات العابرة، بل أمانة ثقيلة: علي -رضي الله عنه- أهل لها نفياً وإثباتاً.

ومما وصى به المسلمين قبل موته²-رضي الله عنه- ما يلي: (أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا يَفْرُ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ. وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَفَاتُهُ. كَمْ اطَّرَدَتْ الْأَيَّامُ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ

¹ كتاب نهج البلاغة -سبقت الإشارة إليه ص 318.

² نهج البلاغة - ص 190.

فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ.. عِلْمٌ مَخْزُونٌ. أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَمَحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَدْيَ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَدْيَ الْمِصْنَبَاحَيْنِ. وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا حُمْلَ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ. وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ. رَبُّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ، أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ. وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ. غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ.)¹ انتهى.

علي وصى بما تقدم وقد قَرُبَ أجله -رضي الله عنه-.. وهو خليفة المسلمين وفي طريقه للقاء ربه.. أين مما تقدم ما أبدعه الناس بعده!! الوصية فقط بالكتاب والسنة ليس إلا.. ليس فيها من العترة أو الذرية أو النسل أو الإمامة أو العصمة أو الولاية شيئاً فضلاً عن الغدير!

وأما التجربة الحادية عشر: وصية الإمام علي -رضي الله عنه- وهي فصل الخطاب!! قال فيها: إِنَّ الرَسُولَ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا بَعْدَهُ

دَوَّنَ ذلك على الشبكة (يوتيوب) في تسجيلين الأستاذ/ أحمد الكاتب² المتخصص في تاريخ التشيع.. أحد التسجيلين بعنوان: "هذه وصية الإمام علي -رضي الله عنه- ولا حديث فيها عن الإمامة".

أورد الوصية الكليني في الكافي جزء 7 ص 49 وكانت عام 37 هـ أي قبل وفاته -رضي الله عنه- بثلاث سنوات. ليس فيها ذكر للإمامة أو

¹ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (165).

² وهو مفكر حر ومسلم ملتزم من معتدلي الشيعة.

الولاية وسواء له أو لنسله ولا بشكل من الإشكال. وصية بيّن فيها - رضي الله عنه- التصرف في تركته عند موته وكذا وصايا دينية وأخلاقية لأبنائه وهي المرفق رقم (1) في آخر هذا الكتاب. وأما التسجيل الثاني بعنوان: "دعوا الناس وما رضوا".

تلك الوصية كانت وهو على فراش الموت -رضي الله عنه-، ونظراً لأهميتها أورد فيما يلي نص التسجيل كاملاً تسهيلاً للقارئ كي ينظر ويتحقق:

محتوى التسجيل بصوت الأستاذ/ أحمد الكاتب:

"يتجلى إيمان الإمام علي بالشورى دستورا للمسلمين بصورة واضحة في عملية خلافة الإمام الحسن طبعاً هناك نصوص كثيرة وأنا أختصرها الآن: وإلا إنني أزهد في دنياكم هذه من عثرة عنز ما أريد سلطتكم وخلافتكم بعثرة عنز يقول لهم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً، ويتجلى إيمان الإمام علي بالشورى دستورا للمسلمين بصورة واضحة في عملية خلافة الإمام الحسن، فقال حيث دخل عليه المسلمون بعدما ضربه عبد الرحمن بن ملجم و طلبوا منه أن يستخلف ابنه الحسن فقال: لا؛ إننا دخلنا على رسول الله فقلنا استخلف فقال: لا، أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنوا إسرائيل عن هارون ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختار لكم، وسألوا علياً أن يشير عليهم بأحد فما فعل فقالوا له: إن فقدناك فلا نفقد أن نبايع الحسن فقال: لا أمركم و لا أنهاكم أنتم أبصر هذا المرتضى في الشافي الجزء

ثلاثة صفحة مائتين وخمسة وتسعين وتثبيت دلائل النبوة الجزء واحد
صفحة مائتين واثنا عشرة ، وذكر الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا
الذي توفي سنة مائتين وواحد وثمانين في كتاب مقتل الإمام أمير
المؤمنين عن عبد الرحمن ابن جندب عن أبيه قال: قلت يا أمير
المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك نبايع الحسن؟ فقال: ما أمركم ولا
أنهاكم فعدت فقلت مثلها فرد علي مثلها نفس الشيء صفحة ثلاثة
وأربعين في هذا الكتاب، وذكر الشيخ حسن ابن سليمان في مختصر
بصائر الدرجات عن سُلَيْم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً يقول
وهو بين ابنيه وبين عبد الله بن جعفر وخاصة شيعته يقول: دعوا
الناس وما رضوا لأنفسهم وألزموا أنفسكم السكوت يعني مو حتى
تستولوا على السلطة بسرعة بعدي أنا وقد قام الإمام أمير المؤمنين
عليه السلام بالوصية إلى الإمام الحسن وسائر أبنائه ولكنه لم يتحدث
عن الإمامة والخلافة في هذه الوصية وقد كانت وصيته روحية
أخلاقية وشخصية أو كما يقول الشيخ المفيد في الإرشاد في كتاب
الإرشاد أن الوصية كانت للحسن على أهله وولده وأصحابه ووقوفه
وصدقاته الأوقاف التي عنده بس مسائل شخصية يعني المفيد يقول
في الإرشاد صفحة مائة وسبعة وثمانون وهذا شيخ الإمامية الإثنا
عشرية وتلك الوصية هي كالتالي، خلينا نقرأ وصية الإمام علي الي
يقول هي ما أوصى بها رسول الله إلى؟؟؟

"يقول هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين بذلك أُمرت وأنا من المسلمين، ثم إنِّي أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي أن تتقوا الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصيام والصلاة، وإنَّ المعرة حالقة الدين فساد ذات البين ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهن عليكم الحساب، والله الله في الأيتام فلا تغبون أفواههم، ولا يضيعون بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية رسول الله، ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه يورثهم، والله الله في القرآن أن يسبقكم في العمل به غيركم، والله الله في بيت ربكم لا يخلون ما بقيتم، فإنَّه إن خلى لم تناظروا، والله الله في رمضان فإن صيامه جنة من النار لكم، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأيديكم وأموالكم وألسنتكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم فلا يُظلمنَّ بين أظهركم، والله الله في ما ملكت أيما نكم، انظروا فلا تخافوا في الله لومة لائم، يكفكم من أراكم وبعي عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيؤلى عليكم شراركم ثم يدعو خياركم

فلا يُستجاب لكم عليكم، يا بني بالتواصل والتبادل، وإياكم والتقاطع والتكاسر والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إنَّ الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ نبيكم فيكم، أستودعكم الله، أقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركات" هذا الحافظ ابن أبي بكر، أبو بكر ابن أبي الدنيا في مقتل الإمام أمير المؤمنين صفحة واحد وأربعون واثنان وأربعون تحقيق مصطفى مرتضى "مركز الدراسات والبحوث العلمية بيروت"، ولذلك لم تلعب هذه الوصية القيّمة الروحية والأخلاقية أي دور في ترشيح الإمام الحسن للخلافة؛ لأنها كانت تخلو من الإشارة إليها ولم تكن تشكل بديلاً عن نظام الشورى الذي كان أهل البيت يلتزمون به كدستور للمسلمين وكحق للمسلمين في اختيار إمامهم" انتهى.

وصية الإمام علي -رضي الله عنه- المبيّنة أعلاه فيها نفي لما يعتقدّه الشيعة في زماننا ومن ذلك:

أنَّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدًا بعده حيث ورد في الوصية:
(إنَّا دخلنا على رسول الله فقلنا استخلف فقال: لا، أخاف أن تفرّقوا
عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم
خيرًا يختار لكم).

وصية علي -رضي الله عنه- الواردة في المصادر الشيعية المعتمدة (ومن ذلك كتاب "الشافعي في الإمامة" لمؤلفه: السيد المرتضى 355هـ- 436هـ، جزء 3، ص 295)، هي فصل الخطاب! بهذه

الوصية لم يعد للانشقاق الشيعي.. للمذهب الشيعي وبكل تفرعاته ومزاعمه عبر التاريخ أساساً أيًا كان.

لم تشر الوصية من قريب أو بعيد لأي مما يدعيه متأخرو الشيعة: الإمامة في الذرية، الولاية التكوينية.. كل هذه الأراجيف والهرطقات والشركيات، لا أصل لها عند الإمام علي -رضي الله عنه-.

أين فقه الإمام علي -رضي الله عنه- ووصاياه مما يزعمه معاصرو الشيعة

ونتساءل: أليس علي -رضي الله عنه- هو إمام الأئمة وذلك عند الشيعة: وسواء في الحاضر أو التاريخ؟

لِمَ يا معشر الشيعة لا تدرسون تاريخ الإمام علي -رضي الله عنه-: ما قال وما اعتقد وما أمر وما وعظ وبكل دقة وتجرد؟ أليس هو أصل القضية والمعنى الأول بها؟

لماذا تجعلون مرجعكم في دينكم المتكلمون في القرنين الرابع والخامس الهجري: المفيد والمرتضى والطوسي؟ أليس علي -رضي الله عنه- أولى وأوثق وأصدق وأتقى من هؤلاء؟ لماذا لا تأخذون القول من أصل المسألة؟ من إمام الأئمة من التقي، النقي، الأمين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

كلام المتأخرين لآثه من الصراعات السياسية والروايات الموضوعية والنزاع على السلطة، ما الله أعلم به.

وأما علي -رضي الله عنه- فأخذ من النبع الصافي.. أخذ مباشرة من نبي الهدى.. لازمه من بداية الرسالة وحتى انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى!

المتكلمون -وهم فلاسفة- أحدثوا ما أحدثوا وممّا أحدثوا ما هو طريق للنار لما فيه من شرك! فضلاً عن رواة يعلم الله بحالهم. ثم بعد علي -رضي الله عنه- عاش السبّطان: الحسن والحسين -رضي الله عنهما-.

وأما التجربة الثانية عشر: سيرة السبطين الحسن والحسين -رضي الله عنهما-.

سيرة السبطين الحسن والحسين، أولهما عاش بعد والده حول عشرة أعوام والثاني حول عشرين عاماً.

لم نر فيما روي عنهما إشارة واحدة للغدير أو أي من ملحقات الغدير في الولاية الإلهية والعصمة والسلالة والولاية التكوينية إلخ... تلك من وضع الفلاسفة والروايات الكاذبة.. دلّونا بالله عليكم: قول واحد للحسن أو الحسين فيما تقدم من قضايا.. لا يوجد؟ لا توردوا أنفسكم النار بأقوال الرواة.. المُنجي للجميع هو قول المعصوم حقاً رسول الله ﷺ ارجعوا لسنته وخذوا الدين من القرآن ومن أقواله وكفى.

سقوط كثير من الباحثين

والعجب أنّ بعض الباحثين يذهبون - وحتى يومنا هذا- إلى نص حديث الغدير وكأنّنا في السنة الحادية عشرة للهجرة، وكأنّ فهم

الحديث محض سر لغوي، يزعم الباحث المتأخر البائس أنه هو الأقدر على فك رموزه ممن هم أهل اللغة والفصاحة حينها.. الصحابة الكرام الذين عاشوا ما حدث بظروفه وأسبابه، وكان الأئمة وعلي - رضي الله عنه- وغيره لم يروا شيئاً بعد قول الرسول ﷺ للحديث المذكور!

تجارب التاريخ التي أشرت لبعضها لماماً بينت معناه ومغزاه. ثم توالى التجارب والدروس والتي يعز إحصاؤها. حتى أن آله الزنادقة والمندسون الملاحدة -الحاقدون على الإسلام - بعض الأئمة إلى أن استوى الوضع والدس ببدعة الإمام الغائب الثاني عشر، ومنذ اثني عشر قرناً حياً يُرزَق! وينتظره الملايين فاغرو الأفواه ليعدل الحال!!

أيها الناس وأياً ما كان اعتقادكم: الوقوف عند نص الغدير -بل وأي نص أشكل- والخلاف على مدلوله اللغوي¹ و فقط .. ليس من منهج البحث العلمي في شيء! ألفاظ اللغة حمالة أوجه ولا يعطيها دلالتها إلا الواقع الذي قيلت فيه وله.

اطلبوا معنى الغدير من سبب وروده، ثم من تجارب الحياة، ممّا حدث بعد ذلك وفي السنين والقرون التالية.

¹ وحيث أن حديث الغدير ذو أهمية خاصة: حظي من الرواة أهل الأهواء بالتزويد في نصه.

اطلبوا معناه من صاحب القضية الأول الإمام علي -رضي الله عنه-، ادرسوا تاريخ الإمام بكل حزم ودقة وتجرد، وكذا تاريخ السبطين الحسن والحسين -رضي الله عنهما-.
واطلبوا أيضاً معناه من دلالات ما أحدث أدعياء نصره علي -رضي الله عنه- في الدين والدنيا بعد ذلك.

إبليس حاضر في الموضوع، ولا يقبل إلا سحب من استطاع إلى النار. والطريق المضمون لذلك هو الشرك، وقد استطاع -للأسف- إضلال زمر عبر التاريخ إلى النار وتحت عنوان مُحَبَّب: "نصرة آل البيت".

الفهم الضال لحديث الغدير رُوِّجت له -في البدء- عصابة من أعداء الإسلام.. السبئية، وفُتِنَ بذلك عوام كُثُر. وشبيهه لذلك: فتنة الإمام الثاني عشر الغائب، إلا أن فتنة الغدير أفدح وأعمق، وهي التي أفضت إلى كل ما تلاها من ضلال وتخبط، هي أم الانشقاق الشيعي كله.

الشرك العصري

عين المكر الخبيث، إبليس اللعين، يلبس السم في الدسم: نسخة مطورة من الشرك!

من نطق بالشهادتين لم يعد يناسب غوايته عبادة صنم حجر كما الجاهلية قبل الإسلام، إلا أنها ذاتها في الجوهر ولكن بتفاصيل أخرى:

الاستعانة والاستغاثة بغير الله: علي وفاطمة والحسين والأئمة
والغائب وآل البيت... لم يعد ذلك مدفوناً في الكتب أو تخفيه التقية..
بل ملء السمع والبصر في وسائل الإعلام الحديث ومن على المنابر.
قال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) (سبأ:22).

إفلاس شامل! ولا حتى مثقال ذرة!! كما أن شطر الآية: (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) يخاطبكم مباشرة.. ذلك من عجائب القرآن!
ومعناها: ليس لله معاون أو مَفَوِّضُ أَيْماً كان.. وكثير منكم يزعم أن
الله فَوَّضَ إدارة الكون للأئمة وأنَّ علياً قسيم الجنة والنار وما شابه
من شرك صريح.

أفيقوا من سباتكم قبل فوات الأوان!

وقال تعالى: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (فاطر:13،14).

كل من تَدْعُونَ من دون الله لا يملك قطميراً! ومهما سما في نظركم..
علي.. فاطمة.. الحسين.. الأئمة-آل البيت- ولا حتى أولي العزم من
الرسل.. بل التوجه بالدعاء لله وحده مباشرة.

في هذه "المؤامرة!" حاشا علي! ثم تلاه الحسن والحسين وزين العابدین -حاشاهم- هل كلهم شارك في إخفاء كتاب الله لقرون! وأضل بذلك المسلمين عن تدين صحيح!!

ألا يرى عقلاؤكم ما في هذه الأقوال من زندقة ودس على الإسلام! وافتراء على آل البيت والأئمة؟! سبحان الله.

وهل من مهمة الغائب المزعوم وقبله سلسلة الأئمة حرمان الناس من تدين صحيح لألف سنة. هل ذلك الهراء وتلك الهرطقة دين يعتقدّه عاقل، فضلاً عن مسلم؟

كما لا بدّ من النصّح: ثلاث آفات ماحقة!

أولاهما: زواج المتعة في نسخته الحاضرة!

أباح رسول الله ﷺ ذلك للمجاهدين والمرابطين على الثغور لأجل كبيرة. رخصة وحكم من أحكام الضرورة ومن أحكام الإمامة المؤقتة.

ثم ألغى ﷺ تلك الإباحة.

لم تكن تلك الإباحة يوماً من أحكام التبليغ الخالدة مع الزمن. بل لفترة وجيزة ثم حظرت.

عن علي -رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير"¹.

¹ البخاري (3979)، ومسلم (1407).

راوي الحديث علي -رضي الله عنه- إمام الأئمة عند الشيعة!
إلا أن أهل الأهواء من المتأخرين تلقفوا الأخبار وأفرطوا وأسأؤوا.
ثم الوضع في الروايات عن الأئمة وغير الأئمة! بل جعل الخرافيون
والزنادقة المُتعة من أعظم القربات! بل -بزعمهم- تعدل فريضة
الحج مرّات!!

فترى أحدهم يقطن الحضر مع زوجه أو أزواجه فوق الواحدة، ثم
يدمن الوصل بأجر من الأخريات، ولمُدّد فاضحة! سويغات أو أيام
قليلة ويزعم أن ذلك من شرع الإسلام.

ماذا بقي كي تصبح الواقعة دعارة واتخاذ أخدان؟! كما توسع مشايخ
السوء والوضّاعون في التفصيل والتمجيد! جعلوا لذلك الحكم
التاريخي المؤقت، والذي ارتبط بالضرورة، باب كبير كامل في فقه
الشيعة! فمثلاً:

بعضهم أباح المُتعة مع اليائس (مَن انقطع حيضها) من رجال عدّة
وفي يوم واحد وبالتوالي!! بل منهم مَن أباح لليائس أن تتمتع مع أكثر
من رجل في ذات الوقت!!

كما أن منهم مَن أجاز تمتع المتزوجة إذا غاب زوجها، وكذا التمتع
-أي الزواج!!- بالطفلة الرضيعة!

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِيَّهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)
(الرُّوم:21).

فأين هي المودة والرَّحمة التي جعلها الله قرينة الزواج؛ أن يقضي أحدهم وطَّره في ساعة ثم يُسَلِّمَ مَنْ كانت زوجة منذ ساعة إلى آخر؟! ما لكم كيف تحكمون؟

وقال تعالى في أولي العزم من الرسل:
(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (الأحزاب:7).

أخذ سبحانه منهم ميثاقًا غليظًا..

وقال سبحانه:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء:21).

ذكر سبحانه أن ما بين الزوجين ميثاقًا غليظًا.. ذات العبارة التي وردت في شأن أولي العزم من الرسل..

وأسأل: أين الميثاق الغليظ بل وأين أي ميثاق أيًا كان في زواج يدوم لساعات أو أيام ثم يذهب كلُّ لسبيله وبنية معقودة مسبقًا! سبحانه الله. ذكرُ الله سبحانه أهل السبب في القرآن عبرة لمن يعتبر.. احتالوا على أمر الله لهم وأفرغوه من محتواه فكان عقابهم الخسف.

فليحذر من يتلاعب بمقام الزواج: المودة والرَّحمة والميثاق الغليظ.

ثم أمرٌ آخر لا ينبغي أن ينسأه عاقل خوَّاف لله: إلى ماذا آلت إليه تلك
الفوضى الجنسية وما رافقها من وضع وكذب؟! أصبح للزنا
والدعارة شأنٌ كبير وبالذات حول مرآة الأئمة والمزارات!!
سبحان الله! ما هذه الفوضى؟! بل وهذه الوثنية في التعامل مع
الأعراض وكرامة النساء؟

الزواج وضوابطه وبناء الأسرة وتربية الأبناء هو المحور الأساس
في صلاح المجتمع بل ورشد الحياة الإنسانية كلّها، ولا مكان في
ذلك لعبث العابثين!

وأما الثانية: فهي آفة الكذب ..

نعم: في عصرنا ذلك هو الاسم الحق الصحيح لها! وأعني
"التَّقِيَّة".

جعلها الشيعة أصلاً من أصول الدين.. والوضع الروائي في ذلك لا
يحصى!

تلك أيضاً شرعها الله في الضرورة بل والضرورة القصوى
والضرورات تبيح المحظورات.

قال تعالى: ﴿...إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾ (آل عمران:28)، كأن
يكون إظهار الحق مفض لهلاك النفس أو العذاب الشديد.

"الصدق" أجلُّ القيم في دين الإسلام بعد التوحيد والكذب أول صفات
المنافقين.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18).

وقال ﷺ: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"¹.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
(التوبة:119).

إلا أن واقع الشيعة الراهن في هذا لا يسر!
لا يؤخذ من أحدٍ قول صادق وافٍ إلا ما ندر! ورغم الندية وانتفاء
الخطر والحرص وأسبابه أيًا كانت، فكيف إذا يكون الجدل والحوار
كي يصل الفرقاء إلى كلمة سواء!؟

وأما الثالثة فهي: "بهتان الخصم"

وفحوى ذلك إباحة البهتان - وهو الكذب والغيبة معًا- في حق من لا
يقول بقولهم، وأن يقال عنه ما ليس فيه كي يسقط في أعين الناس.
خُلُقٌ لا يليق بمسلم، بل لا يليق بإنسان دون دين. جعل الخرافيون
والزنادقة من تلك الخصلة الهمجية قربا يتقرب بها مقترفوها إلى الله
بزعمهم.. حاشا وكلا!

أنظر يا أخي المسلم: كيف زينَ الشيطان إلى أوليائه طريق النار! أن
جعل منهم وحوشًا دون حتى فطري الأخلاق.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ

¹ البخاري (6095).

لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ^١ وَاتَّقُوا اللَّهَ^٢ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ
(الحجرات:12).

وقال ﷺ: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه فقد بهتَه"¹.

بحث ليس على منهج العلم! ومن أزمة الفكر التي نحيها

ومن الأمثلة المعاصرة على ذلك ما كتبه وقاله حسن بن فرحان المالكي، باحث في التاريخ.. سمعت بعضاً ممّا نشر في وسائل التواصل الاجتماعي.

ما يهمني في المقام الأول هو تسجيلان أحدهما بعنوان: "رأي حسن فرحان المالكي في حديث الغدير"، والثاني بعنوان: "شبهات حول حديث الغدير" وكلا التسجيلين موجود على اليوتيوب.

حكم سطحي يعوزه العلم

في التسجيل الأول تأمل الرجل الحديث وموقعه، بل قال: إنّه زار الموقع الجغرافي، قرأ الرجل نص الحديث ووصفه أنه أصح حديث في سُنَّة النبي²، حيث رواه الآلاف من الصحابة.

والشاهد: قفز الرجل بعد ذلك مباشرة وقال ما معناه: "دلالة الحديث جلية وهي تنصيب علي -رضي الله عنه- خليفة للمسلمين بعد رسول

¹ صحيح مسلم (2589).

² الواقعة متفق عليها بين المذاهب إلا أنّ النص فيه زيادة ونقص.

الله ﷺ ثم "نصح" أهل السنّة بالرجوع والاعتراف بالحق والتصحيح،
حيث خالفوا أمر الرسول في أمرٍ جليل!

وقال: "ومن ثم "ضلت!" المسيرة من حينها في الاقتصاد والسياسة
والأفق المعرفي والدعوي وهرب المسلمون إلى الأمام في الفتوح
تغطية لما كان يعتمل في الداخل من أزمات - ومن ذلك القول بِرِدَّة
منع الزكاة!¹!"

حيث جناب الباحث حسن بن فرحان لا يرى ذلك صواباً ومن مقعده
في القرن الخامس عشر الهجري!!

ولي على ذلك ملاحظات في المحتوى والمنهج.. ليست تلك رد على
المالكي، بل بشكل عام: ردّ علمي على معدن العقل ومنهج البحث
الذي يمثله ومن أي شخص صدر:

الآلاف الذين روى الحديث، ومن ثم أكسبوه صفة التواتر، هم ذاتهم
الذين بايعوا أبا بكر -رضي الله عنه- بالخلافة وبعد ثلاثة أشهر فقط
من الغدير! وضع صاحب التسجيل ثقته في آلاف الرواة ثم نزعها
عنهم في ذات الوقت أن أنكر عليهم مبايعة أبي بكر-رضي الله
عنه-!

هل صاحب التسجيل -حسن بن فرحان- أقدر على فهم لغة العرب
ومدلولها وما ترمي إليه في مناخ أهلها حينها من أهل اللغة وعباقرة

¹ لم يكن الأمر فقط منع الزكاة بل ثلاثة من مدعي النبوة في وقت واحد!! ولكنّه
الباحث: حسن بن فرحان!

البلاغة من حضر منهم الغدير ومنهم عليّ -رضي الله عنه- وهم بالآلاف. وكذا ما عاشوه، حيث عاينوا الغدير وسمعوا ما سمعوا ووعوا ما وعوا وما أحاط بكل المناسبة؟ سبحان الله. ثم شهادة صاحب التسجيل - وبعد أربعة عشر قرناً- وبعد ما دار من وضع للروايات وملاحم ودماء، وزن تلك الشهادة لا يذكر إن قارئها بصدق السابقين الأولين وتقواهم وإخلاصهم للدين والدعوة والرسول والجهاد في سبيل الله.

مَنْ أَنْتَ نَسْبَةٌ لِمَنْ شَهِدَ

يا صاحب التسجيل:

هل نصدقك أم نصدق أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً والزبير وسعداً وأبا عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسائر السابقين الأولين مهاجرين وأنصاراً؟! وقد عايشوا الحدث وما تلاه! أين العقل إذًا، فضلاً عن المنهج؟!!

لقد درس الحديث وما قبله وما بعده، وما يعظ به الدين الخاتم في محكماته المئات من الفقهاء والعلماء والمفكرين¹ وأغلبهم لم يراه

¹ ومثال ذلك ما ورد في كتاب "شرح نهج البلاغة" لمؤلفه ابن أبي الحديد المتوفى في عام 669هـ - منشورات مكتبة المجتبي، النجف - العراق 1428هـ/2007م. ومؤلف "الشرح" شيعي معتزلي، وقد تعرض فيه للمقولات الرئيسية الثلاث في المذهب الإثني عشري، وأولهما الوصية لعلي -رضي الله عنه-.

ورد في الجزء الثاني ص²⁶¹ ما يلي:

(وأعلم أنّ الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية، فإنهم يقولون: إنّ الرسول ﷺ نص على أمير المؤمنين (عليه السلام) نصّاً صريحاً جليلاً ليس بنص يوم الغدير، ولا خبر المنزلة، ولا ما شابههما من الأخبار الواردة من طرق

دالاً على الخلافة بل تزكية من الرسول ﷺ فوق الأشهاد للإمام علي -رضي الله عنه-.

وقد تقول: هل علي -رضي الله عنه- بحاجة إلى تزكية؟
والجواب: نعم هو بحاجة لذلك.. والسبب: أذكرُ أولاً مقامَ مَنْ زكى..
إنَّه خاتم الرسل وسيدهم.

الإمام علي -رضي الله عنه- ذو شخصية فذة مبدئية، جدية، صارمة
فيما يراه حقاً. كان له حضور خاص عند مَنْ أحبه وعند مَنْ كان أقلَّ
حباً له، كان له محبيه و غابطيه ومنتقديه بل وربما حُسَّاده أيضاً، ذلك
يعلمه رسول الله، فذبَّ عنه بما قاله ﷺ في الغدير.

حقاً استحقه علي -رضي الله عنه- بسبِّقه وجهاده وعلمه وتقواه. كان
ذلك وقتها الأمثل، وقد اقترب الأجل وشارف حضور الحبيب
المصطفى في الدنيا على الختام.

العامة وغيرها، بل نص عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين، وأمر المسلمين أن يسلموا عليه
بذلك، فسلموا عليه بها، وصرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفة عليهم من بعده،
وأمرهم بالسمع والطاعة له، ولا ريب أن المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاة رسول
الله ﷺ يعلم قطعاً أنه لم يكن هذا النص، ولكن قد سبق إلى النفوس والعقول أنه قد
كان هناك تعريض وتلويح، وكناية وقول غير صريح، وحكم غير مبتوت، ولعله ﷺ
كان يصدده عن التصريح بذلك أمر يعلمه، ومصالحة يراعيها، أو وقوف مع إذن الله
تعالى في ذلك) انتهى.

كما ردَّ مؤلف "الشرح" القول بالخوارق وعلم الغيب لعلي -رضي الله عنه-، وذلك
في الجزء السابع ص 34-35.

كما ردَّ مقولة الإمام الثاني عشر الغائب في الجزء السابع ص 40.
ابن أبي الحديد شيعي معتزلي - كما أسلفت- وكتابه "شرح نهج البلاغة" يضم 20
جزءاً بمجموع يقارب أربعة آلاف صفحة ومطبوع في النجف، وهو من أشمل الكتب
في فضائل الإمام علي -رضي الله عنه- وأثاره وحياته.

أليس علي -رضي الله عنه- كافي في أمرٍ يخصه؟

ثم يا صاحب التسجيل: ألم يجدر بك أن تدرس -أقله- شهادة صاحب القضية الأول وهو الإمام علي -رضي الله عنه-.. أن تدرس تاريخه وحركته في السياسة والدعوة والجهاد.. ثلاثون عامًا قضاها حياً يُرزق بعد الغدير.. في هذه أعفقت الكثير الكثير إذا أين المنهج وأين العلم؟!!

أذكر القارئ الكريم وأذكرك بجزء من وصية الإمام علي -رضي الله عنه- وهو على فراش الموت والتي تم إيرادها كاملة آنفاً في هذا الكتاب في التجربة الحادية عشرة - من وصية الإمام علي -رضي الله عنه-:

(دخل عليه المسلمون بعدما ضربه عبد الرحمن بن ملجم وطلبوا منه أن يستخلف ابنه الحسن فقال: لا... إننا دخلنا على رسول الله فقلنا استخلف، فقال: لا.. أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً.. يختار لكم.. وسألوا علياً أن يشير عليهم بأحد، فما فعل، فقالوا له: إن فقدناك فلا نفقد أن نبايع الحسن فقال: لا أمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر) انتهى.

يراجع النص الكامل في التجربة الحادية عشر..

والشاهد تكررًا:

أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً بعده.

أَنَّ عَلِيًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَيْضًا لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا لَّا مِنْ أَبْنَائِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ.

الوصية أعلاه واردة في مصادر الشيعة كاملة بالنص الذي تَقَدَّمَ. عليٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَمَلَى وَصِيَّتَهُ عَلَى شِيعَتِهِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّوَاصِبِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ صَاحِبَ التَّسْجِيلِ!

لم يكن حينها للخوف والتَّقْيَّةُ أو المداراة التي يزعمها الشيعة مكان، وعلي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الصَّادِقُ التَّقِيُّ مُقْبِلٌ عَلَى رَبِّهِ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ بَعْدَ سَاعَاتٍ، وَهُوَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ.

ثم ذَكَرَتْ فِي تَسْجِيلِكَ "ضُغُوطًا مِنْ قَرِيشٍ"، أَدَّتْ إِلَى انْتِخَابِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-..

يَا أَخَانَا: سَقِيفَةُ بَنِي سَاعِدَةَ، هِيَ سَقِيفَةُ الْأَنْصَارِ، وَأَغْلَبَ حُضُورَهَا مِنْهُمْ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ فِيهَا قَلَّةً، ثُمَّ لَمْ نَرِ ضُغُوطًا! لَعَلَّكَ رَأَيْتَ مَا لَمْ نَرِ! ذُلُّنَا بِاللَّهِ عَلَيْكَ.. بَلْ إِنَّ كَبِيرَ قَرِيشٍ -أَبَا سَفِيَانَ- يَوْمَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ مَدَّ يَدَهُ لِعَلِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَيْ يَبَايِعَهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَنَهَرَهِ الْإِمَامُ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ..

نَعَمْ: أَغْلَبَ قَرِيشٍ كَانَتْ تَفْضُلُ لِلْخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَمَاذَا فِي هَذَا؟ عَشِيرَةُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ أَصْغَرِ عَشَائِرِ قَرِيشٍ: "بَنُو تَيْمٍ".. لَمْ تَكُنْ وَلَايَتُهُ عَنَعَةً قَبَلِيَّةً، بَلْ خِيَارُ حُرِّ اخْتَارَهُ لِفَضْلِهِ وَسَبَقَهُ

وجهاهه آلاف الصحابة الكرام الأحرار، في زمن لا يقارن بزماننا الزاخر بالنفاق والكذب وحب الظهور.

أنصحك أن ترجع إلى ما في الصفحات السابقة "عن تجربة الزمن الممتد"، وهي كثيرة يعز إحصاؤها ولكن لعلّي أوردت أهمها.. وأخرها وصية الإمام علي -رضي الله عنه- وفيها فصل الخطاب، وهي تنسف كل ما قلته في الملف نسفاً!

شهادة علي -رضي الله عنه- مُقدّمة على شهادة الآلاف من المتأخرين، ورأس الأسباب في هذا أنّه صاحب القضية، ومناط المسألة، وأصدق منهم جميعاً. والأهم من هذا: أنّها تنزع الشرعية عن مجمل المذهب الشيعي من أساسه.

وصية الإمام وردت في كتاب "الشافى في الإمامة" لمؤلفه الشريف المرتضى¹ (355 هـ - 436 هـ) والمرضى من مؤسسي مذهب

¹ يبدو للمراقب أنّ هناك تناقضاً ما:

نعم: التناقضات في مذهب الإثنى عشرية- وسواء في الروايات أو المواقف- كثيرة ويعز إحصاءها.

إلا أنّ الوارد في كتاب "الشفاء" للمرتضى له تفسير إضافي وهو: مذهب الشيعة الإثنى عشرية فيه -بلسان الحال أو المقال- تياران:

أولهما: يعتقد أنّ الرسول ﷺ أوصى لعلّي -رضي الله عنه- بالخلافة بعده، ومن ثم بنى على هذا الأساس عالمه الديني أي بنى على "النص".

وثانيهما: يعتقد أنّ الرسول ﷺ لم يوص لأحد، ولكن يقدم هذا التيار علي -رضي الله عنه- على أبي بكر -رضي الله عنه-، ويعتبر أنّه كان الأولى أن يختار المسلمون علي -رضي الله عنه- للخلافة، تفضيل سياسي محض وليس بالنص الإلهي.

التياران السالفان اختلطا في التاريخ وخرج منهم ما نراه اليوم: مذهب الإثنى عشرية المعاصر. إلا أنّ جزءاً من التيار الثاني الذي لا يعتقد بالنص استقل بذاته

الإثنى عشرية مع الشيخ المفيد (336هـ-413هـ) وهو تلميذ الأخير. لا يخفى أنّ الباحث عن الحقيقة لا يزحزحه الوجد عن قصده وسواء من فردٍ أو مؤسسة أو حكومة أو مذهب. أعلم أنّ صاحب التسجيل -حسن المالكي- صرّح بأنّه لا يعجبه مذهب السلفية المعاصر.

مذهب السلف وتجديد ابن تيمية!

شعار ذلك المذهب -وأنت الفقيه الذي نشأ عليه وبين أهله- هو اتباع القرآن والسنة الصحيحة والسلف الصالح أي أهل خير القرون والذي يليه والذي يليه.

وكوّن فرقة مستقلة هي "الزيدية"، وفي فقههم "قبول ولاية المفضول" أي قبلوا بولاية أبي بكر، رغم اعتقادهم أنّ علياً -رضي الله عنه- أفضل.. ومن فقهاءهم الكبار الشوكاني والصنعاني والوزير، وهم الأقرب إلى أهل السنة والجماعة. وأمّا المذهب الشيعي الإثنى عشري فهو من اجتهاد المتكلمين في القرن الرابع الهجري وليس له أصل في الكتاب أو السنة.

روّاد ذلك الاجتهاد هم الشيخ المفيد والشيخ المرتضى والشيخ الطوسي. حقيقة المذهب الإثنى عشري -في أصله- هو تنظيم الحزب السياسي المعارض الذي يقدم علي -رضي الله عنه- على باقي الصحابة وسواء في الدين أو شؤون الدنيا.

حاول المتكلمون نحت أساس شرعي للمذهب من النصوص الإسلامية، إلا أنّ تلك المحاولات لم تنجح، ومن ثم كان الوضع الروائي وكذا الزعم الباطل بنقص القرآن وتبديل آياته.

وأما أتباع ذلك المذهب: فهم أبناء زمانهم، وهم في الفهم درجات: فمنهم من وفقه الله للصواب، ومنهم من هم بين بين ومنهم من جأب الصواب. وهم كغيرهم من خلق الله: يأخذ منهم ويترك.

على أي حال: ذلك ليس موضوعي، ولكن لزم البيان عند لزومه.. أنت نعتت الإمام الحجة شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية بأنه ناصبي! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! ذلك العلامة المجاهد المجدد! هل هذا هو جزاء العلامة الذي تعقب البدع والخرافات والشعوذة والتوجه لغير الله، وسواء عند الشيعة أو غيرهم؟! اقرأ تاريخ الفترة التي عاش فيها وقال فيها ما قال.. بدع الشيعة والمتصوفة أصبحت جُلّ التدين!

علي -رضي الله عنه- وأهل بيته ليسوا معصومين، وما قاله شيخ الإسلام/ابن تيمية هو من الأمانة العلمية. وهو جد قليل نسبة لما تعرض له الإمام -رضي الله عنه- من مسائل وأزمات وأقضية في حياته الحافلة. عندما يتعرض الإمام علي -رضي الله عنه-، مثلاً: - لألف مسألة ويبيدي العلماء - وليكن ابن تيمية منهم- بعض الملاحظات على سبع منها. ذلك عز للإمام علي -رضي الله عنه- ما بعده عز.

قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها

كفى المرء نبلاً أن تعد معايه

وتلك لم تكن عيبًا - وحاشا علي - رضي الله عنه- بل نظرًا فكريًا في مسائل حمالةً أوجه، ولا ندري أيضًا هل أصاب فيها ابن تيمية أم أخطأ؟!.

وأما أكبر قضايا علي - رضي الله عنه- في التاريخ، والتي اختلف فيها الناس فهي:
مبايعته وخلافته.

حربه مع معاوية - رضي الله عنه-.

لقد نصر فيها ابن تيمية عليًا - رضي الله عنه-، وقال قولًا فصلًا لا لبس فيه ومن ذلك:

"فتبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون¹، وأنَّ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقاتلة له والله أعلم"².

وفي موضع آخر كتب شيخ الإسلام - رحمه الله-:

"وهذا -أيضًا- يدل على صحة إمامة علي، ووجوب طاعته، وأنَّ الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولًا - وهو/ دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ، وإن كان متأولًا أو باغ بلا تأويل. وهو أصح

¹ يعني بذلك حزب الشام.

² "مجموعة الفتاوى" لابن تيمية - المجلد الرابع ص 265- دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة- مصر.

القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين"¹.
كما كتب شيخ الإسلام²: "أما كون علي ابن أبي طالب من أهل البيت، فهذا ممًا لا خلاف فيه بين المسلمين، وهو أظهر عند المسلمين من أن يحتاج إلى دليل، بل هو أفضل أهل البيت، وأفضل بني هاشم بعد النبي ﷺ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أدار كساءه على عليّ وفاطمة، وحسن، وحسين، فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا"³.

فإذًا: أين النصب عند ابن تيمية رحمه الله؟!
وأما من -بلسان حاله- يجعل عليًا -رضي الله عنه- معصومًا، ويتبتل بذلك طالعًا نازلاً فعليه أن يُراجع عقله وإيمانه وعلمه واستيعابه لحوادث الزمان.
وأمرنا وأمره إلى الله.
كما قلت: إنَّ الإمام علي -رضي الله عنه -مات فقيرًا - على عكس أصحاب الملايين من كبار الصحابة ترك سبعين دينار عند موته:

¹ المرجع السابق ص 268.

² المرجع السابق ص 303.

³ الترمذي في المناقب (3871). وقال: "حديث حسن".

ذلك ليس صحيحًا.. اقرأ من فضلك وصية الإمام الخاصة الملحقة بهذا الكتاب¹ - ملحق رقم (1)- وهي مدونة في الكافي للكليني وفي مصادر أخرى، وكيف أمر الحسن -رضي الله عنه- بالتصرف في التركة والصدقات من بعده. هو -رضي الله عنه- أيضًا كان في ظروف ذلك الزمان من أصحاب الملايين.. أقله جرّاء نصيبه من الغنائم.

مات -رضي الله عنه- عن سبع عشرة جارية وأم ولد.. ذلك يُعطي من شأن الإمام علي -رضي الله عنه-. اجتمع فيه الثراء والزهد معًا.. "نعم المال الصالح للرجل الصالح"².

إعلاء الشأن بالفقر ليس من أدب المسلمين، بل مفهوم أعجمي نصراني أصله بدعة بُغضِ المادة عندهم، وحتى أجسادهم (مادة بزعمهم!) أهملوها في عصور تخلفهم يأكلها القدر.

زهد الفقير موضع تساؤل: هل زهد دينًا أم عجزًا لقلّة ذات اليد؟! والشاهد: أنت محب للإمام علي -رضي الله عنه-³ وأنا كذلك.. اقرأ -من فضلك- وصيته والتي سبق الإشارة إليها.

¹ نصها من تسجيل للأستاذ/ أحمد الكاتب المتخصص في تاريخ الشيعة بعنوان: "هذه وصية الإمام علي ولا حديث فيها عن الإمامة! التسجيل موجود على اليوتيوب.

² أخرجه أحمد في مسنده (17096)، والبيهقي في شعب الإيمان (1241).

³ إحذر يا حسن! الإمام علي -رضي الله عنه- الذي تحبه كان سلفيًا! إمامة القرآن والسنة وحسب. وما خفي أو غمض كان -الصحابية الكرام- أهل خير القرون يتداولون في أمره بينهم هذه هي السلفية. لم يكن في زمانهم وجود للمذاهب والفرق، تلك ظهرت بعد ذلك.

خذ من تلك الوصية ولا تقل غير ما يقول.

وأكرّر: ورد فيها:

" إنا دخلنا على رسول الله فقلنا: استخلف، فقال: لا.. أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن أن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختار لكم " انتهى.

النص صريح في أن رسول الله ﷺ - وهو في مرض الموت- لم يستخلف أحداً!

مرض الرسول ﷺ ووفاته

كما أن في الوصية عبارة ذات أهمية بالغة لا بدّ بحثها وتفصيلها ألا وهي:

" إنا دخلنا... " بصيغة الجمع من هم هؤلاء الذين دخلوا؟! عليّ - رضي الله عنه- من هؤلاء بالطبع، ولكن من كان معه من الصحابة؟ هل أبو بكر أو عمر أو كلاهما؟ -وقد لازما الرسول ﷺ وقتها- ذلك هو الراجح.

تصريح الرسول ﷺ: أنه لا يستخلف أحداً.. كان هو ما اعتمده الصحابة الكرام في خيارهم اللاحق وقد كان خيراً اختاره الله للمسلمين: أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- الحليم، الحكيم، النقي. والموجز أن رسول الله ﷺ وبنص وصية الإمام علي -رضي الله عنه- وهو علي فراش الموت لم يستخلف أحداً!! رُفعت الأعلام وجفّت الصُّحف.. أليس كذلك؟!!

اقرأ - من فضلك - هذا الفصل من أوله مرّة أخرى.

ماذا عن الحال الراهن: بدع ودماء وشق للصف المسلم

ثُمَّ: دعنا ننظر للواقع اليوم: إلى ماذا آل حال أنصار التعسف في الغدير وغير الغدير رغم أنف علي -رضي الله عنه-.. نعم: هو كذلك.. علي -رضي الله عنه- يقول قولاً يلاقي به ربّه: أن رسول الله ﷺ لم يوص لأحد بالإمامة أو الخلافة من بعده، وهم يصرون على مخالفة علي -رضي الله عنه-.. ويكفّرون تالياً الصحابة!! بل وسائر المسلمين في التاريخ والحاضر!! أليس هذا هو عين ضياع العقل والحلم. ثم يتبجحون بأنهم أنصار علي -رضي الله عنه- وأتباعه ومحبيه! وغيرهم نواصب لا دين لهم.

ثُمَّ:

الولاية لعلي -رضي الله عنه- في الدنيا والدين أمرٌ من السّماء (الولاية الإلهية!)، وهي في ذريته¹ وبالذات من الحسين إلى يوم الدين.. ولماذا الحسين -رضي الله عنه- بالذات.. لا ندري؟! الذرية معصومون، وكل منهم له ولاية تكوينية: أي فوضه الله سبحانه بإدارة الكون نيابة عنه! تعالى الله عن ذلك الشرك علواً كبيراً²، زعموا

¹ الغدير في علي -رضي الله عنه- فما شأن المتأخرين في ذلك؟!

² وأذكر لمن ألقى السمع وهو بصير بالآية: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٌ) (سبأ: 22).

إفلاس كامل: ليس لأحدٍ مثقال ذرة "الملك لله وحده" وليس لله شريك ولا معين ولا مفوض.

سلطانًا لكل من الأئمة على الشمس والقمر والنجوم والكواكب وأقدار الناس وسائر المخلوقات!¹، وهم قسماء الجنة والنار، لا يدخل الجنة أحد إلا بإذنه، وأنَّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ خُلِقَتْ لأجلهم، وأنهم أرواح قائمة بذاتها قبل آدم -عليه السلام-. وأنَّ صحابة رسول الله ارتدوا جميعًا بعد موته خلا حول عشرة، حيث لم يقرّوا بخلافة علي -رضي الله عنه- بعد رسول الله ﷺ، والتي لم يقرها علي -رضي الله عنه- وفق وصيته! وللعلم صحابة رسول الله كانوا حول 120000 (مئة وعشرين ألف).

أصبح عند هؤلاء: تسعة أعشار الدّين زيارات القبور والاستغاثة بالمقبورين فيها ولعُنَّ المسلمين، مع هجر للقرآن والصلاة!!
وأنَّ مَنْ لم يؤمن من المسلمين بإمامة أي: من الاثنى عشر فقد كفر خالدًا في النار.. راجع فتاوى المرجع الشيعي في النجف.. والذي أفتى أيضًا بتحريم الزواج بين السنّة والشيعية وحرّم إعطاء الصدقة للسنّي..

أنت يا حسن قرّظت مرجع النجف في أحد تسجيلاتك.. يبدو أنّك لم تطلع على موقفه ممّن ليس من الاثنى عشرية.
الرسول الكريم ﷺ أجاز إعطاء الصدقة لفقراء اليهود والنصارى، بل وقام بذلك بيده الشريفة.. أين هؤلاء من هذا الهدى؟!

¹ ثم هم اثني عشر إمامًا، هل ذلك التفويض المزعوم قائم لكل منهم وما زال؟ لا ندري.. إذا أربابٌ كُثُر! حسبنا الله ونعم الوكيل.

كما أنَّ عند هؤلاء: الثَّأْر لدم الحسين لا ينقضي حتى يوم الدِّين.. وهو في عنق كل "سنِّي"! باب للدِّماء لا يُغلق! يحمل كِبْرُه مشايخ الشيعة وحوزاتهم.

ثم اللطم والنواح والتطبير ومجالس العزاء. وانظر يا أخي المسلم، بل يا أخي في الإنسانية ما يُقترف الآن تحت شعار الثَّأْر للحسين -رضي الله عنه-.

كما أنَّ منهم من أَلَّه علي -رضي الله عنه- صراحةً! ولم يسلم الشجر والحجر والجبال والوحوش والأسماك من دعوى الالتزام بولاية علي! وقد صنَّف القوم تلك إلى مقر بالولاية، وغير مقر! عليه لعنة الله والناس أجمعين!! وممَّن وقعت عليه تلك "اللجنة"! العجيبة: سَمَك الجَرِّي؛ وهو سَمَكٌ موجود في نهري العراق، حرَّم المراجع أكله حيث لم يقر بولاية علي -رضي الله عنه-. سبحان الله.

سلسلة من البِدَع والخرافات والشركيات والأوهام بل والوثنيات يعز إحصاؤها.

غلو في علي -رضي الله عنه- لا يقره دين ولا علم

ثم ثلاثة الأثافي ما صدر منك يا حسن أن قلت ما معناه:

صحيح الدِّين يُؤخَذ من علي -رضي الله عنه- وحده وليس من سواه. الرسول ﷺ قبل علي -رضي الله عنه- طبعًا، ولكن هدي الرسول ﷺ حجه الناس ولم يتمسك به صحيحًا إلا علي -رضي الله عنه-.

يا حسن: أرى أنّ قولك هذا كبيرة فكرية فادحة. ذلك غلو عام وغلو ما بعده غلو في علي -رضي الله عنه-

ماذا أبقيت للغلاة؟ أنت تقول: إنك مفكر حر وتقاوم الغلو. ما قلته على النقيض.. تأمل وفكر!

ولي علي ذلك الشطط ملاحظات منها:

تقول: إنك باحث، ما هي بيّناتك على ما تقول؟ كلام مرسل لا علم فيه: نعم هو كذلك!

إنّه رسائل "إغاظة" وحسب، تصل لمن يهمله الأمر.

الكلام في الدين والتدين لا يحتمل الكيد وتصفية الحسابات وطلب الشهرة.

أنا العبد لله قرأت بعضاً من تراث علي -رضي الله عنه-، أشهره وأغزره وأقربه إلى الصحة هو كتاب "نهج البلاغة" المشهور. لم أجد فيه ما يزيد -في الخلاصة- عن الدعوة الحارة إلى اتباع القرآن والسنة والزهد في الدنيا والتزام التقوى في السر والعلانية، وكذا بيان مشروعية خلافة الإمام علي -رضي الله عنه-.

كما وجدت في الكتاب بلاغة في اللغة نادرة، وإنّ من البيان لسحراً!

إلا أنّها بلاغة مُركّبة متراكبة كثيفة تشير إلى قوة لسان العرب.. إلا

أنها ليست من السهل البين الممتنع الذي كان عليه خطاب سيد

المرسلين ﷺ.

لم أجد في نهج البلاغة زيادة عمّا وعظ به علماء المسلمين عبر القرون.

دُلْنَا بِاللَّهِ عَلَيْكَ عَمَّا وَجَدتْ وَخَفِي عَلَيْنَا! أمور لم يَعِظْ بِهَا الرّاشِدُونَ والعلماء، مثلاً: الحسن البصري أو الشافعي أو مالك أو سفيان الثوري وغيرهم المئات! قل لنا من فضلك! ولا تكتم العلم.

ثم لعلمك: في رواية الحديث: أهل السنّة رووا عن علي -رضي الله عنه- أكثر ممّا روى عنه الشيعة في كتبهم. راجع واسأل في ذلك أهل التخصص.

وقد يستغرب البعض، حيث علي -رضي الله عنه- إمام الأئمة وعميد أهل البيت إلا أنّه لا غرابة... الشعارات شيء والمحتوى الموضوعي شيء آخر.. علي -رضي الله عنه- إمامة القرآن والسنّة بحزم وعزم ودون هوادة، مع زهد في الدنيا قليل مثله.

وأما أدعياء التشيع اليوم: هجران القرآن، بل الطعن في صحته في الخُطْب فوق المنابر.. ثم جيل الوضاعين على الرسول والأئمة، لا يوجد لهم أثر يذكر في زمن علي -رضي الله عنه- المبكر، كان وقتها الصحابة الكرام والتابعون بإحسان.

الروايات الموضوعية أيام علي -رضي الله عنه- كانت نادرة، تلك كثرت وطغت في منتصف القرن الثاني وما يليه: زمن الصادق ومن جاء بعده، تلك هي غذاء البدع والكذب على رسول الله والأئمة. استمع يا أخي المسلم لخطيب منهم ساعة كاملة.. يندر أن يشير لآية

من كتاب الله أو حديث لرسول الله ﷺ بل بكاء وروايات الوضّاعين
عن الأئمة وجعفر بالذات.

علي -رضي الله عنه- إمامه محمد بن عبد الله الرسول ﷺ وثقافته القرآن
والسنة والتي بين أيدي الناس فيما مضى وفي زماننا أيضاً.

ودعني أسأل وأتساءل: هل كان عند عليّ -رضي الله عنه- علمٌ خاص
خصّه به النبي دون سائر الناس، وليس في القرآن أو السنة؟

هل هناك في الإسلام رسالتان أحدهما لعوام الناس: القرآن والسنة
والتي صدع بهما رسول الله ﷺ فوق الأشهاد، ورسالة إضافية خاصة

سرّية لعلّي لم يُطلع الرسول عليها غير عليّ -رضي الله عنه-؟
غلاة الشيعة - وهم مُغيّبون عن العلم- يقولون بهذا وأشدّ فُحشاً منه..

هل خصّك أحدٌ ببعض من رسالة عليّ -رضي الله عنه- السريّة؟!
ما السبيل العصري إلى النبع الصافي - فقه عليّ -رضي الله عنه-،

-المزعم- الذي لم يعظ به إلا هو؟

هل مراجع الشيعة اليوم أصحاب العمائم السوداء - هم كاتموا سر
عليّ -رضي الله عنه- وفقهه الخاص في الدين؟ أم لا علاقة لهم بذلك؟

أصحاب العمائم السوداء في دنيا اليوم بالآلاف: وهم كما يقولون:
ورثة مدرسة آل البيت - مدرسة عليّ بن أبي طالب- كما يزعمون.

هل هؤلاء هم الطريق إلى فقه الإمام عليّ -رضي الله عنه- الفريد
دون سائر الفقه ودون سائر الفهم كما تقول؟! إن كان هذا فهمك فهنيئاً

لك. وأما نحن "العوام" فالقرآن والسنة فقط.

يا حسن: نحن أبناء اليوم وأعمارنا قصيرة وهي وعاء أعمالنا التي
لعلها - بإذن الله - تُنجينا من النار...

أين فقه الإمام علي - رضي الله عنه - المصون الفريد خلا ما في
القرآن والسنة؟!

ليس لدينا كثير وقت نبدده في تعقب الروايات، والتي أنت مغرم بها،
وقد ووجهت بما ينفيتها عشرات المرّات، تلك صيغة احترفها المئات
قبلك.. أنت في الوقت الضائع بل بعد المباراة!

قال ﷺ: سلوا الله علماً نافعاً، وتعوّذوا بالله من علم لا ينفع"1.

رُوي عن الإمام الشافعي أنّه قال: "ليس العلم بكثرة الرواية ولكن
العلم ما نفع". صدق الإمام الشافعي - رحمه الله -.

ما نراه ونسمعه من بعض العمائم السوداء وأتباعهم في زماننا مأساة
كاملة الأوصاف بل ملهاة ومهزلة! نعم هو كذلك.

ثم: علي - رضي الله عنه - توفاه الله عام 40هـ، ذلك الوقت المبكر..،

علي - رضي الله عنه - عاصر كل الصحابة وكذا الخلفاء الراشدين

قبله.. فكيف لوّث هدي النبي ونجا هديه هو فقط؟ لماذا؟ رغم ادعاء

الشيعة أنّه كان مستضعفاً أيام الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه.

تناقض أينما اتجهت! أسعفنا أيّها الباحث، وبين لنا!

1 أخرجه ابن ماجة في الدعاء، باب: ما تعوّد منه رسول الله ﷺ (3833)، وأحمد
في مسنده (25312).

ثم بعد وفاة الإمام علي -رضي الله عنه- عام 40 هـ تولى نظام آخر ليس بينه وبين شيعة علي -رضي الله عنه- ودُّ، فكيف نجا تراث علي -رضي الله عنه- من أن يُشَوَّه؟! ثم أخيراً وبعد أربعة عشر قرناً وصلك نقيّاً، وتنصح الناس الرجوع إليه، ودون ما وعظ به سائر الصالحين.

من الذي حفظ ذلك التراث الطاهر طوال تلك "العهود الدنسة" عندك؟! علماؤها وصلأحُّها وزُهداها! هل حفظه شيعة اليوم؟ وقد سبق بيان حالهم؟ هذا لا يستقيم!

كما أن "نهج البلاغة": الأثر الأشهر في تراث الإمام علي -رضي الله عنه- كتبه الشريف الرضا (359هـ - 406هـ) في القرن الرابع الهجري، أي في العصر العباسي.

كيف نجا ذلك التراث القيم من الحجب والتشويه كما حصل - وفق زعمك- مع هدي النبي الكريم؟ رغم أنه في بؤرة الخلاف السياسي حينها. سبحان الله..

كما قلت ما معناه في أحد تسجيلاتك: "إنَّ أهل بيت رسول الله ﷺ هم الأعلم برسالته، وهم الأقرب إليه في هديه وعلمه، ذلك لا يصح ولا يليق أن يقال في رسالة الرّحمة للعالمين. ذلك قدحٌ في الرسول ﷺ أنت لم تقصده.

دعني أبين: رسول الله ﷺ كانت مدرسته المسجد، ودعوته فوق
الأشهاد.. ثم يذهب لحجرات أزواجه.. ويتناقل كلامه الصحابة فيما
بينهم، الشاهد يبلغ الغائب.. هكذا كانت.

الكلام الذي قلته -يا أخانا حسن- لا يستقيم وسواء زمن الرسالة، أو
في التاريخ، وهو أشد غرابة في الحاضر.. الرسالة كاملة ورحمة
للعالمين لبني آدم جميعاً.

وهب أننا أخذنا بما تقول، وعزّمنا العمل بذلك في زماننا.. من أين
نأخذ العلم الآن؟ .. من الكتب؟ .. من نهج البلاغة؟ .. ونعم الكتاب..
إلا أنه ليس فيه إلا الأمر بالكتاب والسنة، وأما ملف الخلافة فقد
انطوى في غياهب التاريخ، ذهب الظالم والمظلوم، وهم جميعاً في
رحاب ربّ رحيم، هو العدل، هو الحق سبحانه.

ثم من ورث مدرسة آل البيت التي تنصح بها:

فقه جعفر الصادق.. مذهب من المذاهب قريب من مذاهب السنة
الأربعة إلا قليلاً، ويدرس في الأزهر الشريف في مصر، ثم بعد ذلك
ورث المدرسة بشكل رئيس الاثنى عشرية:

كتب الكليني (الكافي) والصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي ثم
المجلسي! هل تراها تعدل المائل؟! اقرأها من فضلك وقل لنا ما
تراه! سبحان الله!

وأما أعلام الزيدية في التاريخ القريب: الشوكاني والوزير وأنعم بهم،

آثارهم تدرّس في الجامعات السعودية!

ثم من هم أهل العلم المعاصرين في المدرسة الفريدة - مدرسة علي رضي الله عنه- التي تزعمها، وفيها علم النبع النبوي الصافي، اختر من أصحاب العمائم السوداء من تراه الأفضل، ثم نرى! هذه هي بضاعة زماننا! تلك التساؤلات من تداعيات زعمك عند مدّه وتفكيك محتواه!!

ثم أليس نبع النبوة الصافي هو القرآن والسنة؟! وذلك لسائر الصحابة -رضوان الله عليهم-، ومنهم علي -رضي الله عنه-، وكذلك لسائر الناس أجمعين، وحتى يوم الدين؟ أين ذهب الفهم الخالص لله سبحانه والمبرأ من تقديس الأشخاص أيًا كانوا؟!

ورد في "نهج البلاغة" من أقوال علي -رضي الله عنه-:

(وسيهلك في صنفان: مُحِبٌّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومُبْغِضٌ مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حَالاً النمط الأوسط فالزموه وألزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة)، فمن هم يا ترى المحبون المفرطون في زماننا؟ ومن هم القلّة المبغضون المفرطون أيضاً؟ ومن هم السواد الأعظم؟!

أسئلة لا بدّ أن يجيب عليها كل عدلٍ راجٍ لقاء ربّه أبيض الوجه. لقد قلبت وقلب الناس في "نهج البلاغة" وغيره أن يروا شيئاً مما قيل -زعمًا- في العترة والكساء والثقلين والعصمة فلم نجد شيئاً قاله علي -رضي الله عنه- في ذلك. ولا حتى محض إشارة من بعيد! ..

1 المرجع السابق ص 175.

وأما ما تواتر عن علي -رضي الله عنه- فهو الوصية بالقرآن والسنة ليس إلا، ومن ذلك:

"عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين والنور المبين. والشفاء النافع، والري النافع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتخلق. لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب. ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع. من قال به صدق ومن عمل به سبق"¹.

قضية "كسر الضلع"

تلك فرية دسّها الوضّاعون في الموروث الروائي الشيعي. وذلك لهدف دنيء، ألا وهو تأجيج العواطف وبناء العداوات بين المسلمين، كي يتماسك المذهب وكي يستمر الانشقاق.

قصة "كسر الضلع" قدحٌ جليٌّ في علي -رضي الله عنه- قبل غيره! كيف لذلك الفارس الغيور الكريم الهمام أن يرضى بذلك أمام عينيه... أحبًا في الحياة؟! أن لا يموت دفاعًا عن عرضه؟! أن لا يموت دفاعًا عن سيّدة نساء العالمين؟! حاشا عليًا -رضي الله عنه- أن يكون كذلك.. بل ذلك قول الوضّاعين الذين بدلوا الدين! ثم علي -رضي الله عنه- الإمام الصالح الصادق زوّج ابنته من عمر -رضي الله عنه-، زوّج بنت فاطمة -رضي الله عنه- من عمر -رضي الله عنه-، كيف يقبل علي -رضي الله عنه- أن يزوج ابنته من قاتل أمها لو صحّ ما يزعمون؟! أفلا تعقلون؟!

¹ نهج البلاغة - سبق الإشارة إليه ص200.

إلى متى يلاحق الافتراء المسلمين ويُفسد عليهم دينهم.
تقع المسؤولية في دحر ذلك التزوير للتاريخ على مشائخ الشيعة
المنصفين في زماننا. وقد ردّها - والحمد لله - بعضاً منهم.

استشهاد الحسين - رضي الله عنه -

لعن الله مَنْ ساهم بقتل الحسين - رضي الله عنه - ولو بشق كلمة..
جريمة نكراء لا تكفي مفردات اللغة وصف بشاعتها.. كبرى مصائب
التاريخ الإسلامي.. ثم ماذا بيد المعاصرين أن يفعلوا؟ غير الاستنكار
والدعاء؟

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: 156).

الحسين - رضي الله عنه - ذهب شهيداً في علبين.. حيٌّ يُرزق عند
ربِّ كريم، ولعلّه يسخر ممن يقتلون بعضهم أو يلطمون الخدود
ويشقون الجيوب على هامش الفجيرة.

ثم هل من التدين أن نبكيه أبد الدهر؟ ذلك ليس من الدين ولا التدين.
ولو كان ذلك هو الصواب لكان الأولى به هو جدّه رسول الله ﷺ.

ثم دم الحسين - رضي الله عنه - على مَنْ؟
بالطبع عند مَنْ قتله أو أمر بقتله أو عاون على ذلك.. ثم مَنْ هم
هؤلاء؟ منهم مَنْ عرف يقيناً وتم الانتقام منه بثورة المختار الثقفي،
ومنهم مَنْ لم يعرف وحسابه على الله سبحانه.

ولكن المضحك المبكي -وشر البلية ما يضحك - أن أجمع المسلمون بالطبع على استنكار الجريمة واختلفوا على قضية التحقيق في الواقعة؛ أي في المسألة القضائية اللاحقة..

في التاريخ: معلوم أن مَنْ قام بذلك جنود من أهل الكوفة ومنهم من شيعة الإمام علي -رضي الله عنه- وأيضًا ممن راسل الحسين -رضي الله عنه- قبل قدومه، بل وبخ هؤلاء الحسين -رضي الله عنه- نفسه فُبئِل معركة الطف التي استشهد فيها -رضي الله عنه-، كتب في ذلك عدولٌ من الشيعة مرارًا: أن مَنْ قتل الحسين -رضي الله عنه- هم شيعة أبيه وشيعته.

إلا أن دواعي الانشقاق واللدد في الخصومة الذي يُغذيه أعداء الإسلام رأت أن توجه أصابع الاتهام إلى أهل السنّة قاطبة، ونسي هؤلاء وغيرهم كثير من الغافلين أن في ذلك الوقت المبكر لم يكن لهذه المصطلحات "سنّة وشيعة" وجود وبالذات بالمفهوم المذهبي الطائفي المعاصر.

ثم ماذا بعد؟! مَنْ ظَلِمَ وَمَنْ ظَلَمَ، كلهم ذهبوا عند عدلٍ، حقٍّ، عزيزٍ مقتدر.

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾ (الزمر:36).

6.15 وعودٌ إلى الثأر لدم الحسين -رضي الله عنه- تلك القضية التي يردّها الشيعة حتى يومنا هذا- أمر جدُّ خطير وله شجون!
والسؤال المحوري هنا هو مَنْ قتل الحسين -رضي الله عنه-؟

ما تجمع عليه المراجع التاريخية الشيعية والسنية أنّ من نفذ واقعة القتل مباشرة هما شِمر بن ذي الجوشن، وسان بن أنس النخعي، وكان قائد جيش الكوفة الذي قاتل الحسين -رضي الله عنه- وقتله والي الكوفة عبيد الله بن زياد، أنزل الله لعناته على الثلاثة إلى يوم الدين.

كما أنّ جيش الكوفة الذي قتل الحسين -رضي الله عنه- كان من أهلها وما حولها وليس فيه شامي أو مصري أو مغربي أو سوداني أو خُرساني أو حجازي. وكان عماد ذلك الجيش من الذين أرسلوا الرسائل بالأمس للحسين -رضي الله عنه- وباعوه!

فمن هؤلاء؟

شِمر بن ذي الجوشن وعُبَيْدُ الله بن زياد كانا من شيعة علي -رضي الله عنه- في صفين! وأمّا أنس النخعي والد سنان فكان أيضًا من شيعة علي -رضي الله عنه- في صفين!

ولقد ورد في "أعيان الشيعة" لمحسن الأمين: "أنّ قَتَلَةَ الحسين -رضي الله عنه- هم شيعته"، ورد في الملحمة الحسينية لمرتضى المطهري: "والعجب أنّ الحسين -رضي الله عنه- قُتِلَ على يد مسلمين بل على يد شيعته!" ثم غداة الكارثة الكبرى التي اقترفها العَدْرَةُ المنافقون كَوَّنوا جيشًا أسَمَوْه "جيش التوّابين" للثأر للحسين¹

¹ من محاضرة بعنوان من قتل الحسين -رضي الله عنه-؟ للسيد/ حسن الحسيني رئيس جمعية الآل والأصحاب- البحرين-.

-رضي الله عنه-!! أي: أنهم خانوا وغدروا وقتلوا وبقوا على تشيعهم
للحسين -رضي الله عنه-! تلك والله من مآسي وعجائب الزمان
الكبرى الخالدة!

وحقاً أن تسمى الغدرة والخيانة الأكبر وسيدة النفاق في تاريخ
المسلمين إلى يوم الدين، والأعجب أن ورثة هؤلاء يطالبون بدم
الحسين -رضي الله عنه- من أهل السنّة!

ولكن دع ساعة ما تقدم من الإجماع على أن الشيعة هم من قتل
الحسين -رضي الله عنه-، فإن كان الثأر للحسين -رضي الله عنه-
ممن قتله من جيش يزيد، فقد تم ذلك عام (67 هـ) وذلك على يد
المختار الثقفي.

وأما إن كان الثأر للحسين -رضي الله عنه- هو من بني أمية عشيرة
يزيد وحكام ذلك الزمان، فقد تم ذلك طويلاً وعرضاً عام 132هـ)،
وذلك على يد الفرع العباسي من الهاشميين (السنّة!)¹، حيث تمت
إبادة الأمويين وأنسابهم ومن والاهم عن آخرهم وحتى الأجنّة في
البطون! وكان ذلك أثناء الثورة العباسية التي أفضت إلى سقوط حكم
بني أمية وقيام الدولة العباسية.

¹ من ثأر للحسين -رضي الله عنه- من الأمويين هم العباسيون السنّة. وفي ذلك
دليل واضح أن الحال كان محض سياسة وصراع على الحكم: استبداد تقابله
معارضة وليس له علاقة بما يزعم الشيعة.

مشهد من الماضي لا يشرف، إذ كان قتلاً للصغار والكبار على الهوية! ودون تمييز، وفي مخالفة لشرع الإسلام، والشاهد ما حصل حينها من ثأر زاد عن الحد بمراحل.

وأما إن كان الثأر للحسين -رضي الله عنه- هو ممّن لا يؤمنون "بنظرية الإمامة الإلهية المعصومة"¹، فذلك أمر جلل، وعدوان سافر خطير على حق المسلمين جميعاً بل والبشر كافة في حرية الاعتقاد، ولكن لسوء الطالع أنّ على ذلك العدوان السافر علامات، وتسندة وقائع ومن ذلك ما نراه من فوضى الغوغاء الطائفيين وإجرامهم في نزاعات المشرق العربي الآن حيث تكرر ذبح العزّل صغاراً وكباراً لا لشيء إلا لأنّهم من أهل السنّة!

فما قول العدول أهل الأحلام والعقول والنهي من مراجع الشيعة وعلمائهم؟! الذين يؤمنون بما أنزل الله: حيث قال سبحانه: ﴿... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (المائدة: 32)، وقال تعالى: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ (الأنعام: 164).

ألستم أتباع علي -رضي الله عنه- إمام الأئمة؟ لقد مات -رضي الله عنه- غيلةً، فيماذا أوصى ابنه الحسن -رضي الله عنه- وهو يحتضر؟ لقد روي أن مِنْ وصيته ما معناه: "يا بني إن متُّ بما أصابني فاقتل الرجل بي ولا تمثل ولا تزدد، وإن عشت فأنا وشأني به" وذلك عين

¹ بل تلك لم يؤمن بها الحسين -رضي الله عنه- ولم يعلم بها أصلاً!

ما فعله بنوه من بعده، لا كرامة ولا رضا للحسين -رضي الله عنه- أن يُقتل أبرياء المسلمين بعضهم بعضًا باسمه بعد أربعة عشر قرناً من استشهاد، والمسؤولية الكبرى في هذا تقع على علماء الشيعة. والله بصيرٌ بالعباد.

نرى -للأسف- في زماننا من جعل فاجعة الحسين -رضي الله عنه- دينًا كامل الأوصاف. مقام تُشدّ له الرحال بالملايين وطواف وأورد واستغاثة وعزاء في طول الأرض وعرضها ومواكب بأعاجيب لا تحصي! وكل موسم به جديد!

سألت وسأل الآلاف غيري عقلاء الشيعة عن مغزى ذلك ومعناه فقيل: كي يذكر الناس نهضة الحسين -رضي الله عنه- في مواجهة الظلم. عجبًا! ولماذا لا يذكر ذلك كل في موقعه وبلده دون عناء السفر للقبر! ولم الطواف (والولولة) والتطبير وتعذيب النفس.

الحسين -رضي الله عنه- حيٌّ يُرزق وفي نعيمٍ عظيم وليس القبر الذي في كربلاء. قال ﷺ: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة" (البخاري)، كما ورد بذات النص في صحيح مسلم بقول: "فأكرم" (الحديث) وقول: "فأغفر" (الحديث).

في تاريخ الإنسانية قُتل أنبياء كُثر بظلم أقوامهم وذكر ذلك القرآن بالإجمال. ثم مآل الجميع إلى الله يوم يُنصب الميزان.

لمَ التفجّع إلى هذا الحد على من استشهد في سبيل الله! ذلك ليس من صفات المؤمنين علماء الشيعة عليهم واجب التوعية وإنقاذ الملايين

من الشرك أو ما يقاربه! ما يراه الناس ويسمعه في كثير منه ليس بينه وبين رسالة محمد ﷺ نسب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (الممتحنة:13).

لِمَ التفجّع المفرط ذلك يبس من أصحاب القبور أو قريب من ذلك. وأما فيما نحن بصدده من أوهام عند بعض الشيعة:

عصمة الأئمة.. أين هي؟! وكيف نوظفها في تيهنا الذي نحياه؟! وكذا علمهم بالغيب.. كيف وأين؟ وماذا جلب ذلك لأتباع المذهب أو المسلمين؟! وكذا غيبة الإمام الثاني عشر.. أما أن لهذا الوهم أن ينجلي؟!

وكذا الولاية التكوينية والتفويض للأئمة... شركيات وثنية، بل أقبح الشرك! وضعها الشيطان على أسنة البعض ليردوا النار خالدين فيها! أين تلك؟ وما جدواها؟ غير الخلود في النار! أين الدليل عليها من سمع أو عقل؟! ماذا بقي من الشرك إذاً للمشركين حصراً! وماذا فعل الأئمة المفوضون المزعومون في الحال المزري الذي يتلبس أتباع المذهب عبر التاريخ وفي الحاضر؟! بل في حال المسلمين جميعاً؟ مشركو التاريخ عبدوا الأصنام وقالوا: ﴿...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾ (الزمر:3).

لم يشركوا الأصنام في الأمر، بل اتخذوهم محض واسطة! إلا أن أتباع الولاية التكوينية والتفويض قالوا: والله يستحي اللسان أن ينطق به والقلم أن يكتبه! قالوا: أن الله جلَّ وعلا "استقال!" من إدارة الكون وفوض ذلك للأئمة يديرونه! سبحان الله الحي القيوم مالك الملك عمَّا يشركون! ونذكِّر أن الأئمة عند هؤلاء اثني عشر، فكيف يديرون معًا؟ مجلس إدارة منهم جميعًا وبالشورى أم ماذا؟ أم كلُّ منهم له قطاع من الكون يتصرف فيه كيف شاء؟ ماذا بقي من وثنيات الغابرين كي يفتح لها الباب من الزنادقة وتدخل المجتمعات المسلمة؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.

وكذا عشرات الآلاف من الروايات المحشوة في الكتب.. بان أنها لا أصل لها وتخالف الوحي والعقل ووقائع التاريخ ومصالح الناس وينقض بعضها بعضًا.

وكذا فلسفات الإسماعيلية وإمامتها.. ما الذي آلت إليه؟! ... وأين هي؟! ذلك ليس من قبيل الصدفة! بل لاقتناده تلك الوضعيات والمقولات والفلسفات لقسط من الحقيقة يقيها التآكل والاندثار مع الأيام. إنَّها "تجربة الزمن الممتد" طويلة الأمد وبالتفاعل مع الإنسان وتطور العقل والعلم وجدل الواقع عبر السنين والقرون.

يشتكى مشايخ الشيعة ومتفقوهم من التناقض في الروايات المدونة في كتبهم.

فمثلاً: تجد في الكافي الشيء ونقيضه.

ما وراء ذلك بيّن لمن أراد الإنصاف والصدق! إنه الوضع الذي
اكتنف معظم المرويات وبذا وصل المذهب إلى ما وصل إليه!
اشتكى الإمام الصادق -رضي الله عنه- من الوضّاعين الذين كذبوا
عليه، وكذا على الأئمة قبله وبعده.
ومن ذلك:

كتب د. محمد الصواف¹ ناقلاً عن مصادر الشيعة أنّ الإمام جعفر
الصادق رحمه الله قال: ((إنّ المغيرة كذب على أبي، وإن قوماً كذبوا
عليّ، ما لهم أذاقهم الله حرّ الحديد، فو الله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله،
واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع إلا بقدرته، إن رحمتنا فبرحمته،
وإن عذبنا فبذنوبنا، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن
الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده
نواصينا)) انتهى.

وقال أيضاً: ((كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ
كتب أصحابه، وكان أصحابه المتسترون بأصحاب أبي فيدفعونها
إلى المغيرة، فكان يدسّ فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم
يدفعها إلى أصحابه، فيأمرهم أن يبتئوها في الشيعة، فكل ما كان في
كتب أبي من الغلو فذاك ممّا دسّه المغيرة بن سعيد في كتبهم)) انتهى.

¹ د. محمد شريف عدنان الصواف: "بين السنّة والشيعة" بيت الحكمة - دمشق -
الطبعة الأولى (2006م) (ص 143).

وكان من دعاء الإمام علي الرضا رحمه الله: ((اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نعلمه من أنفسنا، اللهم لك الخلق، ومنك الأمر، وإيّاك نستعين، اللهم أنت خالقنا، وخالق آبائنا الأولين، وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية إلا بك، اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك، لا نملك لأنفسنا ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يزعمون))¹ انتهى.

على أي حال: ما هو الدافع للوضع الكثيف الذي حوّته الكتب؟
أرى أنّ ذلك لسببين:

أولهما: تسخير الدّين في الصراع السياسي.

وثانيهما: عداء البعض الباطن للدّين والتدّين ومن ثم العمل على إفساده من الداخل.

وأما طبيعة الوضع فأشدّه ضرراً كان في العقائد ذلك هو ما صنع خصوصيات المذهب الشيعي في قراءته عند الغلاة من أتباعه: الولاية الإلهية .. والعصمة .. والولاية التكوينية والتفويض.. تلك الهرطقات الغيبية هي مقتل الغلو الشيعي.

قال تعالى: **(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (الأنبياء: 18)**. وقال

¹ المرجع السابق ص 143.

تعالى: (...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: 82).

ولأنَّ الوضع من عند غير الله .. تجد فيه التناقض والاختلاف الكثير..
ثم حيرة الأتباع اتجاه ما صنعه الوضّاعون في التديّن.. وكذا ما
أفضى إليه هجر القرآن وعدم الرجوع إليه في تقييم الروايات والحكم
عليها.

والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
وفضلاً عمّا تقدم، لم نر أيّاً من الأئمة اللاحقين لعليّ وبنيه -رضي الله عنهم- من قال: إنّه معصوم مُنصَّبٌ من السَّماء بل تلك أقوال لبعض من كان حولهم ومن وراء ظهورهم، ولعمري لو كان ما يقوله شيعة اليوم في الولاية الإلهية والعصمة حقاً لكان عليّ -رضي الله عنه- وسبطا النبي ﷺ - وحاشاهم ذلك - الأشد نفاقاً في التاريخ والأفدح غدراً بأمة الإسلام منذ وفاة الرسول ﷺ وإلى يوم الدين.
وأما عن اقتراقات المستبدين عبر التاريخ، فحدّث ولا حرج! لقد أصابت المسلمين جميعاً ومن كل الطوائف، وسواء في دمائهم أو أموالهم أو أمنهم أو أعمالهم أو حركتهم أو في دينهم أو في قادم ذراريهم أو في رفعة أمتهم وقوتها.
وليس ما تعيشه أمة المسلمين اليوم، من ضعف وهوان، إلا الحصاد المرّ لتراكمات النقص الذي مُنيت به الأمة جرّاء الاستبداد عبر التاريخ.

وقسّطُ العلويين والهاشميين من تلك الاعترافات كان كثيرًا، وذلك نسبة لعددهم من المسلمين.

ويفسر ذلك أنهم كانوا الأكثر خروجًا على الحكّام¹، وكانوا في طليعة كثير من الحركات المُقاوِمة للاستنثار والظلم، كانوا في كثير من تلك هم الرئاسات وعامة المسلمين جنودها. ومن ثم شرف الله الكثير من رؤوسهم عبر التاريخ بالشهادة في سبيل الحق ومعهم الآلاف المؤلفة من عامة المسلمين، وذلك تاج الوجهاء في الدنيا والآخرة. وليس للمرء السوي إلا أن يعتز به، لا أن يجعله قصيدًا للتفجع واللطم!

لن يعدم الباحث في كتب التاريخ أن يجد قلة جدّ قليلة من الفقهاء أو المفكرين، ممن أخطأوا أو كانوا ضالعين مع ظلّام الحكام، حيث جلبوا أَعذارًا لتلك الجرائم. والعاقل يفهم أن ذلك من حال الدنيا الناقصة وجدلها المرّ، وما يصاحب علاقة الحاكم بمن حوله وعامة الناس من تعقيدات وإرهاصات ومغريات ورعب وترويع! كما أنّ بعض العلماء العُدول، فنّد الاستبداد بسبعين حجّة، إلا أنّه - التزام بمنهج العلم والعدل - ذكر حجّة واحدة أو نحو ذلك للمستبد أو من حوله، وحينها لم يرّ المؤلّيون وغير العُدول إلا الأخير، ونشروها بين الناس عداوة وكيدًا.

¹ وأنا - العبد لله - لا أرى الخروج على الحاكم بحق الذرية أو العترة أو الهاشمية أو القرشية أو نحو ذلك من الصواب. بل ينبغي أن يكون ذلك ولاءً للحق وما ينفع المسلمين.

كما لا يعدم المدقق -وحتى في وقتنا الحاضر- أن يرى قلةً جدُّ قليلةً
تعتذر للمستبدين في التاريخ، وذلك بحجة استقرار المجتمع ودرء
الفتن وتجنيب الأمة التمزق، رغم أن تلك الاعتبارات لها وزنها
الكبير، إن صحَّ التقييم وحسَّنت النوايا.

وأما التيار الغالب الأساس عند المسلمين عامة وعند أهل السنة
خاصة فهو موالاته علي -رضي الله عنه- وحزبه، ومن ورث ذلك
الحزب من بعده، وذلك في السياسة، يصاحب ذلك رفض قاطع
للابتداع في الدين الذي جاء به القائلون بنظرية الإمامة الإلهية
وعصمة الأئمة وما نتج عن ذلك وتفرع منه من روايات أُصِقت
بالدين وهي ليست منه.

وسائل الإعلام الحديث أظهرت لخاصة الناس وعامتهم كثيرًا ممَّا
في الكتب. كان الأمل قبل ذلك أن تلك الأراجيف تراث بائد، أملاه
الصراع السياسي والدموي، ولم يعد لها وجود يذكر في ضمائر
الأتباع.

ولكن - للأسف- بان أن ذلك الأمل لم يكن مؤسسًا.
تلك الهرطقات تلقى في الجموع وعلى المنابر ليلاً ونهارًا. تلك لا
علاقة لها بالدين الذي أنزل على محمد ﷺ...

ذلك دين تم إنشاؤه في قرونٍ تلت. والحال كذلك: إن كان ولا بد فليكن
دينًا آخر!

الله سبحانه وتعالى فرض على بني آدم التعايش وحفظ الأنفس
والدماء والأموال رغم اختلاف العقائد.

الدين ليس الرابطة الوحيدة بين البشر.. هناك: الإنسانية - الفطرة
الأولى- والجيرة والمصالح والوطن والقومية. فلنتعايش بناءً على
تلك الأسس الأخرى أو بعضها، ولكلِّ دينه وما يعتقد. (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ
دِينِ) (الكافرون:6)، ذلك أصدق من النزاع على مسمى واحد: وهو
الإسلام.. وقول الطرفين في ذلك على طرفي نقيض!

انشقاق كهذا ليس جديدًا على أتباع الإسلام. فقد انشق عبر القرون:
الدروز والباطنية الإسماعيلية وغيرهم.

فرع الإخباريين من مذهب الإثنى عشرية ذهبوا بعيدًا، هم الأقرب
لانشقاق الكامل! هؤلاء -أو فلنقل علماءهم- لا يصححون ولا
يُضَعِّقون. يرون أن كل ما ورد في كتب المذهب يؤخذ به ولا غبار
عليه. تلك الكتب تحوي ما لا يُحصى من البدع والشركيات البيّنة.
ولينظر من شاء في كتاب "بحار الأنوار" للمجلسي.

ومن نافلة القول: أن الخميني مرشد إيران السابق -على سبيل المثال-
إخباري في الدين.

وفي كتابه "الدولة الإسلامية" يقول:

"لأنمتنا منزلة لا يبلغها نبيُّ مرسلٍ أو ملكٌ مقربٌ!!!" وهل هذا قول
يليق بمسلمٍ مؤخِّد؟! فضلاً عن مرشد لعشرات الملايين؟!

ومن وُعَاظهم المشهورين في العراق شيخ يقال: له "المهاجر"
سمعناه مرارًا يردد:

أن تقول: "يا الله " شرك!، ولكن أن تقول: "يا الله يا علي" توحيد!
وعليُّ هنا هو عليُّ ابن أبي طالب -رضي الله عنه-. وهكذا المئات
من الاستفزازات العقائدية، والشرك الصريح!

وممَّا يستحق الذكر في هذا المقام حال المرجع الشيعي المشهور:
كمال الحيدري - أسأل الله له التثبيت والهداية للحق-، له عشرات
المنشورات في وسائل التواصل الاجتماعي، كان قبل سنوات من
أشد الملتزمين بكبرى البدع في المذهب: الولاية التكوينية،
والعصمة، والولاية الإلهية لعلي، والاثني عشرية والموقف من
الصحابة¹ .. ثم تعقب الروايات من مصادر الشيعة بالطبع.. ووجد
التناقض والعجب والوضع الروائي بيّنًا.. فتغيّرت لهجته وبدأ يُراجع
ما قاله في شبابه.. قال غير ذلك.

تراجع عن معظم ما قاله. فخافت تطوره الفكري الإصلاحية أوساط
الحوزة في قُم وجرّاء ذلك وضعته السلطات الإيرانية تحت الإقامة
الجبرية، وحدّت من نشاطه وما ينشره..

وحديثًا قال ما فحواه:

¹ تلك الموبقات العقديّة والفكرية هي المحور الذي يُلَقَّن لطلبة الحوزات الشيعية!

"صَمْتُ علي -رضي الله عنه- خمسة وعشرين عامًا ذلك لا يمكن تفسيره بالتَّقِيَّةَ أو غيرها.. لا بدَّ أنَّ هناك سببًا أبلغ! وعليه لا بدَّ من مراجعة التاريخ كله في تلك الفترة" انتهى.
نعم: هو كذلك:

أقولها بثقة: يا أيُّها الشيخ كمال الحيدري: سأقولها لك ولكل من يعنيه الأمر:

اقرأ -من فضلك- وصية الإمام علي -رضي الله عنه- وهو على فراش الموت والتي أنبئها في هذا الكتاب حيث يقول:

"إنَّا دخلنا على رسول الله فقلنا استخلف، فقال: لا.. أخاف أن تفرَّقوا عنه كما تفرَّقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إنَّ يعلم الله في قلوبكم خيرًا يختار لكم"¹.

الرسول ﷺ لم يستخلف أحدًا بعده!

رُفِعَت الأقلام وجفت الصحف!

والسؤال: لماذا لا يقرأ مراجع الشيعة هذه الوصية لأنفسهم وعلى جمهورهم.

والجواب: لأنها تهدم الانشقاق الشيعي والمذهب الشيعي من أصله وقد بناه المتكلمون والفلاسفة في قرون، وبعد قرون من البعثه،

¹ من كتاب "الشافى في الإمامة" لمؤلفه الشيخ الشريف المرتضى الجزء 3 ص 295.

وبناءً على ذلك الانشقاق يتسبب الآن على العوام عشرات الألوف من العمائم.

ثم ماذا عن المستقبل؟

دعني أقول بصراحة واعتذر من الجميع:

البحث أو البحوث التي قام ويقوم بها الأستاذ/حسن بن فرحان المالكي ومن على شاكلته وما على شاكلتها لا قيمة لها على الإطلاق، ليست من العلم ولا من الإصلاح بل تصنع عداوة وضلال، وهي من ملحقات وحواشي البدع إياها التي يتخبط فيها الملايين، وقد مُضغ الموضوع ألا وهو:

هل استخلف الرسول ﷺ بعده أحدًا أم لم يستخلف.. مُضغ الموضوع ألف مرة. وجوابه القطعي في وصية الإمام علي -رضي الله عنه- التي سبق الإشارة إليها، بل تلك البحوث في جانب السلب التام: توجب التشنج الطائفي الذي يعاني منه المسلمون. وتعمق التيه عن بوصلة الإصلاح.

الإمام علي -رضي الله عنه- حبيب المسلمين جميعًا، ليس لقرابته من رسول الله ﷺ بل لعلمه وسبِّقه وجهاده، وهو إمام هدي ومن أئمة صالحى المسلمين. ولكن أن نجعله عصا الرحا في الأمة أو مركز ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ذلك لا يمت للعقل السليم فضلاً عن العلم والفقهاء وجوهر التوحيد والإيمان برسالة الإسلام بصلة.

من الأسباب الكبرى التي أدت إلى ما نحن فيه هو طلب آل بيت رسول الله وآل هاشم الولاية السياسية على الناس بحق القرابة من رسول الله ﷺ.. تلك كانت من المعوقات الأساس للشورى، ومن ثم أتاحت للاستبداد العمل وادعاء الشرعية، كما سُفِكت الدماء ودُمِّرَ العمران في كثير من الأوقات.

لقد خَبِر المسلمون الجميع: مَنْ زعم الحكم بمدرسة آل البيت وَمَنْ قال بحكم آخر، ولم تجد الأمة إلا ما دَوَّنه التاريخ:

ومثلاً: هل حُكِّم الأدارسة في المغرب أو الفاطميين في مصر أو في الشرق الإسلامي البويهيين وغيرهم أفضل من حكم الأمويين أو العباسيين؟! كلُّ كان فيه صلاح وفيه غير ذلك.. لم ير الناس أثراً مميزاً للسلالة.. كل غنى على ليلاه.. ملوك من الملوك.. كلكم لآدم وآدم من تراب.. لم تسعف السلالة في التاريخ أحداً..

بل -للأسف- المخزون النفسي الضال الذي بناه الفلاسفة والرواة في قلوب المتأخرين من الذرية كان له أسوأ الأثر، ومن ذلك مثلاً أن ادعى بعض الخلفاء الفاطميين في مصر العصمة لأنفسهم وأحدثوا في الدين ما لا يُحصى!

المدخل موجود، بناه المتكلمون: أنَّ الذرية من أهل العلم اللدني المُستعلي على علم الظاهر الذي جاء به محمد ﷺ... هكذا!!! -فرية فادحة أضلت كثيراً من العوام- ومن ثم أطلقوا أيديهم والمبتدعين للوضع في دين الله، حتى تحوَّل جُلُّه إلى فلسفة من أقوال الغابرين!

وأذِكُرُ في هذا المقام أنّ مدينة القدس سقطت في يد الصليبيين عام 1099م، وهي في ولاية الفاطميين الإسماعيليين، وحرّرها من الصليبيين عام 1187م المجاهد صلاح الدّين الأيوبي.

ثمّ: الشاه إسماعيل الصفوي من العترة أو هكذا زعموا.. هو من مجرمي الحرب في التاريخ الإسلامي -بإجماع- بل والإنساني! خَيْرُ شعب إيران: إمّا أن تصبح شيعياً غالباً رافضياً أو أن تقتل. أخذ شعبه بما هو أسوأ من محاكم التفتيش في إسبانيا.

إذاً "كلكم لآدم وآدم من تراب"¹.

"... وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم..."².

وكذا: قال رسول الله ﷺ حين أنزلَ عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء:214): يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عَبَّاس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صَفِيَّةَ عَمَّةَ

¹ أخرجه أبو داود في الأدب، باب: في التفاخر بالإحسان (4452)، والترمذي في المناقب، باب: في فضل الشام واليمن (3891).

² أخرجه البخاري في المناقب، باب: قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا^ع إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ^ع إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13).

رسول الله، لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله،
سأليني بما شئت، لا أُغني عنك من الله شيئاً¹.

وكذلك: قال رسول الله ﷺ:

"لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض
على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى الناس لأدم، وأدم من
تراب"².

ما تقدم هو الأصل الأصيل لا قبله ولا بعده.

دين الله نزل هداية لبني آدم جميعاً أيّاً ما كان أصلهم أو لغتهم أو
لونهم، التلاعب بهذا الأصل بحجة العترة أو السلالة أو القرابة ليس
من الإسلام في شيء، تلك عنصرية جاهلية لا مكان لها في الإسلام.
الله سبحانه أمر بالبر والإحسان لكل الناس مطلقاً.. قال تعالى:
(... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...)(البقرة: 83).

وخصَّ سبحانه - على لسان رسوله ﷺ - قرابة الرسول زيادة على ما
أمر به لعامة الخلق.. محمد ﷺ له فضل على سائر المسلمين بل على
سائر بني آدم.. حمل الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده،
ومن ثم كان الأمر بالزيادة في البر لقرابته.. وهل جزاء الإحسان إلا
الإحسان وجزاء الفضل إلا الفضل!؟

¹ متفق عليه: أخرجه البخاري في الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في
الأقارب (2548)، ومسلم في الإيمان، باب: في قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: 214)، (305).

² أخرجه أحمد في المسند (22391).

إذاً والحال كذلك:

ما العمل؟ ما الذي نحتاجه كمسلمين اليوم؟ وبعد رحلة القرون وما

فيها من عبر ودروس تكاد لا تحصى!؟

أولاً: في الدين:

الرجوع الحازم الصريح للكتاب والسنة.. أقوال الرجال - أياً كانوا-
بعد الرسول ﷺ ليست من الدين وليست من السنة ولا يُعتد بها.

ثانياً: في التاريخ:

مركز الخلاف هو: هل استخلف الرسول ﷺ؟ أم لم يستخلف؟
وأسأل: هل إثبات الاستخلاف أو نفيه يضيف إلى واقعنا الراهن شيئاً؟
.. لا شيء.. قَبْضُ رِيحٍ وَمَضْغُ هَوَاءٍ، لا يسمن ولا يُغني من جوع..
إلا أنه يبني بين الجهال التدابر والعداوة.

ثالثاً: في السياسة:

شورى بين الناس كافة.. مَنْ يرضاه أغلبهم يُولّى أمرهم.
هل هناك في زماننا حل عاقل وممكن غير هذا؟! أفضل نظام -فيما
أرى- حقق الشورى بمؤسسات فاعلة، تحفظ حريات الناس في
عقولهم وكرامتهم ومعاشهم هو النظام الديمقراطي المعاصر.

رابعاً: في أولويات المصلحين والمفكرين:

التوعية بما تقدم.. لعلنا نخرج من كبوتنا الفكرية والعملية الراهنة..
ومن ذلك أيضاً:

وضع الروايات التي لا تبني ولا تخدم ما تقدّم في صناديق سوداء
وإقبالها بالشمع الأحمر وأقفال لا تُفُتَح! ثم وضع تلك الصناديق في
طبقات الأرض السفلى أو أعماق البحر.
والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الفصل الثامن

لمن يعتبر!: الشورى

تقديم:

الإسلام هو محور الحياة لكل مسلم غيور.. هو الدين الخاتم والطريق الأوحى إلى الجنة.

الإسلام بعقائده وأحكامه وقيمه ومقاصده هو أمل المسلمين وكذا بنو آدم جميعاً لبناء حياة سوية في الدنيا.

الدعوة الخالصة إلى الله مادتها القرآن والسنة ليس إلا، وتلك وحي معصوم، عليها إجماع بين الأغلبية الساحقة من الدعاة وكذا خاصة المتدينين وعامتهم.

إلا أن الكلام في إدارة المجتمع وتولي الشأن العام فيه: شيء آخر.. العلوم التي تعالج ذلك الشأن بناءً فوقى.. ينبغي أن يؤسس على المُحكّم من الوحي، ولكن -ما خلا ذلك- فيه اجتهاد وأقوال وآراء ونظريات ومقاربات كثيرة.. فيه تنوع بين الناس يعزّ إحصاؤه.

الكل يقول: إنه يؤسس على الوحي، وترى فروقاً كبيرة بين المجتهدين.

تلك هي طبيعة ذلك الحقل المركب غاية التركيب..
المرجعية الإسلامية تسع كوكبة من الاجتهادات التي تُبنى عليها،
ومثلها في ذلك كمثل الساق من سائر الأغصان.
وفي ذلك رحمة من الله سبحانه، وفسحة أن تنتج العقول المختلفة ما
يوازي التنوع الكبير والتطور الدائب في الحياة والمجتمعات.
نحن بنو آدم أمام ذلك التحدي وجهًا لوجه!
لا بدَّ أولاً فهم ذلك التحدي ثم العمل بمقتضاه..
والإيجاز في هذا:

القول: "مؤسس على المرجعية الإسلامية" ليس قولاً واحداً، بل أقوال
كثيرة. وكلها عند فحصها بناءً على مُحكّمات الوحي تحظى
بالشرعية.

أفضل الأقوال فيما تقدّم لا يعلمه إلا الله.

فما العمل

لا بدّ للإنسان الضعيف أن يُعمل أدواته المعرفية: عقله وواقع مجتمعه
والعلم المتاح في زمانه ودروس الماضي -التاريخ- ثم الشورى
لأصحاب المصلحة.

ثم هَبْ -وبعد البحث والتقصي- اتخذ المجتمع بالشورى قراره.

ينبغي أن ينظر لذلك القرار من زاويتين:

أولاهما: أنه فرضية راجحة وليست علماً قطعياً.

وثانيهما: أنه خيار لحال اجتماعي وزماني بعينه. ومن ثم لا بد من تعهده بالمراقبة والتصحيح والإكمال وفق تغير أحوال الناس والمحيط.

التنوع في الاجتهاد بين المصلحين رغم الساق المشترك - المرجعية الإسلامية- لا بد له من معالجة: كيف يختار المجتمع لذاته من ذلك التنوع؟

وهنا دور الشورى.. شورى الشعب.. بها وبها فقط يُحسم الأمر بين تنوع الأقوال دون نزاع.. لا يوجد في الوحي مثل هذه الإداريات والفروع، بل أمر عام بالشورى والعدل والعلم.

قال تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ (الشورى:38).
بل أمر سبحانه رسوله محمد ﷺ أن يشاور الناس في شؤون الدنيا -أي في هذه الفروع- حيث قال: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ (آل عمران:159).

المسلمون والتاريخ

من يقرأ التاريخ يرى أثر الشورى أو غيابها جلياً:
غادر أولياء الأمور الشورى في كثير من حقب التاريخ، فكان جرّاء ذلك:

تسيّد الاستبداد ومؤسساته: ذلك هو الباب الأوسع للظلم والفساد وهجر العلم والجور على الحريات والاستقرار والإبداع.

أفضى ذلك إلى تخلف علمي وفكري وعملي ووسائلني إلى أن وصلنا إلى ما نحن فيه.

نزاع لا ينتهي على السلطة التي أضحت غنيمة والنتيجة: سفك الدماء وخراب العمران.

يرى المراقب ذلك جلياً في التاريخ وفي حالنا الراهن:

من حكم منفرداً، وسواء كان فرداً أو مجموعة أو حزباً وتمكن واطمئن.. أعمل آلية الاستبداد، ومن حيث لا يحتسب، وسواء شعر بذلك أم لم يشعر.

ومن ثم ظهرت تلك الأدواء الآنف ذكرها تلقائياً! أقصى الآخرين وقرب من يقول بقوله، وتحول الحكم به من كونه أمانة ومسؤولية إلى غنيمة ووسيلة للعسف والجور. لم يُنج من ذلك الانحراف الشعار المرفوع وسواء كان إسلامياً أو غير ذلك. بل القائل بالشعار الإسلامي كان أشد وطأة حيث يستر العورة بالدين. إذاً والحال كذلك ما العمل؟

شورى الشعب

باب الخلاص هو الشورى ومؤسساتها الإدارية والرقابية المعاصرة -المؤسسات الديمقراطية- ذلك فيما أرى، هو الطريق الوحيد الآمن لإدارة المصالح المشتركة بين الناس.

بناء الشورى والمؤسسات الشورية الديمقراطية العصرية مهمة تأسيسية عابرة للخلافات في التوجهات والآراء السياسية المنوعة

هي في الواقع: البناء الأولي للرابطة الاجتماعية.. ولذا ينبغي أن تكون لهم الأول لكل القوى السياسية.. هي القضية السياسية والاجتماعية الأولى.. ودون إنجازها والتمسك بها وتعزيز أركانها وتربية الجميع على الالتزام بها ووعي مفاصليتها في بناء المجتمع، لن ينعم المجتمع بالاستقرار أو الأمن أو النهوض!
نعم هو كذلك:

العمل الجماعي المنتج وفي أي مجال بحاجة إلى مناخ مناسب وبيئة خاصة، وتلك هي العدل والحرية والاستقرار والأمن واحترام العلم.. تلك القيم النبيلة ضمانتها الوحيدة هي المؤسسات الديمقراطية.. الكل سواسية أمام القانون وكلُّ يُدع ويَقول ويكتب ويعمل وما يقر من نظام هو ما يرضاه أغلب أهل المصلحة لأنفسهم وما يتفق مع العلم.
وقد يقال: تلك مهمة بعيدة المنال وبالذات في مجتمعاتنا بحالها الراهن.. وأقول: هي مهمة شاقة ولا تنجز بقرار إداري أو سياسي، بل ذلك القرار هو البداية فقط: ولإنجاز ذلك القرار الإداري والسياسي، لا بدَّ من حلف بين كل القوى الفاعلة في المجتمع في هذا التوجه بالذات:

ليس مطلوبًا من أحدٍ أن يدع ما يؤمن به من مبادئ ومنطقات، بل المطلوب من الجميع أن يقبل مخلصًا شروط المباراة.. شروط العمل الاجتماعي والسياسي.. شرطه: يُقرُّ منه ما يرضاه أغلب الناس لحالهم.. ذلك يتطلب من كل الأطراف الفاعلة في المجتمع القبول

بشورى الشعب وبالمؤسسات الديمقراطية كأساس ناظم لمجمل
الحراك الاجتماعي والسياسي وفض الخلاف.

أي بإيجاز: أن الحكم والسلطة للشعب¹ وليس للحزب وليس للنخبة
وليس للقوي المتغلب.

تحويل المجتمع من حالة "ثقافة الفرادة والاستبداد" إلى حالة
"الحوار والديمقراطية وتحكيم العلم وما يراه أغلب الناس" عملية
تربوية شاقة وقد تستغرق عقوداً.. إلا أن ذلك لا بد منه..

المجتمع بمفكره ونخبه الإصلاحية مُخَيَّر بين أمرين:
أحدهما: أن يبقى مفككاً متنازحاً لا استقرار فيه ولا يصلح كحاضن
للنهوض.

وثانيهما: أن يصل إلى مجتمع آمن مستقر ينعم أفراداه بالحرية
والكرامة وإمكانات الإبداع والإنتاج وعلى المدى الطويل.
وقد يضرب البعض الأمثال: نظام تسلطي حكمه -مثلاً- حزب واحد
وتقدم المجتمع ونما وأبدع.. ذلك صحيح ولكن: ذلك المثل يعوزه
أمرين:

أولهما: مهما قيل في هذا.. ذلك مجتمع متربص غير مستقر، به من
المظالم والعدوان على الحرية، والمشاعر المكبوتة ما لا يحصى
ولكن كل ذلك تقف في وجهه قوة السلاح.. كما أن ما ينجزه قليل نسبة
لما لو أخذ بالحرية والمساواة.

¹ "فيما لا يخالف قطعياً في الوحي".

وثانيهما: تَفَدَّم تكلفته الإنسانية فادحة ومؤسس على بركان يغلي تحته، وقد يدمر يومًا ذلك البركان كل شيء، ومهما طال الزمن.. لا يمكن لنخبة ملكت السلاح والعتاد-الجيش والشرطة- أن تصدر حرية الأغلبية وتعدي على إنسانيتهم وفطرتهم الأولى ثم تأمن ما تأتي به الأيام. وعبر التاريخ في هذا تعز على الإحصاء.

المجتمع الإنساني إمَّا أن يكون عادلاً حرًّا، ومن ثم إنسانيًا مستقرًّا آمنًا، وإمَّا أن تتقاذفه الأقوال والنُخب بمختلف الأعذار والحجج وتصادر حرّيته.. وعليه يفقد إنسانيته ويرتد إلى حكم القوي للضعيف كما الوحوش.

حال التديّن السياسي المعاصر

احتفائي بموقف التديّن السياسي المعاصر له أسبابه وقد أنثرت لها في التقديم لهذا الفصل..

لا أتصور من غيور على دينه إلا النظر الدقيق والتمحيص الحق لمقالات كل من يبني قوله على عقيدة الإسلام أو يزعم ذلك.

ذلك واجب على كل مسلم قادر على التحليل والحوار والنقد.. وأما العربي فحاله أشد إلحاحًا.. حيث الإسلام هو هويته الدينية، وكذا المنشئ المجدد لهويته العربية القومية ومنذ أربعة عشر قرنًا.

حركات التديّن السياسي في عالم اليوم تضم مئات الآلاف من المحازبين والملايين المناصرين في أنحاء الأرض.. رجال ونساء مهمومون بحال أمّتهم يريدون لشعوبهم النهوض.. يغلب على قلوبهم

الخير والغيرة على دينهم. ومن ثم: المساهمة في ترشيد حركتهم بالنصح، وبيان ما قد ينقصهم يمثل خدمة جليلة للأوطان وفي سبيل الله سبحانه.

ما الذي ينبغي إنجازَه

فصل الدَّعْوَى عن السياسي.. الدَّعْوَى مادته الوحي المقدس المحفوظ، وأمَّا السياسي فاجتهادات تخطئ وتصيب وسواء كانت هذه الاجتهادات من مسلم أو مؤمن ولو حتى كانت من ولي من أولياء الله الصالحين!

بالله عليكم: أدرسوا الأمر بعلم وحلم:

الدَّعْوَى مجال.. والسياسي مجال آخر! الفصل المطلوب وظيفي فكري.. كل مسلم أيًا كان وفي أي وقت ومكان ينبغي أن يكون داعية لدين الله وبما يطيق.. ولكن حرام عليه أن يجعل اجتهاده في السياسة من الدين أو من التدين أو "موقف" الدين من الأحداث أو يوحى بذلك أو يخلط الأمرين، وحتى تلتبس الأمور على المتلقي ومن ثم يقع الغلط.

لا ينبغي لمسلم غيور أن يسمح باختلاط المفاهيم في شأن جليل ألا وهو الوحي المقدس مع اجتهاد البشر في إدارة شأنهم العام، بل وليس حتى شأن الإدارة للدعوة: مراحلها ودرجاتها وخطابها، وكيف توجه، ولمن توجهه، ذلك كله من صنع البشر، وليس من وحي الله.

أن تجعلوا الديمقراطية وتثبيتها.. -بما لا يخالف قطعياً في الشرع-
هي النظام الذي تطمحون إليه. قلب الديمقراطية وجوهرها هو
التداول السلمي على السلطة، ونبذ العنف في السياسة، ودون أي
استدراك.

العمل السياسي في إطار ديمقراطي ودون لجوء للعنف أيًا كان.
وبعلنية وشفافية ودون أجنداث سرّية خاصة أيًا كانت وفي إطار
الدستور والقانون.

حزب مدني ببرنامج عملي إصلاحي معطن مفصّل. البعد الديني فيه
محض مرجعية أخلاقية ومقاصدية.

ما تقدم يقتضي إلغاء ملف "التمكين" من القاموس السياسي لكل
الأحزاب والحركات ذات المرجعية الإسلامية.

مطلب السيطرة على مفاصل الدولة عند التولي -والذي تطمح له
معظم الأحزاب الإسلامية - مدمر للشورى والمدنية والديمقراطية،
وكذا الطريق الأكيد لاستبداد الحزب الواحد، واستبداد الحزب هو
الأشد والأقبح، ويبلغ المدى في ذلك إن تحصّن بدعوى الدين.

كما أنّ ذلك في المآل مدمر للعمل السياسي بمرجعية إسلامية.
واقع الأحزاب والحركات "الإسلامية" الآن هو دمج الدعوى
والسياسي معاً، لغرض التعبئة والسعي للتمكين مع استبطان ذلك
أحياناً وبيانه أخرى.

مآل ذلك: إنشاء دولة مستبدة تتحصن بالدين وإقصاء كل من لا ينتمي للحزب.

ذلك المآل البائس لا أثر لحسن النوايا فيه.. إنّه تداعي تلقائي علمي لمسار التفرد بالسلطة بدعوى الدين¹.

جوهر السياسة اجتهاد في المصالح، وترجيح ظن على ظن أقل احتمالاً، وليست عقائداً أو ديناً. جدوى الاجتهاد الراجح تظهره التجربة، ولا فريدة ذات تأسيس علمي لاجتهاد متحزب مسلم على غيره.

وأهمس في آذان الحركيين الإسلاميين

جغرافيا دول المسلمين بالعشرات. هل فكّرتم في أثر ذلك على منهج السياسة ووسائلها؟ هل من السياسة الإمساك بفرصة حكم في بلد ما -وسواء بالانتخاب أو غيره- ثم العمل بما تضررونه من برنامج، ألا وهو: تمكين الحزب من مفاصل الدولة والمجتمع؟ أي: بناء تفرّد بالسلطة لحزبكم (استبداد!)، ومهما صلّحت النوايا ومهما كانت الشعارات.

هل ترون أنّ ذلك الصنيع يبني نموذجاً لسائر الأقطار الأخرى؟ ألم تروا ما حدث في السودان وغير السودان؟ ألا ترون ما يحدث في إيران؟ العالم في عصر العلم والعولمة والإعلام والتواصل الشامل الحديث وعصر الحرية!

¹ أو حتى بأي دعوى عقائدية أو أيديولوجية!

هل السير على خطى التفرد بالسلطة -استبداد- ومن ثم مواصلة النزاع والصراع في المجتمع وفقدان الاستقرار هو طريق للخلاص من الضعف والتفكك؟ أدعُ الإجابة لكم!

مصائب الدولة المستبدة والتي حتمًا يؤول لها مشروع التدين السياسي الراهن، هو ذات الفشل الذي عانيناه في ظل دول كثيرة استبدادية تعاقبت على رقاب المسلمين في التاريخ.

أنتم تطمحون إلى تجريب المجرب، ليس مرّة بل سبعين مرّة!
برنامجكم الراهن -أردتم أم لم تريدوا- مفرداته الجلية هي حكم
الحزب الواحد المهيمن على مفاصل الدولة وكذا على النشاط المدني
في المجتمع.

تلك وصفة غير موفقة ولا سعيدة! تفضي إلى الركود ووحداية
القول. تلك هي أمراضنا الأساس التي عانينا منها في تاريخنا
الإسلامي.

وأما ثالثة الأثافي، فهي أنّها الوصفة الأكيدة لتفاقم مرضنا العضال:
الصراع على السلطة، والعمل السري التأمري من الكل، على الكل
ومغادرة الاستقرار وصفاء القلوب، وكذا نشر النفاق والارتزاق
والرياء للسلطة، حيث هي من تحتكر الحقيقة والصحيح والدين
والتشريع والتنفيذ.

بالله عليكم.. افهموا ما نقول! الخلاف معكم ليس في الدين -كما قد
يتصور بعضكم- بل في السياسة.. والأنكى والأشد: في صميم

السياسة.. في أمر لا يمكن السكوت عنه أو تجاوزه أو التصالح فيه
وعليه.

أنتم في أغلبكم -بتدنيكم- ذوا نوايا حسنة، ولكن ينقصكم -بكل
صراحة- الرُّشد في السياسة.

وجذر ذلك عندكم: عجز في استيعاب عبر التاريخ الإسلامي، وكذا
غياب عن علم إدارة الدول المبني على التعاقد الاجتماعي، الحافظ
لحقوق الجميع، والضابط للصلاحيات والمهام والمسؤوليات في كل
دواليب الدولة والمجتمع.

الخلاف معكم ليس في القرآن والسُّنة، بل في علم زمني ثبتت جدواه
في إدارة الدول، وهو نتاج كد وكدح من البشرية عبر معاناة مريرة
في التاريخ على طول الكوكب وعرضه: إنَّه نموذج الدولة المدنية
الديمقراطية.

بعضكم في المجالس قد يقول نعم، ثم إنَّ قام يبدأ في دخول جُحر
الضب، وكأنَّه لم يقل شيئاً ولم يَعدْ بشيء، يعمل جاهداً لإقصاء
المنافسين، والتمكين الرديء والاستحواذ. وكأنَّ: لا مُخلَّص ولا
غيور ولا وطني ولا عاقل ولا حكيم ولا شريف إلا محازبيه!

أنتم تعملون في وسط إنساني، باقي الخلق -غير محازبيكم- أصحاب
نصيب في الوطن، لا يقبل إنسان كريم الإقصاء ثم الوصاية على
عقله ومصالحه. لا منكم ولا من غيركم.

عندكم: أن لا وزن إلا لمحازبيكم، باقي الناس - نصًا وضمناً- درجة

ثانية وثالثة ورابعة!

أنتم بحاجة إلى ثورة على ذواتكم ونظركم للآخرين وقبل أي شيء آخر.

كونوا حزبًا عاديًا فاضلاً قرآنيًا مُصليًا عاملاً للخير ليل نهار، ولكن لا كبير ولا غرور ولا وصاية على الناس إن توليتم.

سوف يقول قائلكم: نحن غير ذلك.. نحن نعاني من الاضطهاد والعزلة.. وهذا صحيح.. ولكن لماذا؟!!

السبب: منطلقاتكم المعلنة وكذا ما أخذ به بعضكم عندما تولي:
السيطرة على مفاصل الدولة والمجتمع والاستئثار وإقصاء الآخرين
والتمكين للحزب دون حدود.. والداهية المضاعفة أضعاف في هذا
هو اقتراف ذلك كله باسم الدين وبستاره!

هل أمّة الإسلام -والتي تقولون: إنكم فصيلها المتقدم الطليعي- عاجزة عن أن تفقه علم إدارة الدول والمصالح المشتركة للمجتمعات في طبيعته الأخيرة؟! ذلك العلم الذي استوى بعد ألف تعديل وتفصيل: ذلك هو نموذج التعاقد المجتمعي في الدولة المدنية الديمقراطية، قلّدوا في هذا -أقله- ما عليه ماليزيا أو تركيا!
نموذج للتعاقد علمي محايد وعابر للعقائد. كل يضع فيه ما يناسب قيمه وهويته وخياراته.

نموذج حافظ لحقوق الجميع حكماً ومحكومين وعلى قدم المساواة
وفي ظل القانون والدستور ومبادئ العدل والكرامة.
على نقيض ذلك النموذج تريدون - بكل أسف- إقامة دولة حزبكم فوق
الناس.

محازبيكم هم عندكم أصحاب الحكمة والطُّهر والغيرة والثقة
والأمانة، مجاهدون كتب عليهم أن يبقوا فوق رقاب الناس كي لا
ينحرفوا! لذا وجب التمكين للحزب من مفاصل الدولة والمجتمع!!
إذًا: ماذا بقي كي يصبح المشهد استبداداً دينياً أشد سواداً من
الخراب؟!!

يا سادة: أما شَبَعنا استبداداً عبر تاريخنا؟! ما الذي أودى بحضارتنا
ثم بعقولنا ثم أخيراً بأرزاقنا ودمائنا بل ومحض وجودنا؟! أليس هو
سوء الذكر: الاستبداد وقريناه: النزاع على السلطة وفقدان
الاستقرار؟!!

أنتم تريدون العودة بنا إلى ذات الجحر القميء ومن حيث لا
تحتسبون.

ثم سؤال صريح:

هل تريدون أن تبقوا جزءاً من المشكل أم تصبحوا رافعة للحل؟!!
أنتم بمشروعكم الراهن -رغم حسن النوايا - جزء من المشكل.
مشروعكم استبدادي لا محالة، يفضي إلى جمود فكري وصراع على

السلطة وفقدان الاستقرار وتفشي النفاق والدس والتآمر والرياء ومن
ثم تكريس التخلف الذي نعاني منه.

تذكروا -مثلاً والأمثلة كثيرة- ماذا حدث في السودان؟، ثلاثون عاماً
من العقم! ثم ماذا كانت النتيجة؟ أمر لا يشرف المسلم ولا غير
المسلم! وفي غير السودان أيضاً.. انظروا في جغرافيا الحاضر وفي
التاريخ..

مشكلتنا عبر تاريخنا وفي حاضرنا في كلمات:

الاستبداد وأمراضه وقريناه: الصراع على السلطة وفقدان
الاستقرار.

الحل عندكم: التمكين والسيطرة على مفاصل الدولة: استبداد أشد من
قرينه في التاريخ، وذلك بتحصيله بحزب ديني عقائدي يحميه من
الصراع على السلطة وعدم الاستقرار وذلك بقوة السلاح وقهر
الناس! هذا الحل ليس إسلامياً وليس إنسانياً أيضاً! تأملوا الأمر على
ضوء القرآن!

وأما الحل الإسلامي الذي أدعو إليه:

هو الشورى.. شورى الشعب.. شورى الأمة.. والتي تتيح الحرية
للجميع وتمكن الشعب من اختيار من يتولى الوكالة عنه في شأنه
العام.

فأي الحلين أجدد أن يجاهد فيه ومن أجله!؟

كما أنّ نُظْمَ إدارة الحياة في التاريخ كانت لظروفها، وما أحاط بها من واقع.

الخالد من كل ذلك وبقاى أبد الدهر: العقائد والأخلاق والمقاصد وكل قطعي الدلالة والثبوت في الرسالة وغير مرتبط بظرف زماني ومكاني بعينه.

كما أنّ الكلام عن غزو العالم لنشر الرسالة الخاتمة- أو ما شابه- لا يناسب العصر الراهن¹ جملةً وتفصيلاً. الأمر في هذا ليس موازين القوى، -رغم وزن ذلك على أي حال- وليس الوهن والعجز الذي يتحدث عنه المندفعون دون تدقيق أو تحقيق، بل النظر العلمي لواقع العالم الذي نحياه. الإمكانيات المتاحة للاتصال بالناس: النشر والبيان والبت عبر الفضاء!

ومن ثم لا أرى الكلام عن السيف والسهل والغزو والتجيش في قضية الدعوة للإسلام مناسباً ولا بشكل من الأشكال.

هذا زمان جد مختلف، فيه من وسائل إيصال الدعوة للناس ما لا يُحصى، تخاطب العقول والأنفس والقلوب بِنِدِيَّة وكرامة وحرية. وتلك أعظم الممهّدات لقبول الحق والبعد عن العناد. ليس من الحكمة ديناً ولا عقلاً أن يشار إلى العنف والغزو في دعوة الإسلام، وذلك طمعاً في تعبئة الناس. تلك تعبئة خاطئة حيث ليست في زمانها، فضلاً عن مجانبتها للصواب أصلاً.

¹ ولا أي عصر! حيث يخالف ما أمر به القرآن: حكمة وموعظة حسنة.

ومن مفاعيل ذلك أن سرى في شباب الصحوة الإسلامية "مركب العنف الدَعَوِي!" وذلك في الداخل والخارج.

تصور شباب غُرَّ أنَّ العنف اللفظي أو الدموي جهاد مقدس لنشر الإسلام وطريق للشهادة والجنَّة.

ذلك -للأسف- ضلال ومخالف لما جاء به الدين في محكمه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل:125).

سلوكيات العنف بأشكاله والتي يتصف بها بعض الشباب والتي يشتكي منها الناس لم تأت من فراغ، بل من تربية جانبت الصواب، غفلت عن اختلاف الأزمنة والأمكنة. وقبل ذلك جانبت صحيح الهدى الإسلامي في باب الدعوة.

أدبيات التربية الصحوية -وعلى سبيل المثال- كتابات بعض كبار الحركيين والمربين بها من هذا القبيل شيء!

تعبئة الشباب وبناء عقولهم ونفوسهم بالدين قضية جدُّ حساسة وجدُّ خطيرة! لا مكان فيها لمحض البلاغة والشاعرية والسيطرة على العواطف والنوازع، تلك حالة لها ما بعدها! الخطأ فيها يعني - ببساطة- بناء قنابل موقوتة، قابلة للانفجار في الناس وفي أي وقت، وهذا عين ما تعاني منه الآن مجتمعاتنا من شباب القتل العشوائي المنفلت، والمنظمات العجائبية في فنون العنف وقسوة القلب وسفك الدماء.

بل وصلت كبائر الفكر في هذا أن كَفَّر بعضهم (المرحوم سيد قطب مثلاً)¹ سائر الأمة، وصمها بالجاهلية، كما قبل الرسالة أو أشد! أرى أنَّ الرجل لم يتكلم بعقله، بل بأعصابه وأشجان نفسه، وسخر قلم الأديب وجمال لسان العرب ليصل إلى من هم على شاكلته شجناً وعصبية. فكان ما كان من عجائب سفك الدماء في جسم الأمة السقيم. وأعجب لرجلٍ مثله -درس القرآن- لم يلمح ما في دين الإسلام من رحمة وإنسانية وتعالٍ على ضعف ابن آدم وجهله وخلافات الخلق. كيف له لم يرَ كملاً لرسالته الدعوية إلا أن يهين أمة محمد ﷺ من بُعِيدَ ظهورها وحتى وجوده وتحوله إلى الغلو. أهان علماء الإسلام بما قال وعلى مرَّ العصور. عنده: خاصة الناس وعامتهم لم يفقهوا "لا إله إلا الله".

فحوى كلام قطب: أن استعمال الإنسان لعقله يعني افتئاتاً على وحدانية الله. وكأنَّ القرآن قاموس معرفي مُفصَّل؛ حَدِّدْ سؤالك أيها المسلم وفي أي زمان وأي مكان كنت ثم اطلب الجواب: تجده في الوحي. ذلك القول ليس صحيحاً.

القرآن وصحيح السنَّة فيه الأسس: العقائد والعبادات والأخلاق والمقاصد الأزلية التي لا تتغير بالزمن والجغرافيا وبعض الأحكام. وكذا الأوامر الربَّانية بطلب العلم واستعمال العقل في كل اتجاه.. أي

¹ لي كتاب خصصته كاملاً لغلو المرحوم سيد قطب بعنوان "خواطر في المنهج ووقفات مع كتاب (معالم في الطريق)" لمؤلفه المرحوم سيد قطب -تحت الطبع -

حيازة العلم وبناء الوسائل به وارتفاق ذلك كله في بناء الحياة وتحقيق

عبادة الإعمار في الواقع.

ثم التعبئة النفسية والعقلية والتربوية لديكم قائمة على وهم "الفراة"
من دون الناس.. من دون باقي المسلمين.. تقولون: إنكم أنتم الواعون
لحقيقة الدعوة وما تتطلبه ودون غيركم من المسلمين. لا يوجد ما
يبرر هذا الزعم، بل واقع الأحداث والتجارب تكذبه!

الدعاة لدين الله خارج محازبيكم أضعاف ما عندكم!

هذه الفِراة الموهومة عزلتكم عن شركائكم في الإسلام والإيمان..
قسّمت الأمة! امتدت سلوكًا تمييزيًا منكم اتجاه إخوانكم في الدين..
أنتم تأخذون بما اسميته "العيش في جماعة!".. تطور ذلك حتى
أصبح المجتمع عندكم مسلمًا بالاسم فقط، ولكن مجتمعكم الصغير هو
رأس الأمر والأول والأخير في الاعتبار.

مفاعيل ذلك المنحى في السياسة والتراحم والاحترام والصدق
كارثية! نعم كارثية! وخاصة أن المفكر سيد قطب قرّر جاهلية
المجتمع منذ قرون أيضًا.. أي أنّ المجتمع لعين، الهجران هو ما
يستحقه، بل إن أمكن التدمير أيضًا.

عند تراكم المشاعر والحركة في ذلك الاتجاه الخاطيء، وتمر السنون
والعقود وتبنى عوازل وحوائط نفسية وعملية وعقلية لا يعلم مدى
خطرها إلا الله! تلك البيئة وذلك المناخ هو محضن أكيد للغلو
الدموي!

أتذكرون التكفير والهجرة! ثم حركة صاحب الموصل؟ هل أحصيتم ما نتج عنها وبسببها من خراب: قتل وتشريد وتهجير ودمار للعمران ومقومات الحياة؟ أعيّدوا النظر.. فكّروا.. أعملوا عقولكم.. قال تعالى:
(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (الزُّمَر: 18).

والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الفصل التاسع¹

التعبئة المعنوية: بين الإفراط والتفريط

صدق الداعية

لا بدّ أن يكون الداعية لله سبحانه من أصدق الناس، وأن يستحضر دائماً جلال ما يبلغ به، حيث هدى الله سبحانه صادق معصوم. كما ينبغي أن يكون شرحه للتّصوّص، وإسقاطه لذلك على واقع الحياة، له من جلال الرسالة وصدقها نصيب. إلا أنّ ما نراه ونسمعه ونقرّؤه من الوعظ فيه كم لا يستهان به بجانب الدقة المتوخاة، فضلاً عن الانتقائية في ذلك، وبما يخدم مقاصد الواعظ ومراميه.

كما تشمل تلك الانتقائية -أحياناً- ترجيح المرجوح، وضعف الموازنة بين المصالح والمفاسد.

يضاف إلى ذلك محدودية الثقافة العصرية للواعظ، بما يفضي أن يتكلم معزولاً عن واقع الحياة المعيشة، ومن ثم: إغفال التوازنات

¹ هذا الفصل سبق نشره في كتاب المؤلف "من دنيا العرب.. تأملات في الماضي والحاضر" منشورات دار الخلدونية - الجزائر العاصمة 1439هـ/2018م (الفصل التاسع والعشرون).

والضغوط و الإمكانيات، وسواء على مستوى الأفراد، أو الجماعات، أو الوطن، أو الأمة.

إنصاف المعارضين

كما يُلاحظ أنّ كثيراً من الدعاة، لا يتوخون العدل مع المعارضين. فإن ذكروهم قدموا للمستمع أسوأ ما في أفعالهم وأقوالهم، ونعتوهم شديد الألفاظ، وذلك منافٍ للعدل، الذي ينبغي للداعية أن يكون في مقدمة الحريصين عليه.

قذائف التهم جاهزة!!

كما يشيع في أوساط الدعاة والمتدربين، وصف كبار "الخصوم"، بأنهم على مذهب الماسونية، أو من أصل يهودي: وكل ذلك يقع دون بيّنة وجرياً وراء الشائعات، بل واختلاقها! -وبالطبع- ذلك لا يليق بداعية، فضلاً عن فرد من عامة المسلمين.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18).

حبي للمؤمن

أحبُّ المؤمن من أي جنس ولون، وأرق له وأعطف عليه، وخاصة إن كان من عامة الناس وبسطائهم ومع حبي القلبي هذا، أخشى عليه ومنه!

أخشى عليه لأنّ إسلامنا في الحاضر يحمل أوزار تاريخنا وحاضرنا، فتاريخنا لا يخلو من سقطات، بل به الكثير منها، وأعداء

الإسلام لم يألوا جهداً في إبراز تلك وتضخيمها، مصحوباً ذلك بإغفال ما كان للمسلمين من فضل على الناس علماً وخُلُقاً.

كما أن حاضرننا ضعيف على كل الصُّعد، ولا يعكس متانة ديننا وشموله ورحمته، فتدبّرنا أغلبنا انتقائي قشوري، وأشد ما أصاب تدبّرنا معظمتنا، هو افتقاره لمسة الرِّحمة والجدال الحسن، وذلك مع ذواتنا وغيرنا، رغم أنّ القيمتين السالفتين هما من أعمدة الإسلام الأساس. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)، ﴿...وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل:125)، ﴿...رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: كل المخلوقات أيّاً كانت، ونحن نقول: "ربُّ العالمين" أي: ربُّ كل شيء.

الجدال: لم تقل الآية بالحسن بل بالأحسن، أي علينا أن نرتقي دائماً مع الزمن ومع العلم، والإبداع في انتقاء أحسن الأساليب والسُّبل لجدال الآخر، وأن لا نركن لطريقة بعينها، ننتقلها عبر العصور، بل التحسين والتجويد في الجدل والبيان والإقناع تكليف من السَّماء. كما أخشى من مؤمن هذا العصر وقد تربّى ونبت في مجتمع للعلم فيه نصيب قليل، فالعمل الشرعي الحق المتين ليس له الغلبة في زماننا وأمّا الانتقاء والقشورية، وعلو الصوت والتوتير العاطفي هو الغالب، وأمّا علوم الكون والحياة، فهي أشدُّ ضعفاً، بل يصنفها الكثير من عامة المتدينين بلسان حالهم أنّها فضول، ومضيعة للوقت، وبُعد عن العبادة.

عامة المؤمنين في خوائهم العلمي معذورون، وتقع التبعة على رؤاد العلم والفكر في المجتمع، أن يتداركوا الثقافة وينهضوا بها. كما أن المؤمن القشوري لا يدري حقيقة حاله، ويظن أنه مؤهل لدرجات عالية في الدعوة، فترى بعضهم يمارس ذلك بقليل زاده، ويسير علمه، فيسيء إليها، ويُقَرُّ منها، وعندما لا يرى ما يسره من نتاج عمله هذا، قد يلجأ إلى العنف اللفظي بل والجسدي.

كما أخشى على مؤمن هذا الزمان من ضعفه بمعرفة الواقع، وأفضل هؤلاء المؤمنين هو الضليع في القرآن والسنة، وتلك ولا شك منبع الحكمة والهداية لكل الخلق إلى يوم الدين، وذلك شرف كبير لكل من نال قسطاً وافراً منها، إلا أن ذلك لا يُغني عن دراسة الواقع المعاش عندنا وعند غيرنا، كي نعرف الأرض التي نمشي عليها، والهواء الذي نتنفسه وما ينتظرنا في حاضرنا من فرص وصعوبات ومكائد. وحال الواقع الذي نعيشه لا ينبئنا به القرآن ولا السنة، بل هو معرفة وعلم زمني محض، يُحصَل من علم العالمين به، والمفكرين فيه، وهو حال دائم التطور والتغير، والعلم به في عقد من الزمان، لا يغني عن ملاحقة تطوره وتبدل أحواله فيما يلي من عقود.

ولا يخفى أن إصلاح الحال في مجتمع ما يحتاج إلى أمرين رئيسيين لا بدَّ منهما معاً:

أولهما: تحصيل الحكمة من وحي السماء.

وثانيهما معرفة الواقع وهذه ذات ثلاث شُعب:

الأولى: معرفة واقع المجتمع المعنى بدقة وحيدة وتفصيل.

والثانية: معرفة العلم المتاح والخبرة الناجزة، التي بهما نفصل
الحلول ونرتب الخطط للإصلاح والنماء.

وأما الثالثة: فهي المعرفة بواقع العالم الذي نعيش فيه، وما به من
محفزات ومثبطات وما يحويه من معونة لحالنا أو تحدٍ لخططنا.

وأخال عامة المؤمنين وأغلب خاصتهم لديه من حكمة الوحي نصيب،
قلَّ أو كثر، إلا أنه يفتقر للثانية إلا من رحم ربك، وهم قلَّة في
مجتمعاتنا المعاصرة، وحيث إنَّ القلَّة لا يقاس عليها، وهي في
الأغلب: غريبة في مجتمعها، تصرخ في واد بل تُتَّهم بالتصعيب
والتبطيء، وعليه يصدق القول: إنَّنا نفتقد المنهجية المستقيمة،
والأداة الفكرية والعلمية الحقَّة لإصلاح أحوالنا.

ويخبط أغلبنا في هذا خبط عشواء، يصيب مرة ويخطئ مرَّات؛ كما
يتعذر علينا أن نضع خطة شاملة لإصلاح متكامل، يلتف حوله الناس
عن علم وقناعة.

كما أخشى من المؤمنين لضعفهم في علم "الحساب"! فهم يرون أنَّ
الإيمان فقط كفيل بحل كل المعضلات، وأقول: الإيمان فقط، وبدون
عمل رشيد، لا يبني إلا قليلاً، والعمل الرشيد يلزمه علم ومعرفة
وفكر بادئ ذي بدء يقوده ويرشده ويراقبه ويُقومه.

وبدون العلم الصحيح، والعمل الجاد لن يكون هناك رشد، مهما كانت
درجة الإيمان الشعائري، الإيمان أساس البناء. إلا أنه ليس كل البناء

ومن متواتر القرآن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾
(البقرة:82) والعمل الصالح المشار إليه في الآية يحتاج إلى العلم
والفكر ثم العمل في ضوء ذلك كما أن "الكم" يهمل في معظم الحالات
عند مؤمني هذا الزمان.

قال تعالى: ما معناه في السابقين الأولين من الصحابة وفي حياة نبي
الرسالة ﷺ ﴿...إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾
(الأنفال:65)

أي: 20+ إيمان (مع عمل صالح) = 200.
ثم خفف الله سبحانه ذلك في حياة الرسول ﷺ، حيث اتسعت
دائرة المؤمنين، ولم يعودوا بقوة السابقين الأولين وصلاحهم، فكان
الوحي ﴿...فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾ (الأنفال:66).
أي: 100+ إيمان (مع عمل صالح) = 200.

ونزلت الآيات عند تساوي الوسائل لدى الطرفين في العدة والعتاد،
(السيف والرُمح والترس والخيل...)، حيث كان ذلك هو الشائع،
ويندر بين الفرقاء حينها تفوق نوعي شامل في تلك الوسائل، كما
نزلت الآيات في عصر الرشد الموحى به من السماء، أي: في حياة
الرسول الكريم الذي يُفهم الناس ويُرشدهم بما يتلقاه من ربِّ
العالمين؛ وحيث إنَّ ذلك انقطع بعد ذلك فمضاعفة القوة بالإيمان تكاد
تكون هي الحد الأقصى، الذي يمكن أن يطمح له المؤمن الحكيم عند
الحساب والتخطيط.

إلا أن مؤمني اليوم يكادون لا يرون حدًا لأثر الإيمان، وكأنهم يتصورون -بايمانهم- أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقاتل عنهم، وذلك يفضي إلى خلط التخطيط وخط التفكير، والدخول في مخاطر ومغامرات، لا يرون المسائل بضوابطها المحسوبة، كما ورد لها المثل في القرآن الكريم والمثل في القرآن حكمة بالغة خالدة، ووروده لم يكن للتسلية، بل لتفهم المؤمنين كيف تحسب موازين القوى، وكيف تُرتَّب الخطط، وحتى لا تقع في عدمية الغرور بالذنين، والغرور بطاقتنا دون مسوغ.

إنني أزعم أن عند الكثير من المؤمنين أن:

1+إيمان= 30 أو حتى 50!!

وعند بعضهم الطرف الأيسر لا يحده حدود! إذ يوظف صاحبنا قدرة الله على كل شيء، (... وهو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الحديد:2) والتي هي بغير حدود، وكأنَّ قدرة الله عز وجلَّ له معها موعد لا يخطئ! سبحان الله، لا بد لنا عقليًا ومنهجيًا الفصل التام بين قدراتنا المتاحة والقابلة للحساب، وبين الركون إلى المعجزات وقدرة الله سبحانه، لا بدَّ أن نُعقِلن حسابنا ونُمنهجه على أساس من المتاح المحسوس المحسوب، ونجعل توكلنا على الله "والتوكل من أعمال القلوب" لا حدود له ويفعل الله ما يريد.

أن لا نقدم بين يدي الله، ونحسب -مثلاً- أن جيوش الملائكة سوف
تعيننا في قتال أو تنمية، بل نُعَفَّن كل ذلك و نجيد علم الحساب
وفنون الأسباب.

تعبئة خِطْرَة

والأشد نكاية وحظراً من ذلك أن يعظ الداعية في مسائل الحركة
الاجتماعية وقضايا الأمة، بما لا يتناسب مع ظروفها وأوضاعها،
قوة وضعفاً، وتوقيتاً وإمكاناً؛ ومن ثمَّ يشحن الناس في صدورهم
أوهاماً، غير قابلة للتحقيق، ولا للتطبيق، فيتحول المستمع لهذا إلى
ساخط على كل ما حوله، حانق على مجتمعه، كاره له. وبدلاً أن
يكون الداعية مساعداً على تألف الناس، وتعاونهم وتكاتفهم، نحصد
الضد من ذلك: شباب ساخط، لا يرى في مجتمعه إلا السوء، ودواعي
الرفض، بل العدا والتدابير والفراق.

وينقسم الناس المتلقين لذلك الوعظ -الذي جانب العلم والحكمة- إلى
قسمين كبيرين:

أولهما: فريق ناظم على المجتمع جملة، كاره له، ويرى أنَّ الخلاص
في تدميره، وليس إصلاحه؛ ثم بعد تدميره، قيام بناء جديد على
أنقاضه -وبالطبع- دون منهج واضح، أو فكر ناضج. المهم عنده:
تدمير المجتمع "المتخاذل" "الفاسق" أولاً، ثم بعد ذلك نفكر كيف
نبنى البديل!

ولك أن تتصور -أخي القارئ- خطورة هذا المنحى على عقول الشباب، المصدوم بظروف أمته وضعفها.

لقد أورتنا هذا "فكر" التطرف، وشباب التكفير، والخروج العشوائي، ليس على الحاكم فقط، بل على كل شيء: الوطن والشعب والأب والأم، بل على الواعظ إيّاه الذي أسس لذلك السلوك، حيث لم يفرع بعد لقتال المجتمع!! ولقد بلغ الغلو والتنتع وفساد الفهم والتصور أن "أفتى" بعضهم بقتل الأب والأم.

لقد كان حصاد ذلك التهويل والتسخين، والتعبئة المعنوية المغلوطة والمغشوشة، بل الحافلة بالتعميم والخلط والكذب، أن أنتجت "فكراً" شائهاً شاذاً، ألا وهو القتل العشوائي، والتكفير بالجملة، ومفارقة الأمة وجوداً وشعوراً، وكل ذلك بديلاً عن الحنو عليها، والرافة بها، والأخذ بيدها برفق ورحمة، إلى صلاح تدريجي، واستقامة وقوة، تنمو وتتطور حسب الممكن والمتاح مع الأيام، ودون إفراط أو تفريط. ونداؤنا لكل داعية تقي، يخاف الله حقاً، ويتقي الله في أمة الإسلام، أن ينظر إلى المشهد، ويرى بعينه وعقله، ما جناه فكر الغلو والقتل والتكفير... باكستان تتمزق، وكذا أفغانستان والصومال واليمن والعراق وغيرها من بلاد الإسلام.

يحاول ذلك الفكر الغاشم، المنافي للعلم والحكمة، -فضلاً عن آداب الإسلام وأخلاقه- أن يجهز على تلك البلاد. ونخشى أن تكون مصر

وسوريا ولبنان وبلاد الساحل الإفريقي في الطريق إلى ذلك..
ويا شماتة الأعداء!!

نداؤنا إلى الدعاة أن يعيدوا النظر في المشهد، فليس ما يجري في
المضمار "صحوة إسلامية ميمونة"، بل كثير منه كبوة للإسلام
والمسلمين، تدمر أقطار الإسلام، وتجعلها في حروب داخلية إلى
أمد لا يعلمها إلا الله سبحانه، بل تدمر الدعوة إلى الإسلام في أرجاء
الأرض.

والظاهر أنّ الكيد "للعلمانيين!"، والخوف من شماتتهم، جعلت
الدعاة لا يتعرضون لمصيبة التطرف، وفلسفات القتل والعنف إلا
برفق "أخوي"!

ونتساءل: هل لم يعلم بعد هؤلاء الدعاة، ولم يعوا خطورة المشهد
على الإسلام والمسلمين؟!

إن التطرف الدموي، والتكفير العشوائي، يدمر الإسلام من داخله،
ويفسد التدين في صميمه وجوهره، ويصحّر بلاد المسلمين من أي
توافق أو استقرار. ومن ثم يُغلق الباب في وجه أي تقدم أو تنمية.
وانظر يا أخي الداعية -حماك الله- لحال باكستان مثلاً: إنّها بلد
إسلامي كبير، وقام أصلاً على الإسلام، إلا أنّه الآن يترنح، ويُدمر
ويتهدده التمزق والتقسيم، جرّاء المجرمين المسلحين الخوارج على
قيم الإسلام النبيلة.

وأما **ثاني** الفريقين ممن يسمع أولئك الدعاة، فهُم أناس مسالمون، إلا أن صدورهم عُيِّنت بمعلومات خاطئة عن إمكانات الأمة الحاضرة، وما تستطيع فعله وما لا تستطيع. وهؤلاء هم السواد الأعظم من الناس. ومن ثمّ تراهم يرفضون أي تحرك واقعي، يخالف ما عُيِّبوا عليه من وُعَاظهم. ففي نظرهم: إنَّ الأمة أكبر، وأغنى، وأقوى، وأعز من ذلك بكثير.

وتلك أوهام زُرعت في صدورهم، ممن لا يجيدون حسابات العصر، ولا علومه ولا تدافعاته وموازينه، بل محض وُعْظ مرسل، وكلام عام عن قدرة الله سبحانه وتعالى، ووعدته بالنصر للمؤمنين.. وذلك حق، إلا أنه لا ينطبق بمجمله على حالنا تلقائياً. بل دونه عمل جاد، لأمة متراسة متحابة، واعية عالمة دؤوبة.

نطلب من الدعاة، الالتزام بالمنهج العلمي في تناول المواضيع الخاصة بحركة الناس، وليس فقط صحة الأحاديث النبوية، وتوثيق التفسير لآيات الذكر الحكيم.

نطلب من الدعاة! دقة العلم فيما يبني على الهدى العام، الذي تأمر به النصوص المقدسة.

وكذا نطلب مع العلم وقبله وبعده، الصدق بل الصدق المطلق، وذلك يقتضي: البُعد عن التهوين والتهويل.

ليس من الصدق أو العلم أن نجعل محض الإيمان مدخلاً لكل قوة، بل الإيمان والعلم والعمل الذي يأمر به الإيمان هو الطريق لذلك.

وليس من الصدق أو العلم، أننا محض ضحايا لمؤامرات الأعداء،
وأما نحن فلا ذنب لنا إلا أننا قلنا: ربُّنا الله!

وليس من الصدق أو العلم أنَّ عصور الخلافة وقرونها الثلاثة عشر
كانت سُمناً على عسل! ولم يود بها إلى الانهيار، وذهاب الريح
وخراب الديار، إلا مؤامرات الماسونية والصليبية.

وليعلم وُعَاظُنَا الكرام، أنَّ أشدَّ ما يسعد أعداءنا، هو أن لا نفهم جذور
تخلفنا، وانحطاط مجتماعتنا. وأن نبقي نلوك الفخر بماضينا، ونجتريه
اجتراراً! ولنعلن مؤامرات الأعداء المعطلة لنا، ومن ثمَّ لا نعي الذي
أودى بنا عبْر التاريخ.

يا سادتنا: ليست المسألة ندوة شعرية، نتناذب فيها مع أعداء الأمة!
حيث نُلقي اللوم عليهم في تخلفنا، ونلعنهم ونلعن تلامذتهم من
"العلمانيين"!

المسألة أخطر من ذلك وأجل، تقدم الأمة وشفافؤها من أمراضها في
الميزان، المسألة ليست نوبة من "الردح" كما يقول العامة، بل
قضية علمية عميقة ومفصلية ولا تحتمل إلا الجد الصارم. ولنضرب
مثلاً على ذلك والأمثلة كثيرة. وأنا أعتذر من القارئ، حيث أكرر
ذلك المثل، ليس لفرادته، بل لأنَّه قريب من أجيالنا الراهنة، وله دور
كبير في تشكيل "أفكار" السياسة والإصلاح والجدل حولها في القرن
العشرين، وهو: يلطم الدعاة الوجوه دون توقف عندما يذكرون إلغاء
أتاتورك لمنصب الخليفة عام 1924.

ويقول قائلهم: كيف لهذا الماسوني سليل يهود الدونمة "كما يزعمون" أن يمزق "رمز" و"وحدة الأمة".

ونحن هنا لا يهمنا مقام الرجل، ولا ملابسات ما حدث، ولكن نسأل علماء: هل كان في عام 1924 "خلافة"؟ وهل كانت تلك، وحتى طوال القرن التاسع عشر تمثل وحدة المسلمين؟! وما حال المسلمين خلال ذلك القرن في ظلها "الميمون"؟! هل نبقى عبدة للشكل دون المضمون؟! ولنا في ذلك سوابق غريبة عجيبة، وبالذات في عالم السياسة؟

فمثلاً: بقيت الجزائر وحتى بعد خمسين عاماً من احتلالها الشنيع من فرنسا عام 1830م، جزءاً من أملاك السلطان العثماني، وشكلاً دون أي مضمون! وكذا تونس ومصر بعد احتلالهما من فرنسا وبريطانيا على التوالي! ويا شماتة الأعداء! ويا له من تضليل للحاكم والمحكوم، وتزييف للوعي وتخدير للمحكومين، من قبل المتسلطين! ألم يكن الأجدى أن نعي حقيقة ما حدث عام 1924م؟! وأنه لم يعد أن يكون دفن جثة هامدة، لا حياة فيها، بل لفظت أنفاسها منذ عقود إن لم يكن قرن قبل ذلك.

كان الأجدى للدعاة والمفكرين الغيورين، أن يبحثوا بالعلم، وحزم العقول الصادقة الحكيمة، عمّا أصاب الخلافة في تاريخها، وأودى بها إلى ما وصلت، وأوصلت الأمة إليه.

إنَّ المتضرر الأساس، بل الوحيد، من التسطيح والعويل، ومغادرة العلم والصدق، في معالجة أمورنا، هو دعوة الإسلام، وتقدم المسلمين، وتدينهم. وأنَّ المستفيد الأساس، بل الوحيد، من هذا الهذر "الفكري" في النظر للأمور، وحوادث التاريخ، هم أعداء الإسلام وأُمَّته.

لا يَظُنُّ أحدنا أنَّه بهذا التعميم والتسطيح، وتمجيد الشكل وتقديمه على المضمون، يخدم أُمَّة الإسلام، ويُخفي عورة تاريخنا عن أعدائنا. بل -واقع الحال- إنَّه يخدع أُمَّة الإسلام، ويُضللها ويجعلها تطوي وعيها على أو هام. ومن ثم يعطل تقدمها ويثلم حكمتها. كما أنَّ تاريخنا أشبعته دوائر الأعداء بحثاً وتحليلاً وتقليباً. فإن أخفينا أو سترنا، فإنما نخفي على ربنا ومواطنينا ونخدعهم ونزيف وعيهم.

التعبئة المغلوطة أدت إلى هزائم لا تنسى!

وعُنصر آخر هام في هذا المفصل المركب: التعبئة العاطفية، التي لا تقوم على حقائق العلم، ومعطيات الواقع، يقع فريسة لها الولاية، والدعاة إن قُدر لهم أن يتولوا، أو يصبحوا في مواقع المسؤولية. ومن ثم يغرقون الأُمَّة بل يحرقونها في أتونها!

وكم من فرص عملية ضيِّعت، ولم يستطع الولاية السير فيها، بسبب ضغط "الشارع"، حيث كان معباً فوق طاقة الوطن، وفوق إمكانيات الحال والواقع. ومن ثمَّ جَنَيْنَا من انطواء صدورنا على أو هام في القوة والإمكانيات هزائم لا تنسى!

ومن يستعرض تاريخ القرن العشرين وحده، يجد من ذلك الكثير وفي القضايا الكبرى، فضلاً عن الكثير في مجريات السياسات الداخلية. ونذكر في هذا المقام قضية فلسطين، ومشروع تقسيمها، وحرب عام 1956، وحرب عام 1967م، وحرب العراق مع إيران، وغزو الكويت، وحرب 2003 في العراق. وجُلُّ هذه النكبات الكبيرة، حصل بسبب البون التاسع بين مكنون التعبئة في صدور الناس، وواقع القوة والإمكانات المتاحة فعلاً في أيدي الأوطان والأمة. والله من وراء القصد،،

الفصل العاشر

الطاعة وموقعها

تقديم

يتردد في أوساط الناس كلام عن الطاعة.. حدودها ومدى إلزاميتها، فوائدها ومضارها. دورها في الإنجاز والعمل. ذلك مركب سلوكي اجتماعي إداري إنساني يستحق النظر له بعناية فائقة، والتقويم له بجد وعمق.

معنى الطاعة وجدواها

الطاعة تعني أن تأخذ بقول جارك من غيرك، وتضعه موضع التنفيذ. وأما جدوى الطاعة فتلك هي المعضلة! المعضل فيها أنها تمس عقل المتلقي، إذ تطالبه أن لا يفكر بل ينفذ

و فقط!

والحال كذلك: لا بدّ من التفصيل كي يستبين لنا متى تكون الطاعة مجدية حقاً ومتى فيها نظر ومتى لا بدّ من ردّها والوقوف في شأنها. نقول مع التبسيط والاختصار:

في الشأن العام الرسمي

ذلك يحكمه الدستور والقانون، وهما العمود الفقري للتعاهد المجتمعي الذي ارتضاه الناس لحياتهم المشتركة وذلك بأغلبهم. وبناءً على ذلك: ينبغي على كل عضو في ذلك المجتمع أن يلتزم بالدستور والقانون.

ذلك لا يعني أن الدستور والقانون مُبرؤ من النقائص، لكن استدراك النقائص له آليات أخرى... حوار مجتمعي - قرار بالأغلبية- يعتمد التغيير والتعديل... الخ.

كما لا يعني ذلك أن المطيع هو مَمَّن وافق على المُقر من القانون والدستور.. بل قد يكون من الأقلية التي لم تفر ذلك من الأساس. ولكن رغم ذلك:

الواجب والتصالح مع واقع المجتمع يفرض طاعة القانون. الإجماع المجتمعي ليس ممكناً في معظم المسائل، إلا أن التقنين المنضبط لا بدَّ منه حفظاً لمصالح كثيرة أشمل وأعم.

عن الجمعيات والنقابات

كلُّ لها -فضلاً عن القانون المجتمعي العام- نظامها الداخلي، والذي ينبغي أن لا يخالف القانون العام.

عن الأحزاب السياسية

كلُّ له نظامه الداخلي الخاص والذي ينبغي أن لا يخالف دستور البلاد وقانونها.

فما بال أحزاب تجعل جزءً من نظامها الداخلي سرًا لا يعلمه إلا
خاصتها!

في خضمّ الاضطراب الذي نعانيه في بلداننا، -وسواء في التقنين أو
العمل- شغلنا المشاغل عمّا يلزمنا لاستقرار ونهوض، فأصبحنا -
مع الأسف- ليس مجتمعًا واحدًا، بل مجتمعات تواجه بعضها بعضًا
في داخل الوطن البائس وفي الأمة التي تعاني الضعف والتمزق.

"الطاعة" بين الإفراط والتفريط

ثم لندع الآن ما قد تشمله نُظم الأحزاب الداخلية من مخالقات للقوانين
السارية، وهَبْ أَنْ أحدها التزم بالقانون، إلا أنه طلب من المنتسبين
إليه "الطاعة التامة" للأوامر التي تأتي من القيادة، فهل ذلك أمر
رشد صانع لنمو وتقدم؟

للإجابة على السؤال الأنف ذكره، لا بدّ من التذكير بكُنْه الحزب
السياسي ووظيفته:

هو تجمع بشري التقى أعضاؤه على منطلقات سياسية... نظر في
إدارة المجتمع.. وقد يشمل ذلك أيضًا منطلقات عقائدية ليست محط
حوار.

إلا أنّ الشق الأول أي المنطلقات السياسية -بطبيعته- محل حوار
فكري، وليس فيه من حتمية العلم أو قدسية العقائد شيء.

تطور المجتمع المستمر وكذا الأحداث وتدافعها، كل ذلك لا يطبق التأطير المسبق لما ينبغي عمله، وعليه الحوار والأخذ والعطاء المستمر بين منتسبي الحزب ينبغي أن يكون سيد الموقف.

الحزب السياسي بين خيارين

إمّا أن يجعل الحوار في قضايا المجتمع حكرًا على نخبة ضيقة فيه -أحاد أو عشرات- تقرر بأغلبها ما تراه راجحًا، ثم تذهب به أوامر للآلاف الصمّت أن اسمعوا وأطيعوا.

وأما الخيار الآخر: أن توسع دائرة الحوار، وأن يصبح حوارًا حزبيًا شاملًا. وخاصة أنّ الحزب يقول: أنّ أعضائه منتقون أصلاً من أهل الالتزام والفهم وليسوا عامة من العامة!

العصف الذهني

توصل العلم الحديث في قضية "الإبداع" إلى ما يسمى "العصف الذهني" (*Brain Storming Technic*) وفحواه: فتح الباب وإعطاء الفرصة لأكثر عدد ممكن من الناس أن يبدي كلّ منهم ما يرى في قضية فكرية ما، وبكل حرية ودون نقد أو إقصاء.. ثم لاحقًا تُغربل الآراء بحذر لاستخراج الأفضل والأجدر بالمتابعة والاعتناء.

وكلما كان جمع الناس هذا منوعًا في الخبرات والتخصصات والمهن والفئات العمرية والبيئات، كلما كان "العصف الذهني" أفعال وأجدي.

من المفيد أن أذكرَ مثلاً واحداً في هذا المضمار.. مثلاً ليس في السياسة بل وسائلها أفاء على البشرية قاطبة خيراً كثيراً: هو في تقنية ري المزروعات:

في أربعينيات القرن العشرين عرفت أذهان: كيف لنا أن نروي ما نزرع دون هدر للماء؟ فكان من الأفكار -المستهجنة حينها- أن ضعوا لكل نبتة صنوبراً خاصاً بها، يفتح حتى تأخذ كفايتها ثم يُغلق. بدت الفكرة لأول وهلة فجّة وعقيمة!

كيف تكون في حقول تحوي عشرات الآلاف من الشجيرات والأشجار بأنواعها.

إلا أنّ هذه الفكرة الفجّة في أيامها الأولى تعهدتها العقول المستنيرة، والتي درّبها الزمن أنّ الإبداع في العلم والوسائل هو رأس القوة والمنعة والرخاء. إلى أن أصبحت تقنية "الري بالتنقيط" المعروفة التي انتشرت وعمّت قارات الأرض جميعاً، وقامت على إثرها عشرات الصناعات خادمة لها وبسطة لتفاصيلها.

ضعف الإنسان يجبر بعضه الشورى و"العصف الذهني"

قال تعالى: ﴿...وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28).

الفرد ضعيف بذاته، قوي بغيره، كلُّ يرى الأمر من زاوية واتجاه، فتكتمل الصورة وتحصل المشورة، تلك التي أمر بها الدين، ويؤيدها العقل والعلم. ارستقراطية الأفكار والعقول لا وجود لها في الحقيقة،

بل وهم يتلبس بعض الناس. وأذكر في المقام: بثقافة الاستبداد وسلوك الاستبداد وخلق المستبدين الذي نعاني منه.

وكم من بسطاء الناس من أبدع أمرًا في التقنية والعلم غير وجه الأرض.

وأما الأخذ بالفِرادة العقلية دون المشورة الواسعة لم تكن نتيجته إلا نسبة عالية من الأخطاء بل والخطايا!

ولينظر من شاء إلى حال الأفراد والمجموعات بل والشعوب والأمم. بل وأزعم: أن كثيرًا من المصائب التي ألمت بالشعوب العربية والإسلامية وسواء في التاريخ أو الحاضر كان مردُّها نقصًا فادحًا في المشورة وغياب النظر في شتى الاحتمالات.

ما مغزى ذلك التفصيل؟

والجواب: حالنا الراهن في أوطاننا.. أحزابنا السياسية بالذات، وعلى الأخص منها أحزاب التديّن السياسي.

تلك جعلت الطاعة المطلقة ركنًا أساسًا في نظامها! لا ترى لآلاف المنتسبين لها دورًا في التطوير والنظر، بل ذلك للنخب منها وهم بالعشرات: يرافق ذلك تضخيم فائق لدور الرئيس أو المرشد أو الأمين العام، حيث يرجح رأيه -بلسان الحال- فريق كامل من تلك النخب، بل يرجحها جميعًا في كثير من الحالات.

لسان حال هؤلاء بناه التاريخ:

فالرئيس في مقام الخليفة الغائب أو القادم، وليس من الأدب أو المصلحة تصغير مقامه، بل الأولى طاعته!

ذلك عَوْدٌ غير حميد إلى الانقياد لنظر الفرد ورأيه، في عصر العلم والتدافع الهائل على الأرض وفي القرن الواحد والعشرين!

يقول هؤلاء: إنَّ منتسبيهم منتقون بعناية فائقة وهم صفوة المجتمع، بل أكثر من ذلك! - مثلاً- قول مؤسس أكبر حركات التديّن السياسي في زماننا: الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله - حيث قال¹:

(نحن أيُّها النَّاسُ -ولا فخر- أصحاب رسول الله ﷺ وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا ورحمة الله للعالمين ﴿وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾) انتهى.

فهل بعد ذلك تزكية للمنتسبين للحزب في مقابل عشرات الملايين من المسلمين؟

هل يجوز بعد هذا أن يكون هؤلاء -وفي غالبيتهم العظمى- محض مادة للطاعة المطلقة ليس إلا؟! عقولهم معطلة عن التفكير فيما فيه سعة ونظر؟ ذلك ليس هيئاً! بل هو فقه الحركة كلها وتدبير الحاضر والمستقبل.

الصفوة وغير الصفوة ليس لهم قول في محكمات الدين بل عليهم التسليم والإيمان. ولكن ما بال ما دون ذلك؟

¹مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا - دار الشهاب- ص106.

وكم من أذكىء أهل قلوب وعقول واعية نصحوا وقدموا من فكرهم ما ينفع. وكان المقابل الجفاء والاتهم.

قال ﷺ: " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده"¹.

عن الشورى الداخلية عند الأحزاب "الإسلامية"

تلك عليها ملاحظات وازنة كما سبق البيان، لا بد من الدراسة والمتابعة والمعالجة.

تسود النمطية الثقافية بين المنتسبين -فهم في الأعم الأغلب- يقرؤون ذات الكتاب، ويسمعون ذات الأقوال. كما أن الشعار "العيش في جماعة" أتم الحصار الذهني.

لسان حال الداخل يقول: ما يكتب في عالم اليوم لا فائدة منه، أو فضول لا ييسمن ولا يغني من جوع، لدينا الكتاب والسنة وكفى.

وأنا أقول: نعم: ثقافة العصر الراهن فيها الكثير من هذا القبيل، ولكن فيها أيضاً غير ذلك الكثير. ولا يمكن إدارة الواقع بحكمة ورشد دون الفهم العميق لحال العصر ولشؤون الدنيا ولما يعيشه الناس.

الله سبحانه وتعالى أمرنا في الكتاب والسنة أن نحوز علماً بعقولنا لم يدون في الوحي الخاتم. علم في أمر الدنيا ومن ذلك: قال ﷺ: "إذا

¹ أخرجه أبو داود في الديات، باب: أيقاد المسلم بكافر (3927)، والنسائي في القسامة، باب: القود بين الأحرار (4653).

كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به وإذا كان شيء من أمر دينكم فإليّ¹.

ثم فضلاً عن النمطية الثقافية السائدة، هناك قدرٌ كبير من التوسل بالمقدس اللدني، لتمرير وتصويغ غير المقدس الاجتهادي. ومن ثمّ تفويت الفرصة على النظر بحرية وروية وهدوء.

الشورى المعاصرة علمٌ كبير

لا يخفى أنّ الشورى ليست إجراءً لرفع العتب! ثم تمرير ما خطه البعض.. بل دورها أعمق وأشدّ خطورة.

فإن كانت صادقة وعلمية ومُستوفية لشروطها الحقّة، جنى منها الناس الخير الكثير وتجنبوا بها أيضاً مصائب وكوارث.

مقالنا الراهن ليس موضوعه "علم الشورى" ولكن فقط للإشارة ولفت الأنظار.

وأما الموجز: الهدف الاسمي للشورى وبآلياتها وأساليبها وما تنتجه من حرية وأمن واحترام للعلم ومساواة بين الناس أن يصبح ولاء الكل للحق والعلم ليس إلا، وليس للهيئات أو الأشخاص.

أن يستخرج المجتمع درر عقول منتسبيه! أن يتوسل المجتمع هؤلاء ويأزهم أزا على إخراج ما يروه وبكل حرية وأمان.

¹ أخرجه أحمد في مسنده (12086).

وإلى أن يصبح إخراج المكنون في الصدور من أفكار صدقة يتصدقها القائل على المجتمع، وليست منة من أحد، أو فضلاً على القائل.. عندها نكون قد وصلنا إلى بدايات الفهم لدور الشورى.
نجبر ضعف الفرد وعقله بأن نضم آلاف العقول معاً في بوتقة الشورى وذلك للخروج بأفضل الأفكار.. وعلى الله قصد السبيل.

كوارث أصابت الأمة جرّاء العجز في الشورى

في التاريخ الكثير وأضرب مثلاً واحداً كبيراً على ذلك:
هل تساءل أحدٌ يوماً: لماذا دخلت السلطنة العثمانية الحرب العالمية الأولى؟!!

قليلٌ من تساءل!

على أي حال:

تلك حرب كانت بداياتها صراع الإمبراطورية النمساوية المجرية مع مستعمراتها. وعندما توسعت انضمت روسيا وفرنسا وبريطانيا، ثم انضمت ألمانيا لنصرة النمسا.
ثم بالتداعي نظراً لصداقة تركيا مع ألمانيا انضمت تركيا لنصرة ألمانيا.

الشاهد: أنّ الحرب أوروبية في أصلها وهي صراع على المستعمرات. علاقة السلطنة العثمانية بالموضوع واهية تماماً!
إلا أنّ السلطان ومن حوله من حزب الاتحاد والترقي اتخذوا القرار!!

ذلك القرار -كان في حقيقته- هو إنهاء السلطنة العثمانية من الوجود،
ولكن لا يشعرون!

السلطنة لم تكن -لا شكلاً ولا موضوعاً- قادرة على خوض حرب
مع القوى الكبرى حينها. وقد كانت تترنح لقرنين من الزمان قبل ذلك.
لم ينقذها من السقوط إلا تنافس قوى الغرب على تَرْكَتِها. لماذا زيادة
الطين بلة ودخول ذلك الحريق الهائل.

ولكنه التصرف في الشأن العام دون شورى أو علم ومن دون أي
قول للشعوب.

كوارث في القرن العشرين

نكبة فلسطين:

منذ وعد بلفور في القرن العشرين وختامها قيام الكيان الصهيوني
عام 1948م على 80% من أرض فلسطين.. فاقم التيه في السياسة
وإدارة الصراع الجهل بالواقع المحلي والإقليمي والعالمي ونقص
الشورى والمشورة.

حرب عام 1967م:

سياسة عدمية اختطها قلّة أو فرد مع غياب عن الواقع.. وتغيب
للشورى والمشورة.. بل وهجر للعلم والحساب.

حرب العراق مع إيران عام 1981م وغزو الكويت ثم رفض

الانسحاب منها دون حرب:

حدث لذات الأسباب: الجهل بالواقع وتغييب الشورى ودون العلم والحساب.

ودع عنك: التخبط الاقتصادي والسياسي والأمني.. ذلك وراءه ثقافة الفُرادة وهجر الشورى والمشورة والجهل بالواقع. وتجاهل الحساب والعلم ...

إصرار عقول قليلة لديها السلطة والقوة أن تفكر للملايين وفي غياب إرادتهم.

ومثال واحد في القرن الراهن

ما حدث في مصر أوائل يوليو تموز 2013: انتفض الشعب المصري، وخرج بالملايين - خروجًا سلميًّا- مطالبين بانتخابات رئاسية مبكّرة.

قبل ذلك بشهور تصاعدت الأزمة السياسية في البلاد إلى أن وصلت إلى الخروج الشعبي الكثيف.

للأسف!.. البعض تصوّر أنّ الخلاف على عدد المتظاهرين.. الزمن مختلف، الحدث صوّرته الأقمار الصناعية ووسائل الإعلام الحديثة.. وعاشه الناس بالنقل المباشر والمعينة.

ذلك لا يخفى على مَنْ يطلب الحقيقة ولا يصر على تجاهلها!

رفض الرئيس وجماعته سماع الناس!

الحل -فيما أرى- كان بسيطاً جداً: أن يخرج الرئيس على شرفة
القصر ويوافق على انتخابات رئاسية مبكرة خلال ثلاثة أشهر مثلاً،
يرشح فيها نفسه أو غيره ويعود الناس إلى بيوتهم.
لكن للأسف.. كان القرار هو تجاهل ما طلبه الملايين¹.. فكان ما
كان.

ثم: حتى بعد ذلك بأيام تقرر إجراء انتخابات رئاسية مبكرة، ودُعِيَ
حزب الرئيس -الحرية والعدالة- للمشاركة في العملية السياسية إلا
أنَّ القرار كان: لا.. بل المواجهة.
موقف القيادة والحزب كان مأساوياً في بُعده عن الرشد والحكمة
فضلاً عن الواقع.

اختار هؤلاء قلب المنضدة كاملة على أنفسهم. ثم دماء واعتقالات
وتشريد وسجون وضياع للأرزاق والأموال. وكذا مساهمة مفصلية
في زيادة الفقر والحيرة وفقدان الأمن لشعب مصر.
كبيرة سياسية فادحة تم ارتكابها باسم التدين والعمل السياسي
الإسلامي.

ما هذا التيه؟ ما هذا التخبط؟

¹ قال أنصار الرئيس: الرجل انتخب لأربع سنوات.. دعوه لمدته ثم نرى. هذا القول مخالف للديمقراطية والتي من آلياتها وعند تآزم الأوضاع السياسية أن يتم اللجوء للانتخابات المبكرة وسواء الرئاسية أو البرلمانية وقد تعهد بذلك د. مرسي عند انتخابه أمام المصريين في ميدان التحرير.

هل نتعلم من الآخرين

الشورى الداخلية في أحزاب التدين السياسي تغلب عليها الشكلية. وقد سبق لي أن أشرت إلى الأسباب الذاتية.

وأما السبب الآخر الكبير فهو أن نبض الناس وأقوالهم خارج إطار تلك الأحزاب - وهم الأغلبية الساحقة- مُغَيَّب بل مُحْتَقَر!

هذه الأغلبية -في نظر منتسبي التدين السياسي- لم تهتد بعد لجنة الفكر التي ينعم بها سياسي التدين!

يا حبذا لو كان ذلك صحيحًا، إلا أنه بعيد عن الواقع وصحيح الثقافة فضلاً عن علم السياسة.

نمطية في الثقافة ونظر للتدافع القائم في العالم غاية في التبسيط: مؤامرات ثم مؤامرات ولا يعوزنا شيئاً إلا التمكن من السلطة! ثم إصرار على المقولات والوسائل المجربة، والتي ثبت فشلها، وحتى لو وظفت الدماء وضحى الناس بالأرزاق والعمران.

الشاهد: نحن المسلمين بحاجة ماسة للنظر في أمرنا لاستدراك ما فاتنا وهو كثير.

نظام الحزب المغلق لم يعد يُجدي

ثقافة العصر جد مختلفة.. ما أتاحه العلم من وسائل تعز على الإحصاء.

المُتَمَنِّعُ في الأحزاب العصرية السَّوِيَّة هو ديمقراطية الحزب في إطار الديمقراطية للمجتمع.. الحزب ليس جدراناً أربعة وسقف، بل فضاء مفتوح.. تيار فكري عام.

وأضرب مثلاً حياً

التدوين السياسي الراهن بأحزابه وحركاته جميعاً يمكنه أن يكون تياراً واحداً.. أي حزباً عصرياً مفتوحاً واحداً، وذلك إن صح العزم من قاداته وأهل القول فيه. ما الذي يجمع هذا التيار -الحزب الواحد-: إقامة سلطة عامة بمرجعية إسلامية.. المرجعية قطيعات الوحي في مجتمع ديمقراطي تعددي حر.

وأما ما خلا ذلك فالتيار أفق مفتوح للجميع ودون إحصاء أو تحديد أو فصل عن المجتمع أيّاً كان.. الفرد في ذلك التيار سيّد فيما يقول وما ينتج من أفكار.

والتجربة عند غيرنا: أنّ نظام التيار هذا حقّق: كثافة الانتساب له وحرية الأفراد وغازرة الإبداع السياسي.

معظم الأحزاب السَّوِيَّة في أوروبا وأمريكا أخذت بنظام التيار هذا.. لم يعد ممكناً ولا مجدياً الحجر على العقول وبأي طريقة من قبل قلة مؤسسة لحزب أو حركة أو وارثة للتأسيس. ذلك زمن انقضى بما له وما عليه.

نحن في أزمة عقل وفكر

لا أمل التكرار: أمة الإسلام مُصابها في عقلها أن جُمِد وتجمد في بيئة جعلته خارج التاريخ وخارج العلم. وأسوأ ما في هذا: أن كثيراً من هذه الأزمة صنعها أناس يقولون بشعار الإسلامية.

ولا زلنا نرى استمرار ذلك التيه في واقعنا الراهن، حيث النداء للنمطية والطاعة المطلقة!

الأفراد ليسوا جنوداً

ويخطر ببال أحدهم: هؤلاء جنود، ألا ترى ما في الجندية من طاعة مطلقة مدونة في القانون العسكري؟ نعم تلك حقيقة، ولكن ذلك إسقاط ليس في محله، وتقريب مخل، ودمج للمصطلحات والمجالات.

الأمر بحاجة إلى نظر أعمق من طلاء القشرة. مهمة الجيش - كمؤسسة- محددة بحماية الحدود وذلك بضوابط الدستور والقانون فقط!

ليس من مهام الجيش الحوار في قضايا الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد. تلك مكانها مؤسسات أخرى غير الجيش.

مهمة الجيش تقنية فنية محضة أي علمية.. يقود فصائل الجيش ضباط محترفون في تلك العلوم والفنون، يتدرجون في عمق علمهم وخبرتهم وفق رُتبهم. الجنود ليس عندهم ذلك العلم، ومن ثم طاعتهم

للضباط هي طاعة لعلم معروف مستقر وليس لرأي ما. تلك هي الهيكلة القانونية لمؤسسة الجيش.

ذلك هو المُتبع أيضًا في شتى المرافق التي تحوي مجموعات بشرية يقودها خبراء في مجال نشاطها.

وقد يحتج من يقول: إنَّ من الجنود مَنْ لديه أكثر من الضابط. ذلك قد يصح في نواذر، ولكن الهيكل العام تحكمه السارية الغالبة.

والوجيز في هذا: أنَّ الجيش مكلف بمهمة محددة لا خلاف عليها، وهي حماية الحدود، وينفذ هذه وفق العلم في هذا الشأن، والجندي في هذا يطيع العلم وليس مَنْ قال به وهو في حالتنا الضابط.

الحزب السياسي أمرٌ مختلف

وأما في حالة الحزب: قضايا المجتمع والسياسة ليست ناضجة ومحركة كعلم يأخذ من عارفين به وكفى. ولينها كانت كذلك.. إذا لأرحنا واسترحنا.

بل مسائل فكرية حمّالة أوجه وفيها تنوع وسعة وهي موضوع الشورى التي أمر بها القرآن ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ (الشُّورى:38). تلك من "أمرهم" الذي ليس فيه حتمية علمية مستقرة نأخذ بها من العالمين بها ونستريح.. بل الشورى والعصف الذهني فيها واجبٌ على كل قادرٍ عليه.

فرق حاسم بين الشعار ورافعه

الشعار شيء ورافعه شيء آخر. ولو كان كل من رفع شعارًا أمكنه العمل به حقًا لانتهت مشاكل البشرية منذ فجر التاريخ. الشعار أمل ورافع ذلك الأمل -الإنسان- ضعيف، قد ينال بعضًا مما قصد، وقد تغره القوة إن تمكن، وتغلبه الشهوات وينسى ما قام من أجله.

كما أنّ الشعار ذاته في تركيبه ووسائل تحقيقه فكر نظري من صنع البشر، والحال كذلك ينبغي أن يعاد النظر فيه على ضوء التجارب وتغير الظروف.

... تماهي الشعار أو دمجها في المقدس اللدني لا يصح وضار بالناس وسواء برافعي الشعار أو غيرهم.

وأما حال حاملي الشعار فحدث ولا حرج، بشر من البشر فيهم أشكال وألوان وفي تقلب وتغير مستمر. النفس اللوامة حاضرة ولكن أيضًا الشيطان والشهوات.. فإن أمن بعضهم وتمكّن دون رقيب أو حسيب -خلا الاحتماء بقديسية الشعار- سنرى العجب وقد رأينا في التاريخ والحاضر الكثير.

الشاهد: أنّ المراقبة والمتابعة والمحاسبة لمن يتولى الشأن العام من قبل أصحاب المصلحة -الشعب- هي مسألة خيار بين التقدم والتخلف وبين العدل والظلم وبين القوة والضعف وبين الاستقرار والفوضى وبين الصلاح والفساد.

التمكين للشعب وحده أن يولي لمصالحه من يشاء ويُقيل من ذلك من

يشاء. تلك هي مهمة العقلاء والحكماء والشرفاء.

كل مَنْ يعمل في الشأن العام محض موظف مستعمل بأجر عند

صاحب المصلحة والأمر: الشعب السيّد.

والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون

وفي الختام: احتسب ما قدّمت من جهد في هذا الكتاب صدقة جارية

لوجه الله تعالى.

فإن أصبت فبتوفيق الله سبحانه، وإن أخطأت فمن نفسي.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

انتهى بفضل الله في 18 ربيع أول 1444 هـ

الموافق 2022/10/14

الملحق رقم (1)

وصية الإمام علي - رضي الله عنه - الخاصة

من تسجيل للأستاذ/ أحمد الكاتب المتخصص في التاريخ

الشيوعي مأخوذ من اليوتيوب¹

العنوان: هذه وصية الإمام علي ولا حديث فيها عن

الإمامة!

[حلقتنا لهذه الليلة هي وصية الإمام علي - عليه السلام-، لا ذكر لنظرية الإمامة الإلهية فمن أين جاءت؟ سألني الأخ سالم الحمّد يقول: ما هو تعليقك على وصية الإمام عليّ اعتقد أنّ لك أجر المؤمنين الذين عذبهم كفار قريش، يا شيخ يجب أن تعلق على هذه الوصية، سيدنا الإمام علي - رضي الله عنه وأرضاه-، والوصية موجودة في كتاب الكافي الكليني جزء سبعة صفحة 49، أي واحد ممكن أن يراجع الوصية، والوصية معروفة، وقد راجعتها أنا أيضا وهي في الحقيقة يرويها الكليني عن طريق التقاة واحد واحد، يجيبهم هو أنّ هناك وصيتين للإمام عليّ إحداهما خاصة في شؤونه وأمواله

¹ تم تفريغ التسجيل كما هو بنص كلام الأستاذ/ أحمد الكاتب.

الخاصة والأخرى عامة في آخر حياته، عندما ضرب بعدما قبل أن يستشهد، الإمام أوصى بهذه الوصية العامة، وهما الوصيتان تخلوان من الإشارة حتى إشارة بسيطة، تخلوان من الإشارة إلى نظرية الإمامة الإلهية والنص عليها، والعصمة والسلالة في أبناء الحسين، في أبناء كذا أصلا ما كانت معروفة عن الإمام علي، ولا عن أهل البيت، والوصيتان لم تتعرضا لأي من نظريات الغلاة المثالية الخيالية العقيمة التي أدخلوها في التشيع، وخرّبوا الشيعة والتشيع، بالحقيقة بالتالي فهنا يقول الكليني عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شهذان عن صفوان بن يحيى عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: بعث إليّ أبو الحسن موسى -عليه السلام- بوصية أمير المؤمنين -عليه السلام- وهي: بسم الله الرحمن الرحيم خلينا نقرأ الوصية ونشوف شنو كان الجو تلك الأيام، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة، ويصرفني به عن النار، ويصرف النار عني، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، أن ما كان لي من مال بينبع (منطقة بغرب السعودية غرب الحجاز) يُعرف لي وما حولها كلها صدقة ورقيقها أيضا، غير أن رباحًا وأبا نيزر وجبيرًا عتقاء ليس لي لأحد عليهم سبيل، فهم موالى يعملون في المال خمس حجج أي خمس سنوات، ويتحررون يروحون وفي نفقتهم ورزقهم وأرزاق أهاليهم، مع ذلك ما كان لي بواد القرى أيضا

عنده مزرعة هناك كله من مالِ لبني فاطمة ورقيقها صدقة، وعندما تولى الخلافة وسار إلى العراق في الطريق في مسكن منطقة اسمها مسكن كتب هذه الوصية، بيده، وقال أني أتصدق بأموالي، ومع ذلك وما كان لي بديمة وأهلها صدقة، غير أن زريق له مثل ما كتبت لأصحابه كان يوصي إلى بعض العبيد إليّ كان عنده وما كان لي بأذين وأهلها صدقة، والفقيرين كما علمتم صدقة في سبيل الله وأنّ الذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلك المنطقة حيّاً أن أو ميتاً يُنفق في كل نفقة يُبتغى بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرّحم من بني هاشم وبني المطلب العشيرة الكبيرة، يعني والقريب والبعيد، فإنّه يقوم على ذلك، شوفو الكلام المهم في الوصية، فإنّه يقوم على ذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف، باعتباره مدير هذه الأوقاف، يأكل منه بالمعروف، وينفقه حيث يراه الله عز وجلّ في حلٍ مُحلل لا حرج عليه فيه، فإن أراد أن يبيع نصيباً من المال فيقضي به الدين فليفعل إن شاء الله ولا حرج عليه فيه، وإن شاء جعله سراء المُلْك وإنّ وُلد عليّ مواليهم و أموالهم إلى الحسن بن علي هو يتصرف فيهم يقرر فيهم، يعني وإن كانت دار الحسن بن علي غير دار الصدقة إذا عنده بيت آخر، فبدا له أن يبيعها فليبيع إن شاء لا حرج عليه فيه، وإن باع فإنّه يقسم ثمنه ثلاثة أثلاث فليجعل ثلثاً في سبيل الله وثلثاً في بني هاشم وبني المطلب، ويجعل الثلث في آل أبي طالب، أي أخص هؤلاء، وأنّه يضعه فيهم حيث يراه الله بعد

هنا الأشياء المهمة الدقيقة، يعني وإن حدث بحسن حدثٌ وحسين حي
فإنه إلى الحسين بن علي هو يتصرف يكون مدير، وإن حُسَيْنًا يفعل
فيه مثل الذي أمرت به حسناً لهو مثل الذي كتبت لحسن، يعني يأكل
بالمعروف وعليه مثل الذي على حسن وإنني في بني في رواية
أخرى ابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي، وإني إنما
جعلت للذي جعلت لابني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل وتكريم
حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمهما وتشريفهما
ورضاهما، وإن حدث بحسنٍ وحسينٍ حدثٌ فإن الآخر منهما ينظر
في بني عليّ يشوف هو يعني في مصلحة بني علي، فإن وجد فيهم
من يرضى بهداه وإسلامه وأمانته، فإنه يجعله إليه إن شاء الله عندما
يريد يموت مثلاً يوصي واحد آخر من أبناء الإمام علي وإن لم ير
فيهم بعض الذي يريده، يعني ما شاف واحد صالح وقادر وكفو لإدارة
هذه الأموال والصدقات، وإن لم ير فيهم بعض الذي يريده فإنه يجعله
إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به آل أبي طالب، يعني أبناء عقيل
وأبناء جعفر مو شرط من أبنائي أنا ما كان في فكره حتمًا راح إيجو
سلالة معصومون مُطَهَّرُونَ، هم أئمة من الله، ما كان الإمام يعرف
هذا الشيء؛ فلذلك يقول: أنت ما شفت واحد صالح وديه لواحد من
آل أبي طالب، فإن وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراءهم و ذوو آرائهم
ناس العقَّال الحكماء، فإنه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم خلي
يوسع الدائرة يروح لبني هاشم أي واحد من بني هاشم رجَّال "خوش

أدمي" خليه إيدير هذه الصدقات، وإنه يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله و ينفق ثمره؛ حيث أمرته به في سبيل الله ووجهه وذوي الرّحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد هاذ ينفق الناس دول يعني لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يُورث، وإن مال محمد بن علي على ناحيته، هذا ابنه ابن الحنفية يعني وهو إلى ابني فاطمة، وإن رقيقي الذين في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عتقاء الرقيق كلهم عتقاء أيضاً، هذا ما قضى به علي بن أبي طالب في أمواله هذه الغد من يوم قَدِمَ مَسْكَنَ ابتغاء وجه الله والدار الآخرة والله المستعان على كل حال، ولا يجل لإمرء مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء قَضَيْتَهُ من مالي، ولا يخالف فيه أمري من قريب أو بعيد، لاحظت الدائرة ممكن أبناء علي الحسن والحسين واحد صالح وكفو وقادر رُوحو لآل أبي طالب مو آل أبي طالب رُوحو لبني هاشم، ثم أيضاً تحدث الإمام عن ولأئده يعني الإيماء الذي كان عنده اللائي يطوف عليهن السبعة عشر أمهات الأولاد والإيماء أيضاً يعقهن الإمام علي إما باعتبارهن أمهات الولد أو ما أمهات تعتق، هذا ما قضى به علي في ماله الغد يوم قَدِمَ مَسْكَنَ شهد أبو سمرة ابن برهة وصحصة ابن صوحان ويزيد بن قيس وهياج ابن أبي هياج وكتب علي ابن أبي طالب بيده لعشرِ خَلَوْنِ من جمادى الأولى سنة سبعة وثلاثين، لاحظتم كيف يعني شوفو الثقافة الموجودة عند الإمام علي أو الفكر الموجود أنه طب هو لو كان

يعرف سيكون قائمة من أولاده ومن أبناء الحسين فقط كان قد قال أمواله وصدقاتي حطوها للحسين وابن الحسين زين العابدين ومن بعده محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم هذه الوصية موسى الكاظم مقدمها مروية عن الإمام موسى الكاظم وما فيها أي إشارة لا موسى الكاظم ولا جعفر الصادق ولا محمد الباقر ولا زين العابدين فلاحظوا يعني نستفيد منها أنه نظرية الإمامة أيضا لم تكن موجودة حيننا نشوف الوصية الأخيرة التي أوصى بها الإمام، وهي وصية عامة أيضًا لا إشارة فيها إلى نظرية الإمامة أو الاثنا عشرية أو كذا أبدا ما فيه أي إشارة، وهذه وصية معروفة عند كل الشيعة يعرفوها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به علي أبي طالب أوصى، أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وآله، ثمَّ إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له، وبذلك أُمرتُ وأنا من المسلمين، ثمَّ إنِّي أوصيك يا حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، فإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإنَّ المبيدة الحالقة للدين فساد ذات البين التي تدمر الدين يعني ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، هذه وصية لعامة المسلمين الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من عال يتيمًا حتى يستغني أوجب الله عزَّ وجلَّ له بذلك الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار، الله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به أحدٌ غيركم الله الله في جيرانكم فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى بهم، وما زال رسول الله يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، الله الله في بيت ربكم، فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا وأدنى ما يرجع به من أمَّة يغفر له ما سلف، الله الله في الصلاة إنها خير العمل إنها عمود دينكم، الله الله في الزكاة فإنها تطفى غضب ربكم، الله الله في شهر رمضان فإنَّ صيامه جنةٌ من النار، الله الله في الفقراء والمساكين شاركوهم في معاشكم، الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وأسننتكم، فإنما يجاهد رجلان إمامٌ هدىً أو مطيع له مقتدٍ بهداه، الله الله في ذرية نبيكم فلا يُظلمنَّ بحضرتكم وبين ظهرانكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم، الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثًا ولم يؤووا مُحدثًا، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث، الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم، فإنَّ آخر ما تكلم به نبيكم -عليه السلام- أن قال: أوصيكم بالضعيفين النساء وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم يكفيكم

الله مَنْ أذاكم وَمَنْ بغى عليكم، قولوا للناس حُسْنًا كما أمركم الله عزَّ وجلَّ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولي الله أمركم شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم، عليهم وعليكم يا بني بالتواصل والتبادر والتبادل والتبار وإياكم والتكاطف والتدابير والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إِنَّ الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيتٍ وحفظ بكم نبيكم، استودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لن يزل -عليه السلام- يقول: لا إله إلا الله لا إله إلا الله حتى قُبِض، صلوات الله عليه ورحمته في ثلاث ليالٍ من العشر الأواخر ليلة الثلاثاء وعشرين من شهر رمضان ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة، وكان ضُرب ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان شوفو هذا خُطب الإمام علي ليس فيها أي إشارة لموضوع الإمامة ما قال: الله الله في الأئمة مثلاً فإذن هذه النظريات الدخيلة التي افتعلها الغلاة المتكلمون في القرون اللاحقة ما كان له وجود في تلك الأيام، طبعاً هذا جزء قليل واحد من عشرات الأدلة والأحاديث والمواقف التي وقف فيها الإمام علي بايع الخلفاء السابقين، وتحدث عن الشورى ولم يوص إلى الحسن بالخلافة كلها، تدل على أنَّ نظرية أهل البيت كانت الشورى، ولم تكن نظرية العصمة والنص وحصر الإمامة والحكم والخلافة في سلالة معينة مثل الملوك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته].

الفهرس

4.....	<u>المقدمة</u>
13.....	<u>الفصل الأول</u>
13.....	دين الرحمة للعالمين
13.....	مازق حضارة العصر:
16.....	أثر الزمان والمكان
17.....	رحمة عامة للعالمين
19.....	عبادة الأعمار مهمة البشر جميعاً
21.....	لا تعدل جناح بعوضة!
21.....	المشترك الإنساني
23.....	حلف فضول كوني
24.....	في رحاب آية
25.....	إعمار الأرض مهمة لكل بني آدم
29.....	الدين والحياة العامة
34.....	من وحي آية: - "الأمانة" هي "الحرية"
36.....	الدين والتدين من منظورين: ولكل أن يختار
37.....	عن العلمانية: أين اللقاء وأين الخلاف
37.....	أولاً: تقديم
38.....	ثانياً: عن مفهوم العلمانية

- 43.....الموقف من العلمانية
- 43.....أولاً: تقديم
- 48.....عَوْدٌ إلى الجذور
- 53.....عن منتجات الحضارة المعاصرة
- 55.....عن حوار الأديان
- 56.....تعقيب وتوضيح
- 57.....الفصل الثاني
- 57.....في الغلو العلماني
- حوار د. عبد الوهاب المسيري مع د. عزيز العظمة
- 57....."نموذجاً"
- 62.....كلام فوق الفلسفة المادية، وفوق غرورها!
من عجائب القرآن: الطريق للسلام في الدنيا والفوز
بالآخرة
- 64.....
- 65.....تاريخ حافل
- تعقيب لا بدّ منه: عن بعض من دور المسلمين في النهضة
الأوروبية
- 66.....
- 69.....الفصل الثالث
- 69.....مقابلة بين كتابين
- 69.....كلمة مستحقة وتوضيح واجب
- 77.....ثم عودٌ إلى موضوع الفصل: مقابلة بين كتابين
- 77.....تقديم

77.....	وأبدأ بالكتاب الأول: "الردّة عن الحرّية"
77.....	تقديم
80.....	في الموضوع
82.....	أخي الكريم
101.....	أين الفقه في "حلف الفضول"
104.....	أين النّفس اللوامة!
106....	ما يدبُّ عنه الغالون أفضى إلى حرق الشام والعراق
107.....	غلو بلا حدود!
108.....	مآلات الخطاب المُغالي
111.....	خطر الغلو والتطرف يهدّد وجود الأمة
112.....	إبادات التاريخ
115.....	وأما الكتاب الثاني: بعنوان "فكرنا السياسي"
121.....	حوار مع الكتاب الثاني
121.....	أولاً: في الدولة المدنية
126.....	ثانياً: ضغوط العلمانية والعولمة
127.....	ثالثاً: في استغلال التدين عندنا وعند غيرنا
133.....	خاتمة الفصل
137.....	<u>الفصل الرابع</u>
137.....	منهاج الدعوة للإسلام
142.....	الهوية الإسلامية

145.....	<u>الفصل الخامس</u>
145.....	عن الوهابية
153.....	<u>الفصل السادس</u>
153....	دمج السياسة بالدعوة، أزمة للدعوة وللسياسة معاً!
157.....	لا بدّ من خطاب عصري
159.....	<u>الفصل السابع</u>
159.....	جذر الغلو عند الشيعة
159.....	تقديم: الروايات التاريخية ومنهج العلوم
	علوم الاجتماع الإنساني - ومنها التاريخ- علوم من
159.....	العلوم
160.....	بيان مستحق!
161.....	المسلمون ورسالتهم
162.....	المشهد الراهن
163.....	المنهج التجريبي والرواية التاريخية
163.....	عن "تجربة الزمن الممتد"
164.....	الزمن حياة أجيال
166.....	عن الخلاف بين السنة والشيعة
167.....	جذر الخلاف بين السنة والشيعة
170..	التجربة الأولى: الفترة بين الغدير ووفاة رسول الله ﷺ

- التجربة الثانية: وفاة رسول الله ﷺ واختيار أبي بكر- رضي
الله عنه -للخلافة.....173
- ضلال البحث في ملف الغدير.....174
- وأما التجربة الثالثة: بعد مبايعة علي- رضي الله عنه -لأبي
بكر- رضي الله عنه-.....179
- وأما التجربة الرابعة: في خلافة عمر- رضي الله عنه-..180
- وأما التجربة الخامسة: علي- رضي الله عنه -عضو في
مجلس الشورى بعد وفاة عمر- رضي الله عنه-.....180
- وأما التجربة السادسة: ما نافح به علي- رضي الله عنه -
عن خلافته في "نهج البلاغة".....180
- وأما التجربة السابعة: فهم الشيعة للغدير يجعل عليًا- رضي
الله عنه -لم يحفظ الأمانة؛ وحاشاه.....181
- وأما التجربة الثامنة: بعد مقتل عثمان- رضي الله عنه -قال
علي: "دعوني والتمسوا غيري".....182
- وأما التجربة التاسعة: تولى علي- رضي الله عنه -الخلافة
ولم يشتر يومًا للغدير.....183
- وأما التجربة العاشرة: في النزاع مع معاوية- رضي الله
عنه -لم يشتر علي- رضي الله عنه -للغدير.....184
- وأما التجربة الحادية عشر: وصية الإمام علي- رضي الله
عنه -وهي فصل الخطاب!! قال فيها: إنَّ الرسول ﷺ لم
يستخلف أحدًا بعده.....185

- أين فقه الإمام علي- رضي الله عنه -ووصاياه ممّا يزعمه
 190..... معاصرو الشيعة
- وأما التجربة الثانية عشر: سيرة السبطين الحسن
 191..... والحسين- رضي الله عنهما-
- 191..... سقوط كثير من الباحثين
- 193..... الشرك العصري
- 195..... الطعن في القرآن
- 196..... كما لا بدّ من النُصْح: ثلاث آفات ماحقة!
- 196..... أولاها: زواج المُتعة في نسخته الحاضرة!
- 199..... وأما الثانية: فهي آفة الكذب..
- 200..... وأما الثالثة فهي: "بهتان الخصم"
- بحث ليس على منهج العلم! ومن أزمة الفكر التي
 201..... نحيها
- 201..... حكم سطحي يعوزه العلم
- 203..... مَنْ أنت نسبة لمن شَهد
- 205..... أليس علي- رضي الله عنه -كافي في أمرٍ يخصه؟
- 208..... مذهب السلف وتجديد ابن تيمية!
- 213..... مرض الرسول ﷺ ووفاته
- ماذا عن الحال الراهن: بدع ودماء وشق للصّف
 214..... المسلم
- 216..... غلو في علي- رضي الله عنه -لا يقره دين ولا علم

224.....	قضية "كسر الضلع"
225.....	استشهاد الحسين- رضي الله عنه-
247.....	<u>الفصل الثامن</u>
247.....	لمن يعتبر: !الشورى
247.....	تقديم
248.....	فما العمل.....
249.....	المسلمون والتاريخ.....
250.....	شورى الشعب.....
253.....	حال التدين السياسي المعاصر.....
254.....	ما الذي ينبغي إنجازه.....
256.....	وأهمس في آذان الحركيين الإسلاميين.....
267.....	<u>الفصل التاسع</u>
267.....	التعبئة المعنوية: بين الإفراط والتفريط.....
267.....	صدق الداعية.....
268.....	إنصاف المعارضين.....
268.....	قذائف التهم جاهزة!!.....
268.....	حبي للمؤمن.....
274.....	تعبئة خَطرة.....
280.....	التعبئة المغلوطة أدت إلى هزائم لا تنسى!.....
283.....	<u>الفصل العاشر</u>

- 283..... الطاعة وموقعها
- 283..... تقديم
- 283..... معنى الطاعة وجدواها
- 284..... في الشأن العام الرسمي
- 284..... عن الجمعيات والنقابات
- 284..... عن الأحزاب السياسية
- 285..... "الطاعة" بين الإفراط والتفريط
- 286..... الحزب السياسي بين خيارين
- 286..... العصف الذهني
- ضعف الإنسان يجبر بعضه الشورى و"العصف
الذهني"
- 287.....
- 288..... ما مغزى ذلك التفصيل؟
- 290..... عن الشورى الداخلية عند الأحزاب "الإسلامية"
- 291..... الشورى المعاصرة علمٌ كبير
- 292..... كوارث أصابت الأمة جرّاء العجز في الشورى
- 293..... كوارث في القرن العشرين
- 293..... نكبة فلسطين:
- 293..... حرب عام 1967م:
- حرب العراق مع إيران عام 1981م وغزو الكويت ثم رفض
الانسحاب منها دون حرب:
- 294.....

- 294..... ومثال واحد في القرن الراهن
- 296..... هل نتعلم من الآخرين
- 296..... نظام الحزب المغلق لم يعد يُجدي
- 297..... وأضرب مثلاً حياً
- 298..... نحن في أزمة عقل وفكر
- 298..... الأفراد ليسوا جنوداً
- 299..... الحزب السياسي أمرٌ مختلف
- 300..... فرق حاسم بين الشعار ورافعه
- 302 الملحق رقم(1)
- 302..... وصية الإمام علي- رضي الله عنه -الخاصة
من تسجيل للأستاذ/ أحمد الكاتب المتخصص في التاريخ
الشيوعي مأخوذ من اليوتيوب
- 302..... العنوان :هذه وصية الإمام علي ولا حديث فيها عن
الإمامة!
- 302.....